جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإنسانية

– شعبة التاريخ –

التجارة في المغرب الأوسط

الرستميون والزيانيون نموذجاً

– دراسة مقارنة –

مذكرة مُقدَّمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ.

تخصص: تاريخ وحضارة المغرب الأوسط.

إعداد الطالب:

✍ موسى جبريط

إشراف الأستاذ:

❖ مسعود كواتي

لجنة المناقشة:

أ. د/ إبراهيم بحاز..... رئيسًا

د/ مسعود كواتي..... مشرفا ومقررً

د/ الطاهر بن علي..... عضوا مناقشًا

الموسم الجامعي: 1434 – 1435هـ/2013– 2014م

جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإنسانية

– شعبة التاريخ –

التجارة في المغرب الأوسط

الرستميون والزيانيون نموذجاً

– دراسة مقارنة –

مذكرة مُقدَّمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ.

تخصص: تاريخ وحضارة المغرب الأوسط.

إعداد الطالب:

✍ موسى جبريط

إشراف الأستاذ:

❖ مسعود كواتي

لجنةالمناقشة

أ. د/ إبراهيم بحاز..... رئيسًا

د/ مسعود كواتي..... مشرفا ومقررً

د/ الطاهر بن علي..... عضوا مناقشًا

الموسم الجامعي: 1434 – 1435هـ/2013– 2014م

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

الحمد لله فالق الحب و الأنوار، جاعل الليل و النهار،

ثم الصلاة و السلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء و المرسلين

أهدي هذا العمل إلى الوالدين الكريمين أطال الله

في عمرهما وحفظهما وأبقاهما ذخراً وسنداً لي في الحياة

وتشجيعهما طيلة مشواري الدراسي وتأكيدهما على

مواصلة درب طلب العلم.

إلى كل أفراد العائلة من صغيرهم إلى كبيرهم.

إلى كل عائلة جبريط وبوروبة أينما وجدوا وحلوا.

إلى من كان سنداً ودعماً في إنجاز مذكرتي وإخراجها

إلى الميدان العلمي والمعرفي وأخص بالذكر

الأستاذ المشرف – مسعود كواتي – ومن تعب في تحريرها

محمد السعيد – الدين – إ – ش – ع –

وكل الرفقاء كل باسمه ومكانه ومن رفع يديه

ودعى لي ولو بظهر غيب عسى أن يكون

علماً نافعاً وصدقة جارية

موسى

شكر وعرفان

بداية أتوجه بخالص تحياتي وشكري إلى من كان له الدور الكبير في توجيهي وتنوير درب العلم والنجاح وتحمله مشاق الإشراف والسهر على إخراج هذا العمل بصورة متكاملة الأستاذ والأب مسعود كواتي حفظه الله وأبقاه نبراساً للمعرفة.

إلى كل من الدكتور الطاهر بن علي وإبراهيم نحاز وعبد الجليل ملاخ، الذين لم يبخلوا عني بنصائحهم العلمية القيمة وتقبل مناقشة هذا العمل .

كما لا يفوتني أن أشكر جميع أساتذة شعبة التاريخ كل حسب تخصصه طيلة مساري الدراسي فجازهم الله عني كل خير،

كما أغتنم هذه الفرصة لتوجيه خالص شكري لعمال (ة) المكتبة البلدية ببلدية حاسي لفحل لتحملهم عني مشاق العمل والدراسة.

والشكر موصول إلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد.

قائمة المختصرات

1. العربية

الرمز	المعنى
د ت ن	دون تاريخ نشر
د د ن	دون دار نشر
د ب ن	دون بلد نشر
ج	جزء
مج	مجلد
ط	طبعة
هـ	هجري
م	ميلادي
ص	صفحة
ص ص	صفحات متتالية

2. الفرنسية.

الرمز	**المعنى**
PAGE	P
PAGES CONTUNEIS	PP

مقدمة

مقدمة:

عرفت جغرافية المغرب الأوسط عبر العصور قيام عدَّة حضارات ودول، وتشكلت بدايتها كنواة مستقلة بذاتها من القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي، وظهرت بادرتها **بالدولة الرستمية 160 – 296 هـ/777 – 909م** التي أسسها عبد الرحمن بن رستم في تاهرت كحاضرة لها، ممتدة في اتساعها من البحر المتوسط شمالاً إلى أقاصي الصحراء جنوباً، وصولاً إلى قرى جبل نفوسة وجزيرة جربة بالمغرب الأدنى.

وحكمت المنطقة بعدها عدة دول على اختلاف توجهاتها السياسية ومذاهبها الدينية لمدة ثلاثة قرون، ليشهد بداية القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي مظاهر تفكك الدولة الموحدية التي وحدت المغرب الإسلامي، فقامت **للزيانيين دولتهم 633 – 962 هـ/1236 – 1554م** من طرف يغمراسن بن زيان متخذين من تلمسان حاضرة حكمهم متمركزين بين الحفصيين شرقاً والمرينيين غرباً، وسواحل البحر المتوسط شمالاً إلى الصحراء جنوباً وبحكم الموقع الجغرافي المتميز للدولتين وامكانياتهما الإقتصادية المتنوعة ظهرت حركة تجارية مزدهرة وفق نظم أطرت وسهلت عملية التبادل داخلياً وخارجياً مع مختلف المناطق والأمصار.

وعلى ضوء ذلك جاء عنوان مذكرتي: **التجارة في المغرب الأوسط الرستميون والزيانيون نموذجاً – دراسة مقارنة –**

❖ **الإشكالية العامة للموضوع :**

ما طبيعة الحركة التجارية في المغرب الأوسط في كل من الدولتين الرستمية والزيانية كنماذج للدراسة وأوجه المقارنة فيما بينهما ؟ وتتفرع منها مجموعة من

– الإشكالات الفرعية:

– فيما تتمثل مراحل التاريخ السياسي والمعالم الإقتصادية للدولتين؟

– أين يظهر دور التجار والنظم في تنظيم الحركة التجارية ؟

- ما هي أهم المراكز والطرق التجارية التي ساهمت في تنقل القوافل والبضائع داخلياً وخارجياً ؟
- فيما تتجلى أهم العلاقات والمبادلات التجارية مع مختلف المدن والأمصار ؟
- أين تكمن أوجه المقارنة مابين الدولتين تجاريا ؟
- كيف وأين تؤثر السلطة الحاكمة وتنوع أجناس تجارها في ازدهار ورخاء الدولتين ؟
- ما هي أهم أوجه المقارنة في النظم والمراكز والطرق التجارية ؟
- ما أهم المعاهدات التجارية التي عقدها كل من الرستميين والزيانيين ؟

لعل دراسة موضوع التجارة في المغرب الأوسط للدولتين الرستمية والزيانية كدراسة نماذج مع مقارنة فيما بينها قد جمعت ما بين دوافع ذاتية وموضوعية لذلك فإنَّ.

❖ دوافع إختيار الموضوع:

- بداية التعرف على الدول التي ظهرت بجغرافية المغرب الأوسط سياسيا وإقتصاديا.
- الرغبة في البحث في جزئية "التجارة" من الأوضاع الإقتصادية بصفة عامة في المجال الزراعي والصناعي وأغلب الدراسات ركزت على المجال السياسي والعسكري والثقافي.
- معرفة مدى التركيبة البشرية المتنوعة للتجار من مسلمين ويهود ونصارى ودورهم التجاري مع أعمالهم المتنوعة.
- التطرق إلى النظم التجارية من أسواق وطرق للتعامل التجاري والموازيين والمكاييل والمقاييس.
- الإشارة إلى المراكز والمسالك التجارية بمختلف أنواعها وتوجهاتها.
- التعرف على العلاقات والمبادلات تصديرًا وإستيرادًا مع مختلف الدول والمناطق.
- الإطلاع على خصائص ومميزات كل دولة ومدى تأثير العوامل المحيطة بها على التجارة.
- دون أن أنسى تشجيع الأستاذ لدراسة موضوع التجارة عسى أن نوفق في تقديم إضافة جديدة للبحث العلمي خاصة ما تعلق بالمغرب الأوسط وفق إطار محدد مكاناً وزماناً والمتمثل في

❖ **حدود الدراسة :**

– **الإطار المكاني:** ظهرت الجغرافية بشكل خاص في المغرب الأوسط وشملت الدولة الرستمية في أقصى اتساعها لتشمل جزءًا من المغرب الأدنى كجبل نفوسة وما جاورها وجزيرة جربة.

وحدود الدولة الزيانية في المغرب الأوسط وصولا إلى سجلماسة وبجاية في أقصى توسعاتها على أن الحركة التجارية لم تحددها وتقيدها لا حدود جغرافية ولا سياسية.

– **الإطار الزماني:** شملت تاريخ الدولة الرستمية 160- 296هـ/777- 909م أما الدولة الزيانية 633- 962هـ/1236- 1554م.

❖ **المنهج المتبع في الدراسة:**

اعتمدت في دراستي التاريخية على منهجين أساسين هما:

– **المنهج التاريخي الوصفي:** اعتمدته للتطرق إلى التاريخ السياسي والإقتصادي للدولتين ووصف مراحلهما التاريخية وما تعلق بها من نظم تجارية ومراكزها ومسالكها وعلاقاتها الخارجية.

– **المنهج التاريخي المقارن:** خاصة في تحليل النصوص التاريخية من المصادر المتنوعة ومقارنتها مع بعضها البعض وإعطاء دراسة حسب خصائص كل دولة في المجال التجاري.

مع هذا حاولنا قدر الإمكان بما هو متوفر من مادة علمية التعريف وشرح الموضوع.

ولدراسة هذا الموضوع رسمت خطة على الشكل التالي:

❖ **الخطة المعتمدة في الدراسة:**

تهدف الدراسة إلى إبراز تطور التجارة بالمغرب الأوسط على عهد الرستميين والزيانيين مع إجراء دراسة مقارنة بينهما.

فقسمت العمل إلى ثلاثة فصول بكل منهم أربعة مباحث، كانت بدايتها بمقدمة للتعريف بالموضوع، وتطرقت في الفصل الأول للتجارة في الدولة الرستمية وتضمن أربعة مباحث ومجموعة من المطالب، فكان المبحث الأول خاص بقيام الدولة ومعالمها الإقتصادية أما الثاني عالج التجار والنظم التجارية أما الثالث فخصص للمراكز والطرق التجارية وفي الأخير إلى العلاقات التجارية الخارجية.

وكان الفصل الثاني بعنوان التجارة في الدولة الزيانية وقسم أيضاً إلى أربعة مباحث أولها المتعلق بقيام الدولة ومعالمها الإقتصادية والثاني تناول التجار والنظم التجارية، أما المبحث الثالث فذكرت فيه المراكز والطرق التجارية أما الرابع فأشرت إلى العلاقات التجارية الخارجية.

أما الفصل الثالث فهو عبارة عن دراسة مقارنة بين الدولتين تجارياً وقسمته إلى أربعة مباحث تناولت في الأول دور السلطة الحاكمة والتجار في التجارة أما الثاني فتطرقت إلى النظم التجارية ومدى إختلافها بين الدولتين وفي الثالث ذكرت فيه المراكز والطرق التجارية أما الأخير فركزت على المعاهدات التجارية لكليهما ومدى تأثير ذلك في الحركية التجارية.

وأنهيت الدراسة بخاتمة مقدما فيها مجموعة من الاستنتاجات الخاصة بالدراسة،كما زودت رسالتي بملاحق لمزيد من التوضيح وقائمة للمصادر والمراجع والفهارس لإتمام العمل.

❖ **الدراسات السابقة:**

اهتم عدد من الباحثين والمؤرخين بدراسة موضوع التجارة في المغرب الأوسط ونجد أهمها:

– بحاز إبراهيم بكير، الدولة الرستمية 160- 296هـ/777- 909م، دراسة في الأوضاع الإقتصادية والحياة الفكرية، وتعتبر أهم مرجع متخصص عن الرستميين والذي قدم معلومات هامة عن المجال التجاري في كل من التجار والأسواق والموازيين والمسالك التجارية ومختلف المبادلات الخارجية وبصورة مفصلة خاصة أن مؤلفه باحث له عدة دراسات.

– بشاري لطيفة، التجارة الخارجية لتلمسان في عهد الإمارة الزيانية، رسالة ماجستير، تعتبر دراسة هامة عن الموضوع في مختلف المجالات من نظم سهلت عملية التبادل إلى ذكر لأهم المراكز والطرق والعلاقات الداخلية والخارجية واستفدت منها كثيراً في تحديد معالم البحث خاصة الدولة الزيانية، وقد طبعت المذكرة بإشراف وزارة الشؤون الدينية والأوقاف بالجزائر.

كما وجدت مجموعة من المقالات المتخصصة نذكر منها:

- بلعربي خالد، تجارة القوافل عبر الصحراء الكبرى في العصر الوسيط، شمل مقاله معلومات هامة عن واقع التبادل التجاري عبر العصور مع دول السودان الغربي موضحا أهم المسالك والبضائع وطرق ومراحل عبور القوافل وقطع المسافات الصحراوية.

- // // الأسواق في المغرب الأوسط خلال العهد الزياني، قدم عرضا عن وضعية الأسواق وأنواعها وبضائعها وتنظيمها ومراقبتها من طرف المحتسب.

- غرابسية عمار، من الأدوار الحضارية للمدن الصحراوية، وارجلان أنموذجا، نجده مقال خصص لدراسة مدينة صحراوية تعتبر كمركز تجاري ونقطة عبور للقوافل وملتقى ومفترق لمجموعة من المسالك التجارية باتجاه الجنوب والشمال.

- دراسة لأهم المصادر والمراجع:

- **المصادر:**

اعتمدت في هذا البحث على مجموعة من المصادر المختلفة أهمها:

- ابن الصغير(القرن الثالث الهجري)، أخبار الأئمة الرستميين، يعتبر أهم مصدر تاريخي خاص بالدولة الرستمية بصفة شاهد عيان على آخر مراحل الدولة وقدم معلومات قيمة في المجال التجاري والعلاقات المتبادلة مع مختلف الأقطار.

- اليعقوبي(ت 284هـ)، البلدان، هو مصدر جغرافي هام لدراسة الحركة التجارية بالمغرب الأوسط علما أنه زار مدينة تاهرت وقدم معلومات هامة عن المراكز والمسالك التجارية.

- أبو زكريا يحي بن أبي بكر، كتاب السيرة وأخبار الأئمة، إحتوى مصدره على مؤشرات في مختلف المجالات من تأسيس الدولة الرستمية وأحداثها والتي يمكن إستخلاص منها ما يخص الحركة التجارية.

- البكري(ت 487هـ)، المُغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، وإن لم يعاصر عهد الدولتين لكنه إحتوى على معلومات جغرافية هامة في ذكر المعالم الإقتصادية المتنوعة للمدن المغربية وما بها من نظم تجارية كالأسواق وقدم وصفاً للمراكز والطرق التجارية علما أنه إستقى بعض معلوماته من مصدر ابن الوراق المفقود.

– الدرجيني(ت 670هـ)، طبقات المشائخ بالمغرب،ج 1 - 2، نجد به معلومات عن المعطيات الإقتصادية خاصة في الترجمة لبعض المشائخ وتظهر بها إشارات للعمل التجاري.

– ابن بطوطة(ت 756هـ)، الرحلة، وتعتبر الرحلات من أهم المصادر التي تقدم معلومات قيمة تتعلق بالجانب التجاري خاصة أنه نقل مشاهداته عن الطرق والقوافل وما تحمله من بضائع وهو الذي تجول في قافلة تجارية بها تجار زيانيين إلى بلاد السودان وكانت له قبلها رحلة إلى المشرق برا والعودة بحرا مع تجار قطلونيين .

– ابن خلدون عبد الرحمن(808هـ)، العبر،ج4-6-7، قدم معلومات تاريخية هامة عن بعض العلاقات الرستمية بجيرانها في الجزء الرابع والسادس أما الجزء السابع المتعلق بالدولة الزيانية، فيظهر أحداث الدولة من نشأتها وكمثال على ذلك ذكره للأسعار زمن الحصار المرينييني على تلمسان بالتوضيح والأرقام.

– ابن خلدون أبو زكريا يحي(ت 780هـ)، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد هو الذي عاصر بعض مراحل الدولة وعمل كاتباً للرسائل في ديوان أبو حمو موسى الثاني دوّن معلوماته وقدمها في مختلف المجالات السياسية والإقتصادية.

– التنسي محمد بن عبد الله(ت 899هـ)، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، يعتبر مصدر هام لأنه شهد عهد أبي عبد الله محمد المتوكل والذي يمكن استنباط بعض المعلومات المتعلقة بالتجارة في ما يخص البضائع والأسواق والعلاقات المتبادلة.

– الوزان الحسن، وصف إفريقيا،ج1، والذي عاصر بعض سلاطين بني زيان وقدم وصفه لبعض مشاهداته عن المعالم الإقتصادية للدولة وإشاراته للتجار والأسواق وللعلاقات التجارية الخارجية كأوروبا المسيحية في بعض موانئ الزيانيين.

- **المراجع:**

– جودت عبد الكريم يوسف، الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنيين الثالث والرابع الهجريين (9-10م)، والذي قدم تفاصيل هامة عن التجار الرستميين وما تعلق بالنظم التجارية والذي استفادنا منه في هذا الجانب.

وكتابه الثاني، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، والذي وضح المسالك والإتفاقيات والمبادلات التجارية مع مختلف الدول والمناطق.

– حساني مختار، تاريخ الدولة الزيانية، (الأحوال الإقتصادية والثقافية) ،ج 2، والذى قدم مختلف الأنشطة التجارية داخلياً وخارجياً وما شملها من تنظيم تجاري.

– فيلالي عبد العزيز، تلمسان في العهد الزياني، ج1، والذي نجد به معلومات متعلقة بالتجار على إختلاف جنسياتهم وتعاملاتهم وبضائعهم وذكر للأسواق وتنظيمها من طرف جهاز الحسبة.

– بوزياني الدراجي، نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية ،ونجد به معلومات قيمة ومفصلة عن النظم التجارية من تجار وأسواق والعملة والموازيين ومختلف المبادلات.

كما اعتمدت على بعض المقالات التاريخية والمراجع باللّغة الأجنبية.

❖ **صعوبات الدراسة:**

في عملية بحثي إعترضتني بعض الصعوبات التي لا تخلو أي دراسة منها ونذكر بعضها:

– صعوبة الإقتباس من المصادر التاريخية والجغرافية وتحليل مضمونها.

– قلة المادة العلمية وصعوبة الوصول إليها في المجال الإقتصادي بصفة عامة والتجاري بصفة خاصة وما تعلق بدراسة المقارنة عكس ما نجده في المجال السياسي للدول.

– تضارب المعلومات ووجودها بشكل عام في المصادر مما يشكل صعوبةً في تحديد النتيجة.

– صعوبة إجراء دراسة مقارنة مابين دولتين أولهما الرستمية ظهرت في القرنين الثاني والثالث الهجري وتانيهما الزيانية في القرن السابع إلى العاشر الهجري خاصةً الفارق الزمني بينهما.

- صعوبة المقارنة تجاريا فيما بينهما لأن لكل دولة خصائصها السياسية والإقتصادية ومجالها الجغرافي ونظمها التجارية ومسالكها وعلاقاتها و معاهداتها التجارية .
- على أن لا يفهم من الفصل الثالث "المقارنة" هو تحديد أفضلية دولة على أخرى تجاريًا إنما إظهار وشرح مميزات كل منهما على حدة مع إعطاء بعض التفاصيل الخاصة بهما من المصادر والمراجع والمادة العلمية المتوفرة بين أيدينا، مع هذا حاولت قدر الإمكان بما هو متوفر من مادة علمية التعريف وشرح الموضع.

وفي الأخير أرجو أن أكون قد قدمت وأضفت لبنة للبحث العلمي تساهم في إثراء الرصيد المعرفي.

الفصل الأول:

التجارة في الدولة الرستمية

المبحث الأول:

قيام الدولة الرستمية ومعالمها الإقتصادية.

المبحث الثاني:

التجار والنظم التجارية.

المبحث الثالث:

المراكز والطرق التجارية.

المبحث الرابع:

العلاقات التجارية الخارجية.

الفصل الأول: التجارة في الدولة الرستمية.

المبحث الأول: قيام الدولة الرستمية ومعالمها الاقتصادية.

المطلب الأول: قيام الدولة الرستمية.

ظهرت الدولة الرستمية بالمغرب الأوسط بفعل انتقال دعاة المذهب من المشرق إلى بلاد المغرب في أواخر القرن الأول الهجري وبداية القرن الثاني الهجري، بنشر أفكارهم في ظل الظروف التي كانت تشهدها المنطقة.

فيذكر أبو زكريا " أن أول من جاء يريد مذهب الإباضية سلمة بن سعد يدعو لمذهبه وعكرمة مولى ابن عباس يدعو إلى الصفرية ... وكان يقول سلمة:" وددت أن يظهر هذا الأمر- يعني مذهب الإباضية- بالمغرب يوماً واحداً من غذوة إلى الليل فما أبالي ضربة عنقي"[1].

ليلتقي بعد ذلك حملة العلم الخمسة لطلب العلم بالمشرق وهم: أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري وعبد الرحمن بن رستم الفارسي وعاصم السدراتي وإسماعيل بن درار الغدامسي وأبو داود القبلي واجتمعوا بأبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة بالبصرة [2].

وبعد رجوعهم إلى المغرب نزلوا بطرابلس، وكانوا يجتمعون بموضع يسمى "صياد" لعقد الإمامة وتم لأبي الخطاب ذلك سنة 140هـ/757م، وتم إخراج عامل العباسيين عليها وهو عمرو بن عثمان القرشي واتجه إلى المشرق لتظهر أول إمامة إباضية بالمنطقة[3].

---

[1] أبو زكريا يحي بن أبي بكر، كتاب السيرة وأخبار الأئمة، تحقيق، عبد الرحمن أيوب، تونس، الدار التونسية للنشر، 1405هـ/1985م، ص42.

[2] أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني ، كتاب طبقات المشائخ بالمغرب، تحقيق، إبراهيم طلاي، قسنطينة، الجزائر، مطبعة البعث، 1394هـ/1974م، ج1، ص ص19، 20.

[3] أبو زكريا، المصدر السابق، ص ص64،61، أنظر كذلك الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص 22.

وفي هذه المرحلة استولت قبيلة ورفجومة الصفرية على القيروان وإفريقية وقتلوا من كان بها وأنكر عليهم ذلك أبي الخطاب وقبائل من هوارة وزناتة، فزحفوا إليهم وطردوهم من المدينتين سنة 141هـ/758م وولي عليهما عبد الرحمن بن رستم[1]، وأصبحتا تابعتين للإمامة الخطابية بطرابلس.

قام أبو جعفر المنصور بعد هذه الأحداث بإرسال حملة عسكرية بقيادة محمد بن الأشعث لمحاربة الإباضية في طرابلس ونفذ إليهم وبعد عدة جولات تمكن الجيش العباسي من هزيمتهم قرب تاورغا سنة 144هـ/ 761م وتشتت جموع أبي الخطاب بعد مقتل إمامهم وقائدهم[2].

فلما وصلت رسل الإمام إلى عبد الرحمن بن رستم أسرع ليلحق به، فلما وصل إلى مدينة قابس بلغه مقتل أبو الخطاب[3]، فَكَرَّ راجعاً إلى القيروان، فوجدها ثارت عليه بقيادة عبد الرحمن بن حبيب، فتفرقت جنوده وخرج مع ابنه عبد الوهاب وعبد لهما متوجهين إلى المغرب الأوسط[4].

---

(1) عبد الرحمن بن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ضبط المتن، خليل شحادة، سهيل زكار، بيروت، لبنان، دار الفكر، 1421هـ/2000م، ط2، ج6، ص146، أنظر كذلك عثمان الكعاك، موجز تاريخ الجزائر(من العصر الحجري إلى الإحتلال الفرنسي)، تقديم ومراجعة، أبو القاسم سعد الله، ناصر الدين سعيدوني، بيروت، لبنان، دار الغرب الإسلامي، 2003م، ط1، ص118

(2) أبو زكريا، المصدر السابق، ص ص71-74، أنظر كذلك الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص ص32- 34، فاطمة مطهري، ظهور الخوارج في بلاد المغرب ودورهم في قيام الدويلات المستقلة خلال القرنيين 2-3هـ/ 8-9م (وإباضية الدولة الرستمية نموذجاً)، دورية كان التاريخية الإلكترونية، مصر، ديسمبر، 2011م، العدد الرابع عشر، ص96.

(3) عبد الأعلى بن السمح إبن عبيد المعافري أبو الخطاب(ت144هـ/ 761م) من علماء اليمن في القرن الثاني الهجري، تعلم عن أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، والتقى بطلبة العلم المغاربة في البصرة سنة 135هـ، وانتقل بعد خمسة سنوات إلى المغرب، وتولى إمامة الظهور سنة 140هـ بطرابلس، واستمر حكمه أربعة سنوات، ابراهيم بن بكير بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، من القرن 1هـ إلى 15هـ، غرداية، الجزائر، نشر جمعية التراث القرارة، طبع بالمطبعة العربية، 1420هـ/ 1999م، ط1، مج3، ص ص505. 507.

(4) الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص35. أنظر كذلك ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق، ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، بيروت، لبنان، دار الثقافة، 1983م، ط3، ج1، ص196.

وواصلوا مسيرهم حتى وصلوا جبل سوفجج، وتحصنوا به مع وجوه الإباضية وعلمائها فقصدوه من كل النواحي من طرابلس وجبل نفوسة، ولما بلغ ذلك ابن الأشعث بالقيروان تحرك بجيوشه لمواجهة عبد الرحمن لكنه امتنع عليه بالجبل بمساعدة قبائل المنطقة[1].

في هذه الأثناء كان أبو حاتم يعقوب بن لبيب الملزوزي والي على مدينة طرابلس سنة 145هـ/762م، ومكث بها أربع سنين وكانت ولايته ولاية دفاع، وكان يرسل ما بجمعه إلى عبد الرحمن، وكانت له عده جولات مع ابن الأشعث كواقعة "مغمداس"، ولكنه انهزم مع جموعه في معركة قرب موضع يسمى"جيني" سنة 155هـ/771م، ضد جيوش يزيد بن حاتم[2]، وحسب ابن خلدون " ... فإن عبد الرحمن قد انتقل ونزل على قبيلة لماية لقديم حلف بينه وبينهم فاجتمعوا عليه وبايعوه بالخلافة، وبدؤوا في بناء مدينة ينصبون بها كرسي لإمارتهم"[3].

– بناء العاصمة تاهرت:

رأى الإباضية أن يبنوا لهم عاصمة وحاضرة كغيرهم من الدول الإسلامية التي سبقتهم فيذكر أبو زكريا "... أن تكون حرزاً وحصناً للإسلام في الأرض فدلوهم على تاهرت، واتفقوا مع أهل تاهرت القديمة على أشياء معلومة يأخذوها من غلتها"[4].

---

[1] سليمان بن الشيخ عبد الله الباروني النفوسي، كتاب الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، تونس، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، 1986م، ط1، القسم الثاني، ص03.

[2] أبو زكريا، المصدر السابق، ص78-83،أنظر كذلك إبراهيم بكير بحاز، الدولة الرستمية 160- 296هـ/777-909م، دراسة في الأوضاع الإقتصادية والحياة الفكرية، الجزائر، منشورات ألفا، 1431هـ/2010م، ط3، ص ص94، 95.

[3] ابن خلدون، العبر، ج6، ص159، أنظر كذلك مطهري: المقال السابق، ص ص95، 96.

[4] أبو زكريا، المصدر السابق، ص86.

ويضيف الباروني " تكون مدينة حصينة منيعة بعيدة عن مهاجمات العدو وتكون مأوى ومقرا لإمامتنا، وملجأ لنا في حربنا وسلمنا فأجابهم عبد الرحمن[1] إلى ذلك واستحسن رأيهم (أصحابه)"[2].

ويذكر البكري " أن موضع تاهرت ملكاً لقوم مستضعفين من مراسة وصنهاجة فأرادهم الإمام على البيع فرفضوا فوافقهم على أن يؤدوا إليهم الخراج من الأسواق، وسمي الموضع معسكر عبد الرحمن بن رستم"[3].

ويصف اليعقوبي المدينة التي زارها بقوله "...والمدينة العظمى تاهرت جليلة المقدار عظيمة تسمى "عراق المغرب"، لها أخلاط من الناس تغلب عليهم قوم من الفرس يقال لهم محمد بن أفلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم الفارسي"[4]، ونذكر مميزات المدينة في مطلب المعالم الإقتصادية للدولة.

– مبايعة عبد الرحمن بن رستم بالإمامة:

تم اختيار عبد الرحمن لتولي منصب إمامة الظهور في المغرب الأوسط وتمت مبايعته بتيهرت فيذكر ابن الصغير عن شروط إختياره "... لا قبيلة له يشرف بها ولا عشيرة له تحميه، وقد كان الإمام أبو الخطاب رضيه لكم قاضياً وناظراً..."[5].

---

[1] عبد الرحمن بن رستم، حكم من 160- 171هـ/ 777- 787م)، ولد بالعراق في العقد الأول من القرن الثاني الهجري على أكبر تقدير ويرجع في نسبه إلى أكاسرة الفرس، وبعض المؤرخين يعيدونه إلى اللذارقة ملوك الأندلس قبل الإسلام ونشأ بمدينة القيروان وانتقل رفقة حملت العلم إلى المشرق، بعد رجوعه عين والياً وقاضياً، وبعد مقتل أبي الخطاب قام ببناء مدينة تاهرت، شهد عهده الاستقرار والبناء والتنظيم في مختلف المجالات، بحاز وآخرون، المرجع السابق، مج3، ص518.

[2] الباروني، المرجع السابق، القسم الثاني، ص5.

[3] أبو عبيد البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب(جزء من كتاب المسالك والممالك)، الجزائر، زيتا قرافيك، 2011م، ص71.

[4] أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح الشهير باليعقوبي،البلدان، تحقيق، محمد أمين الضناوي، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، 1422هـ/2002م، ط1، ص192.

[5] ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق، محمد ناصر، إبراهيم بحاز، الجزائر، المطبوعات الجميلة، 1405هـ/1985م، ص26.

ويضيف الدرجيني ".. هو أحد حملة العلم، وقد كان المسلمون عرضوا عليه الإمامة قبل تولية أبي الخطاب فرفضها، وهو أهل للإمامة لدينه وعلمه وسابقته ومكانه وغير ذلك من أوصافه وتمت مبايعته على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وآثار الخلفاء الراشدين"[1]، سنة 160هـ/777م.

واتصف بحسن سيرته وجلس في مسجده للأرملة والضعيف ولا يخاف في الله لومة لائم، فكان ذلك في أطراف الأرض مشارقها ومغاربها فاتصل ذلك بإخوانه في البصرة بالمشرق[2].

وبفعل ذلك وصلته مساعدة المشرق الأولى وهي ثلاثة أحمال مالاً، وبعد مشاورة أصحابه تم تقسيمها على الفقراء المسلمين وعلى السلاح والعدة، لتصل بعدها مساعدة ثانية من أهل الدعوة، لكنه رفضها هذه المرة لقوة الدولة وازدهارها وتم إرجاعها لحاجة أهلها لها[3].

وتطلع خارجياً لتوطيد علاقاته فيذكر ابن خلدون " أنه قام بموادعة صاحب القيروان روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب فواعده واتفق معه سنة 171هـ/787م "[4]، وربط علاقة مع بني مدرار فتزوج مدرار بن اليسع أروى بنت عبد الرحمن وبذلك وطد علاقته شرقاً وفي الجنوب الغربي بسجلماسة[5].

– إمامة عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم:

لما حضرت الوفاة عبد الرحمن سنة 171هـ/ 787م جعل الإمامة شورى في سبعة نفر هم "مسعود الأندلسي ويزيد بن فندين وعمران بن مروان الأندلسي، وعبد الوهاب إبنه، وأبو الموفق سعدوس بن عطية وشاكر بن صالح الكتامي ومصعب بن سدمان"[6].

---

(1) الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص42، أنظر كذلك بحاز، المرجع السابق، ص192.

(2) ابن الصغير، المصدر السابق، ص28، أنظر كذلك محمد عيسى الحريري، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي، حضارتها وعلاقاتها الخارجية بالمغرب والأندلس 160- 296هـ، الكويت، دار القلم للنشر والتوزيع، 1408هـ/1987م، ط3، ص101.

(3) أبو زكريا، المصدر السابق، ص88.

(4) ابن خلدون، العبر، ج6، ص148.

(5) الباروني، المرجع السابق، القسم الثاني، ص94، أنظر كذلك محمود إسماعيل عبد الرزاق، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، الدار البيضاء، المغرب، دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1406هـ/ 1985م، ط1، ص151.

(6) أبو زكريا، المصدر السابق، ص ص 88، 89.

فوقع الاختيار على مسعود الأندلسي لكنه رفضها ليتم تولية عبد الوهاب[1] سنة 171هـ/787م وقضى بعض حياته إلى جانب والده وأكتسب خبرة سياسية وعسكرية أهلته لتولي الإمامة.

ويصفه ابن الصغير "كان ملكاً ضخماً وسلطاناً قاهراً، وعلى يديه افترقت الإباضية وتسمى قوم منهم بالنكار وتسمى قوم منهم بالوهبية نسبة لعبد الوهاب"[2].

لما رأى ابن فندين ما عليه الإمام من الحزم وتنقية أرباب الخبرة والاستقامة في تعيين الموظفين، أنكر إمامة عبد الوهاب وخرج عليه بحكم المجلس الشوري ولوجود من أكثر علماً، فوصل الأمر إلى استفتاء علماء المشرق في الصراع المسلح الذين أفتوا بصحة تولية عبد الوهاب وبطلان الشرط وانتهى الأمر بمقتل ابن فندين[3].

لتظهر فرقة الواصلية يغلب عليها الجانب الديني في مناظراتهم لعبد الوهاب والذي استعان بأهل نفوسة لمساعدته وتمكنوا منهم في مجال المناظرات العقدية وعسكرياً فيما بعد[4].

---

[1] عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم تلقى العلم بالقيروان ثم تاهرت عن أبيه، كان عالماً فاشترى أربعين حملاً من الكتب من البصرة وله حلقات علم بتاهرت وجبل نفوسة، ووطد علاقاته مع إباضية المشرق والأمويين بالأندلس وبني مدرار والسودان الغربي، وشهد حكمه عدة إنجازات، دام حكمه 37 سنة، بحاز وآخرون، المرجع السابق السابق، مج3،ص ص591 ، 592.

[2] ابن الصغير، المصدر السابق، ص 37.

[3] ابن الصغير،ص 44،أنظر كذلك الدرجيني، ج1،ص51،الباروني،المرجع السابق،القسم الثاني،ص ص102-115.

[4] أبو زكريا، المصدر السابق، ص ص104- 112، أنظر كذلك الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص57، البكري، المغرب، ص70.

– إمامة أفلح بن عبد الوهاب:

لما توفي عبد الوهاب سنة 208 هـ/ 823م تمت مبايعة إبنه أفلح[1] فكان ميمون النقية وقد اكتسب خبرة سياسية وعسكرية مع والده وذلك أن قال والده في إحدى المعارك معجباً به حسب ابن الصغير "لقد إستحق أفلح الإمامة"[2]، وشهد عهده ثورة خلف بن السمح بن أبي الخطاب التي اندلعت في نواحي طرابلس أيام حكم عبد الوهاب فواصل جهود والده لإخمادها، كما واجه حركة نفاث بن نصر الفكرية في جبل نفوسة وتمكن من القضاء على حركته[3]"، وكان قد عمر في إمارته... خمسين عاماً أميراً حتى نشأ له البنون ... وعمرت معه الدنيا وكثرت الأموال والمستغلات واتته الوفود والرفاق من كل الأمصار والآفاق..."[4].

– إمامة أبي بكر بن أفلح:

بايعه أهل العقد والحل بعد وفاة أفلح وذلك لعدم وجود أبي اليقظان الذي كان بالمشرق وكانت مدته قصيرة تقدر بسنتين وأصبحت الدولة في قمة قوتها الإقتصادية، واتجه أبو بكر[5] إلى الدعوة والسكون وترك شؤون الدولة في يد محمد بن عرفة، ووقعت بينهما فتنة أدت إلى وفاة ابن عرفة وإفتراق الإباضية وتشتت القبائل بينهما لكل حلفه ومناصره[6].

---

(1) أفلح بن عبد الوهاب، حكم بين(208- 258هـ/823- 871م)، تلقى العلم عن أبيه وجده عبد الرحمن بتاهرت، عقد بين يديه أربعة حلقات للعلم، بلغت الدولة في عهده أوج قوتها وازدهارها، توفي سنة 258هـ/ 871م، بحاز وآخرون، المرجع السابق، مج2، ص ص 120، 122.

(2) ابن الصغير، المصدر السابق، ص47، أنظر كذلك أبو زكريا، المصدر السابق، ص129، علي يحي معمر، الإباضية في موكب التاريخ، الحلقة الرابعة، الإباضية في الجزائر، صححه، أحمد عمر أوبكه، غارداية، الجزائر، المطبعة العربية، 1985م، ج1، ص ص70، 71.

(3) بحاز، المرجع السابق، ص155.

(4) ابن الصغير، المصدر السابق، ص53.

(5) أبو بكر بن أفلح، حكم بين (258- 261هـ/871- 874م)، تلقى العلم في تاهرت عن علمائها، كان محباً لمظاهر الحضارة، أتهم بتآمر في قتل صهره ابن عرفة، ودخلت الدولة في حالة الضعف والتفكك وتنازل عن الإمامة لأخيه أبي اليقظان، ولم يدم حكمه إلا سنتين وبضعة أشهر، بحاز وآخرون، المرجع السابق، مج2، ص 174.

(6) الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص83.

– إمامة أبي اليقظان:

تمت مبايعته سنة 261هـ/874م ودخل تاهرت سنة 268هـ/881م بمساعدة النفوسيين وعقد صلحاً مع القبائل واستتب الأمر والوضع للإمام[1] وهذا للخبرة التي اكتسبها بالمشرق خلال سجنه ببغداد.

– مرحلة التفكك وسقوط الدولة:

بعد وفاة أبي اليقظان سنة 281 هـ/894م تولى ابنه أبي حاتم[2] الحكم وتحركت الفتنة من أصحاب المصالح وحرضوا عليه عمه يعقوب بن أفلح[3] وظل الصراع داخل الأسرة الواحدة إلى أن قتل أبي حاتم وولي مكانه اليقظان بن اليقظان وبقي يحكم سنتين حتى سقطت الدولة على يدي أبو عبد الله الشيعي سنة 296هـ/909م.

---

[1] محمد بن أفلح" أبو اليقظان"، حكم بين 261- 281هـ/ 874- 894م، خامس الأئمة الرستميين، ولد بتاهرت ونشأ بها، تلقى العلم عن أبيه وجده، سجن ببغداد من طرف العباسيين وتعلم خلالها الكثير من فنون السياسية، شهدت دولته عصر ازدهار، بحاز وآخرون، المرجع السابق، مج4، ص ص 752، 753.

[2] يوسف بن محمد أبي اليقظان بن أفلح أبو حاتم، حكم بين 281- 294هـ/ 894- 906م، سادس الأئمة الرستميين، تولى الإمامة بعد وفاة والده أبي اليقظان، حدثت بينه وبين عمه أبي يعقوب بن أفلح نزاع وحروب، دام حمكه 14 عاماً إلى أن اغتاله أبناء أخيه اليقظان سنة 294هـ/ 906م، بحاز وآخرون، المرجع السابق، مج4، ص ص 1028، 1029.

[3] يعقوب بن أفلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن(ت310هـ/ 922م) من أعلام الدولة الرستمية، أخذ العلم من علماء تاهرت، حكم في ظروف صعبة زمن الفتن وتنافسهم عن السلطة، تنحى عنها وتركها لإبن أخيه أبي حاتم، شهد هجوم الفاطميين وسقوط الدولة فاتجه رفقة أهله وأتباعه إلى سدراتة بوارجلان، بحاز وآخرون، المرجع السابق، مج4، ص ص992، 993.

المطلب الثاني: المعالم الإقتصادية.

عرفت الدولة الرستمية تنوعاً في معالمها الاقتصادية من زراعة وتربية للحيوانات وصناعة على اختلاف أقاليمها بفعل موقعها الجغرافي المتميز.

– الزراعة:

تنوعت المحاصيل الزراعية من أشجار مثمرة وحبوب وهذا لتوفر المياه واعتناء الأئمة الرستميين والفلاحين بخدمة الأرض فيذكر ابن الصغير أن تيهرت لما استقبلت الأحمال الثلاثة الأولى من المشرق وبعد تقسيمها " شرعوا في ... إحياء الأموات (الأراضي البور) وغرس البساتين وإجراء الأنهر واتخاذ الرحاء والمستغلات وغير ذلك"[1]، ويظهر مدى الاهتمام بخدمة الأرض وتوفير المياه لها.

ويصفها المقدسي "... هي بلخ المغرب قد أحدقت بها الأنهار، والتفت بها الأشجار وغابت في البساتين ونبعت حولها الأعين ..."[2]، ويضيف ابن عذارى "... وهي غيضة بين ثلاثة أنهار"[3].

وذكرها البكري على أنها على نهر يأتيها من جهة القبلة يسمى مينة، ونهر آخر يجري من عيون تسمى تاتش ومنها شرب أهلها وبساتينها وهو في شرقها، وبها جميع الثمار وسفرجلها يفوق سفرجل الأفاق حسناً وطعماً ويسمى بالفارس[4]، وعرفت شهرة لفواكهها تعدت حدود المنطقة.

ويضيف الإدريسي أن بأرضها مزارع وضياع وغلاتها كثيرة وبها مدينة تيهرت مياه متدفقة وعيون جارية ولهم عليها بساتين وأشجار تحمل ضروباً من الفواكه الحسنة[5].

---

(1) ابن الصغير، المصدر السابق، ص31، أنظر كذلك يحي معمر، الإباضية في الجزائر، ص14.

(2) شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر المقدسي ،أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق محمد أمين الضناوي، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، 1424هـ/2003م، ط1، ص185.

(3) ابن عذارى،المصدر السابق، ج1، ص196، أنظر كذلك البكري، المصدر السابق، ص71.

(4) البكري، المصدر السابق، ص ص69، 70، أنظر كذلك ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص198.

(5) أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني المعروف بالشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، القاهرة، مصر، مكتبة الثقافة الدينية، 1414هـ/1994م، مج1، ص256.

ووصف اليعقوبي المنطقة التي زارها أن تاهرت بالقرب من وادي شلف وعليه قرى وعمارات يفيض كما يفيض نيل مصر ويزرع عليه العصفر والكتان والسمسم وغير ذلك من الحبوب[1].

واشتهرت مدينة شروس بجبل نفوسة بمياه جارية وكروم وأعناب طيبة وتين غزير وأكثر زروعهم الشعير وإياه يأكلون، لهم من جيد الفواكه والتمر والأرطاب[2]، وشهد هذا الإقليم التابع للدولة تنوعاً في محاصيله الزراعية.

ونجد بمدينة تنس فواكه وخضر ولها أقاليم ومزارع وبها الحنطة ممكنة جداً وسائر الحبوب موجودة، ومن السفرجل الطيب المعنق ما يفوق الوصف في كبره وحسنه، ونجد بوهران ومدينة الخضراء البساتين التي تسقى من نهر شلف الذي لهم عليه أرحاء للحبوب[3].

ويخبرنا الدرجيني عن المهدي النفوسي الذي امتلك أرض كريمة منحوت لها سد، فوق سد، قد انهدمت سدودها وخربت جسورها فأراد إصلاحها فتزوج إمرأة فكانت تساعده في الحرث وإصلاح جسوره بنقلها التراب على رأسها[4]، وهذا ما يؤكد كثرت السدود والأراضي المسقية في جبل نفوسة وعمل المرأة في الزراعة.

ونجد بجزيرة جربة حسب البكري "بها بساتين كثيرة وزيتون كثير وأهلها من الخوارج"[5]، وكانوا لما غرسوا الأرض حفوها بأعواد أثبتوها في حفر ووصلوا ما بينها بالحبال لترد عنها الوحوش لئلا تفسدها[6].

---

(1) اليعقوبي، المصدر السابق، ص197، أنظر كذلك المقدسي، المصدر السابق، ص185.

(2) ابن حوقل النصيبي، صورة الأرض، بيروت، لبنان، منشورات دار مكتبة الحياة، 1992م، ط1، ص ص92-95.

(3) الإدريسي، المصدر السابق، مج1،ص ص252، 253،أنظر كذلك ابن حوقل، المصدر السابق، ص78.

(4) أبو زكريا، المصدر السابق، ص114، أنظر كذلك الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص65.

(5) البكري، المصدر السابق، ص22.

(6) الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص85.

واشتهرت الواحات جنوباً مثل بسكرة وبلاد الجريد ووارجلان بإنتاج التمور بأنواعها فيشير ابن حوقل إلى قسطيلية على أنها كثيرة النخيل وبها التمر والعنب وهي مغوثة إفريقية بتمورها[1]، إضافة إلى قرى جبل نفوسة.

– تربية المواشي (الرعي):

كان لاهتمام الرستميين بالزراعة ارتباط بتربية المواشي في مختلف مناطق الدولة فحسب نص الإدريسي "وبها من نتاج البراذين والخيل كل حسن وأما البقر والغنم وكذلك العسل والسمن"[2].

ويذكر ابن الصغير "أن قبائل مزاتة وسدراتة وغيرهم كانوا ينتجعون من أوطانهم بالمغرب في أشهر الربيع إلى مدينة تاهرت وأحوازها لما حولها من الكلأ "[3].

ويؤكد ابن حوقل ذلك "أنها أحد معادن الدواب والماشية والغنم والبغال والبراذين الفراهية ويكثر عندهم العسل والسمن وضروب الغلات"[4]، ويشير الإدريسي أن بوهران العسل موجود وكذلك السمن والزبد والبقر والغنم بها رخيصة بالثمن اليسير[5].

ونجد وفرة الأغنام من ذلك يبيب بن زلغين أحد ملاك الماشية فكان له " ثلاثون ألف ناقة وثلاثمئة ألف شاة واثنا عشر ألف حمار"، ورعاة غنمه كلهم من عبيده[6].

ويذكر ابن حوقل عن أهل نفوسة "... وعندهم من الجمال الكثيرة في براريهم وسكان صحاريهم وأن أسعار اللحوم والأدهان في غاية الرخص"[7]، وهذا لوفرتها وكثرة تربيتها.

---

(1) ابن حوقل، المصدر السابق، ص92، أنظر كذلك عبد الحفيظ منصور، الأوضاع الإجتماعية والإقتصادية في عهد الإمارة الرستمية 144- 296هـ/761-909م، بحث مقدم للحصول على دبلوم الدراسات المعمقة في التاريخ الإسلامي، إشراف، محمد صالح مرمول، معهد العلوم الإجتماعية، جامعة قسنطينة، الجزائر، 1404هـ/1984م، ص117.

(2) الإدريسي، المصدر السابق، مج1، ص256.

(3) ابن الصغير، المصدر السابق، ص41.

(4) ابن حوقل، المصدر السابق، ص86.

(5) الإدريسي، المصدر السابق، مج1، ص252.

(6) بحاز، المرجع السابق، ص200.

(7) ابن حوقل، المصدر السابق، ص95.

– الصناعة والمهن الحرفية:

عرفت الدولة الرستمية تطوراً في الصناعة وتنوعاً في المهن المختلفة التي مارسها السكان باختلاف فئاتهم وتوجهاتهم، فيذكر ابن حوقل " أن بتيهرت الدواب والماشية والغنم والبغال والبراذين الفراهية "[1]، يتضح من هذا النص انتشار الدواب وما يستخلص منها للصناعة من الصوف والشعر التي تستخدم في صناعة الملابس الصوفية والخيام لأهل البوادي، إضافة إلى جلودها التي تدبغ وتستغل في صناعة الجلود على اختلاف مصنوعاتها الجلدية كالسروج والنعال ولحفظ المواد كالحليب.

ويضيف ابن الصغير"أنه لما دخل عليه وفد المشرق وجدوه جالساً على حصير فوقه جلد..." [2]، ومن هنا يتضح نسج الحصير بالدولة سواء من سعف النخيل أو الحلفاء أما الجلد الذي فوقه فهو من الأغنام بأنواعها ولا يزال يستعمل حتى اليوم.

وانتشرت صباغة الجلود بنفوسة من طرف نسائها ونجد ما قاله الدرجيني" أيما إمرأة مست صباغ اليهودي فليس عليها إلا غسل يديها "[3]، ويظهر أن مادة الصباغة قد اشتغل اليهود بتوفيرها.

وكان عبد الرحمن بن رستم يخرج مال الصدقة وما بقي منه يشتريه أكسية صوفاً وجباباً صوفاً وفراء وزيتاً لأهل الفاقة والعوز[4]، ووجدت الصناعة الخشبية حول مدينة تيهرت لتوفر الغابات بها فصنعت منها الصناديق الخشبية والأسِرة والخزائن البسيطة والأبواب وغيرها، ويتم تهذيب الخشب لاستعماله في صناعة البيوت والقصور[5].

واشتغل حتى الإمام "عبد الرحمن" في البناء فلما وصل أهل المشرق وجدوه يعمل في أعلى بيته بالسقف والعبد يناوله الطين[6].

---

(1) ابن حوقل، المصدر السابق، ص86.

(2) ابن الصغير، المصدر السابق، ص29، أنظر كذلك يحي معمر، الإباضية في الجزائر، ص13.

(3) الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص303، وأنظر كذلك عبد الكريم يوسف جودت، الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرن الثالث والرابع الهجريين (10/9م)، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، د ت ن، ص97.

(4) ابن الصغير، المصدر السابق، ص36، أنظر كذلك جودت عبد الكريم، الأوضاع الإقتصادية، ص91.

(5) بحاز، المرجع السابق، ص210.

(6) الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص45.

وكان للتركيبة البشرية المتنوعة من بربر وعرب وفرس وما دخلها من الأندلس فتنوعت المصنوعات من الآنية من الخزف والطين والزجاج والأثاث المنحوت والمخروط والمرصع بالعاج أو الصدف[1]، وانتشرت صناعة الحديد ومن مصنوعاتها الأسلحة كالسهام والسيوف والخناجر والدروع وغيرها من الوسائل الحديدية ذات الاستعمال اليومي إضافة إلى الأبواب وغيرها[2].

المبحث الثاني: التجار والنظم التجارية.

المطلب الأول: التجار.

تعتبر التجارة من أهم النشاطات الاقتصادية فيعرفها ابن خلدون "أنها محاولة الكسب بتنمية المال بشراء السلع بالرخيص وبيعها بالغلاء أيماً كانت السلعة من دقيق أو زرع أو حيوان أو قماش، وذلك القدر النامي يسمى ربحاً"[3].

وعرف التجار في الدولة الاستقرار في دكاكينهم أو التجوال والترحال بسلعهم إلى مختلف الأقطار والدول.

1) – التجار المستقرون:

هم تجار مستقرون ويملكون حوانيت ثابتة يبيعون فيها سلعهم، أو يأخذون أماكنهم في السوق فيلزمونها إلى المساء ليعودوا في غدهم[4]، ويذكر ابن الصغير "...حتى لا ترى داراً إلا قيل هذه لفلان الكوفي وهذه لفلان البصري وهذه لفلان القروي"[5]، وهذا ما يدل على استقرار التجار بالدولة من كل الأجناس والأوطان وتعاطيهم التجارة.

---

(1) الكعاك، المرجع السابق، ص123.

(2) بحاز، المرجع السابق، ص211.

(3) عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تحقيق، أحمد جاد، القاهرة، مصر، دار الغد الجديد 1428هـ/2007م، ط1، ص267.

(4) جودت عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية، ص146.

(5) ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين، ص32، أنظر كذلك يحي معمر، الإباضية في الجزائر، ص14.

وكان ابن الصغير نفسه تاجراً مستقراً له دكان في الرهادنة يبيع ويشتري فيه [1]، ونجد حتى أبا معروف الضرير كان تاجراً حيناً من الدهر جالساً في دكانه، دأبه أيما وزن لأحد من الناس زاده من نفسه خروبة، وإن أراد أن يأخذ لنفسه من أحد نقص خروبة [2]، وهذا يدل على أمانته ونزاهته رغم آفة العمى.

وتشير المصادر كالبكري والمقدسي وابن حوقل على وجود الأسواق بالمدينة والتجار[3]، فدلالة الأسواق تواجد التجار ومتاجرهم التي يبيعون ويشترون فيها.

واشتغل بالتجارة حتى العجم فيذكر ابن الصغير أن ابن وردة مقدم العجم إبتنى له سوقاً يعرف به وكان صاحب شرطة أفلح لا يدخله مهابة منه، إضافة إلى أبي محمد الصيرفي وابن الواسطي وكانا من وجوه التجار وهم أصحاب أموال[4].

ونجد بتيهرت الرستمية درب يعرف بالرهادنة[5]، وهو خاص بالتجار اليهود وكان لهم دور هام في التجارة سواء الداخلية أو الخارجية.

2) – التجار المتجولون:

هم تجار يتجولون بتجارتهم وينتقلون بها من مكان لآخر عبر مجموعة من المسالك والمحطات التجارية في مختلف الاتجاهات والدول وهم يشتغلون في التجارة الخارجية [6].

فيذكر ابن الصغير"...وأتتهم الوفود والرفاق من كل الأمصار وأقاصي الأقطار، واستعملت السبل إلى بلد السودان، وإلى جميع البلدان من مشرق ومغرب بالتجارة وضروب الأمتعة، والتجار من كل

---

[1] ابن الصغير، المصدر السابق، ص84، أنظر كذلك بحاز، الدولة الرستمية، ص218.

[2] الدرجيني، طبقات المشائخ بالمغرب، ج2، ص328.

[3] البكري،المغرب، ص ص69- 71،أنظر كذلك المقدسي، أحسن التقاسيم، ص185، ابن حوقل، صورة الأرض، ص86.

[4] ابن الصغير، المصدر السابق، ص ص54، 72، أنظر كذلك يحي معمر، الإباضية في الجزائر، ص115.

[5] ابن الصغير، المصدر السابق، ص ص84، 102، أنظر كذلك مسعود كواتي، اليهود في المغرب الإسلامي(من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين)، الجزائر، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، 2009م، ط2، ص122.

[6] جودت عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية، ص146، أنظر كذلك محمد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير، الجزائر، طبع بدار إحياء الكتب العربية، 1383هـ/ 1963م، ط1، ج3، ص347.

الأقطار تاجرون"[1]، و نجد كذلك كالدين يتجولون ما بين الأرياف بسلعهم، و المدن يتضح مدى رواج التجارة الخارجية ونوضح: ذلك بشكل أكبر في المبحث الرابع الخاص بالمبادلات التجارية مع مختلف المناطق.

3) – أصناف التجار:

أ) التاجر الخزَّان: هو أن يشتري السلعة في توفرها وكثرة البائعين لها وقلة الطالبين ثم يحتفظ بها منتظراً ارتفاع ثمنها وكثرة طالبيها مستفيداً من ذلك على أن يكون عارفاً بأحوال البضائع في أماكنها وبلادها ورخصها وغلائها وإن انخفض سعرها يلجأ لبيعها [2].

ب) التاجر الركَّاض: هو المتنقل من مكان لآخر قصد التجارة على أن يكون يقظاً محتاطاً بالأسعار وثمنها حتى يؤمن نفسه وتجارته وأن يتقصى عن الأماكن والمتاجر قبل دخولها[3].

ت) التاجر المجهز: هو أن يتخذ له من يجهز إليه البضائع التي يصدرها إليه ويتولى البيع والشراء وأن يكون مأموناً ميسوراً ذو خبرة تكون له حصة في العملية التجارية[4].

ث) السمسار: هو الوسيط بين البائع والمشتري وربط الصلة بين الباعة تجار السوق والمشترين الذين قصدوا السوق لقضاء حاجاتهم، ويحاول أن يتدخل في كل معاملة تجري[5].

---

[1] ابن الصغير، المصدر السابق، ص ص31، 32، أنظر كذلك الحبيب الجنحاني، المغرب الإسلامي–الحياة الإقتصادية والاجتماعية (3–4هـ/9–10م)، تونس، الدار التونسية للنشر والتوزيع، 1398هـ/1978م، ط1، ص133.

[2] أبو الفضل جعفر بن علي الدمشقي، الإشارة إلى محاسن التجارة وغشوش المدلسين فيها، تحقيق، محمود عبد القادر الأرناؤوط، لبنان، دار صادر، 2009م، ط1، ص ص 63، 65.

[3] الدمشقي، المصدر السابق، ص ص66، 67، أنظر كذلك جودت عبد الكريم، الأوضاع الإقتصادية، ص148.

[4] الدمشقي، المصدر السابق، ص ص67، 68.

[5] جودت عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية، ص ص163، 164.

ولعل أهم ما وفرته الدولة الرستمية للتجار على اختلاف أجناسهم وأعمالهم ما ذكره ابن الصغير "... لما يرى من رخاء البلد وحسن سيرة إمامه وعدله في رعيته وأمانه على نفسه وماله..."[1]، فكان ازدهار الدولة وعدالة الإمام وعماله وتوفر الأمن ساهمت في رواج التجارة داخلياً وخارجياً.

المطلب الثاني: الأسواق وتنظيمها.

1)الأسواق:

عرفت الدولة الرستمية مجموعة من الأسواق ساهمت في عملية البيع و الشراء وتبادل المنتجات فيذكر البكري أن بتاهرت أسواق عامرة[2]، أما المقدسي فيشير أنها بلد رشيق الأسواق[3]، ووجد تنوع فيها ما بين يومية المتمثلة في الدكاكين و الأسواق الأسبوعية و أسواق المدن.

أ) الأسواق اليومية المتخصصة.

هي أسواق تكون مبنية في المدن وتشمل الدكاكين العامة و المتخصصة في السلع فيذكر ابن الصغير " أنَّ لي في الرهادنة دكاناً أبيع فيه وأشتري "[4]، فنجده امتلك محل خاص به وهو من أهل العلم، وكان أبو معروف الضرير في جبل نفوسة تاجرًا في دكانه[5]. رغم فقدانه بصره فاشتغل بالتجارة .

ويضيف ابن الصغير أن ابن وردة إبتنى سوقا يعرف به فكان صاحب شرطة أفلح لا يدخله[6]، فنرى أن بعض الأشخاص لثرائهم ومكانتهم قد امتلكوا أسواق خاصة بهم .

فتيهرت رائعة في أسواقها وكان لكل سوق نوع خاص من البضاعة وحرفة خاصة من الصناعة، فهناك أسواق للنحاس والأسلحة وللصباغة والأقمشة[7]، واشتهار بعض النواحي بسلعة معينة أو وجود

---

(1) ابن الصغير، المصدر السابق، ص ص31، 32، الباروني، المرجع السابق، القسم الثاني، ص88، دبوز، المرجع السابق، ج3، ص281.

(2) البكري، المصدر السابق، ص71، أنظر كذلك الجنحاني، المرجع السابق، ص110.

(3) المقدسي، المصدر السابق، ص185.

(4) ابن الصغير، المصدر السابق، ص 84.

(5) الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص328.

(6) ابن الصغير، المصدر السابق، ص54، أنظر كذلك الجنحاني، المرجع السابق، ص115.

(7) دبوز، المرجع السابق، ج3، ص283.

فائض في الإنتاج يستدعي إقامة سوق لتصريف تلك السلعة فيقصدها الناس من قريب أو يعيد ممن له اهتمام بتلك السلع[1].

فكانت القبائل تقصد تاهرت في أيام الربيع كمزاتة وسدراتة ولربما حملوا معهم من منتجاتهم كالأصواف والجلود واللحوم وغيرها للأسواق بالمدينة وحملوا منها ما يحتاجونه كالحبوب مثلا وهو ما يبعث شيئا من الحيوية فيها[2]، وهو ما يؤكد على وجود سوق مشتركة ما بين أهل البوادي وسكان المدن، وتشير المصادر الجغرافية إلى ازدهار الدولة و غناها بالمحاصيل الزراعية كالحبوب والفواكه والمواشي مما يؤدي إلى وجود أماكن خاصة لبيع الحبوب وأخرى للمواشي وأماكن مخصصة للحرف والصناعات اليدوية[3].

ب) الأسواق الأسبوعية:

هي أسواق تعقد في يوم معلوم من الأسبوع ودَّلت المصادر على ذلك كالإدريسي الذي يذكر مدينة الغزة قرب تاهرت على أن لها سوق مشهورة في يوم معلوم (لم يحدده)، أما مدينة كزناية وهي على نهر شلف لها سوق يوم الجمعة يقصده بشرٌ كثير[4]، وهذه الأسواق لا تزال موجودة إلى يومنا هذا حسب المدن وأيامها الأسبوعية .

ت) أسواق المدن:

هي أسواق تقع على الطرق، وكانت في أصلها محطة تجارية تجتمع حولها قبائل المنطقة وما جاورها للقيام بعميلة التبادل التجاري مع القوافل المارة بالمنطقة ثم أخذت تنمو وتتطور حتى أصبحت مدنا باسم أسواقها[5]، ووجدت عدة أسواق للمدن تذكرها المصادر الجغرافية كالبكري فيذكر سوق حمزة و هي

---

(1) جودت عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية، ص 134.

(2) إحسان عباس، المجتمع التاهرتي في عهد الرستميين ، محاضرات ومناقشات الملتقى الحادي عشر للفكر الإسلامي، ورجلان 17-26صفر 1397هـ/06-15 فيبراير1977م، الجزائر، منشورات وزارة الشؤون الدينية، 1984م، مج1، ص128.

(3) عبد الحفيظ منصور، المرجع السابق، ص142.

(4) الإدريسي، المصدر السابق مج1، ص ص251-253.

(5) جودت عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية، ص256.

مدينة في الغرب من نهر الشلف، وسوق ماكسن وهوارة[1]، ويظهر هذا الأخير على أنه أقيم وسمي باسم قبيلة هوارة وعلى مضاربها وجد، ويشير ابن حوقل إلى سوق كرام على ضفاف نهر شلف، إضافة إلى سوق إبراهيم، ومدينة الخضراء لها سوق أيضا[2].

ولعل أهمها هي وارقلان فيذكر الإدريسي "أن فيها قبائل مياسير وتجار أغنياء يتجولون في بلاد السودان إلى غانة"[3]، و نظراً لموقعها الإستراتيجي فإنها كانت سوقا هامة وتوفرها على مخازن لإيداع السلع وتصريفها لتأخذ مسالكها شمالا وجنوباً[4]، فيظهر لهذا التنوع في الأسواق دلالة على الحركية التجارية وتوفر مختلف البضائع يتاجر بها تجار من مختلف الأجناس وفي مختلف الاتجاهات.

2) تنظيمها: الحسبة.

اهتمت الدولة الرستمية وأئمتها على تنظيم الأسواق لتسهيل عملية التبادل التجاري عن طريق جهاز الحسبة الذي يعرفها ابن خلدون " على أنها وظيفة دينية من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو فرض على القائم بأمور المسلمين يتخذ الأعوان لذلك ويبحث عن المنكرات ويعزز ويؤدب على قدرها ويحمل الناس على المصالح العامة في المدينة مثل ... منع الحمالين وأهل السفن من الإكثار في الحمل ... وفيما يتعلق بالغش والتدليس في المعايش وفي الموازين والمكاييل "[5].

أما ابن عبدون فيذكر"أن الاحتساب أخو القضاء"، ويجب أن يكون المحتسب رجلا عفيفا خيراً ورعا، عالماً غنياً، نبيلاً عارفاً بالأمور، محنكًا فطناً لا يميل ولا يرتشى[6]، فكان أول من تولى الحسبة أبي

---

(1) البكري، المصدر السابق ، ص ص 62، 63.

(2) ابن حوقل، المصدر السابق، ص ص 88، 89.

(3) الإدريسي ، المصدر السابق، مج1، ص 296.

(4) عمار غرايسية، من الأدوار الحضارية للمدن الصحراوية وارجلان أنموذجا، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، عدد خاص بأعمال الملتقى الدولي الأول حول الإنسان والصحراء الكبرى، قراءات تاريخية واجتماعية المنعقد يومي 27- 28 ذو الحجة 1432هـ/23-24 نوفمبر 2011م، غارداية، الجزائر طبع المطبعة العربية، 1432هـ/2011م، العدد الخامس عشر، ص 415.

(5) ابن خلدون، المقدمة، ص 217.

(6) ابن عبدون،رسالة في القضاء والحسبة ضمن ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، جمع وتحقيق، ليفي بروفنسال، القاهرة، مصر، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، 1955م، ط1، ص20.

اليقظان في إمامة أخيه أبي بكر بن أفلح حسب ما جاء به ابن الصغير " ...بل يظهر القيام له والحسبة بين يديه ...وأجرى الحق على من رضي وسخط عظم قدره أو صغر ولم تأخذه في الله لومة لائم، وكان يقوم في النهار والليل ويخبر أخاه أن المدينة اليوم هادئة وأمست هادئة "[1].

ويشير موسى لقبال أن اسم المحتسب لم يرد ذكره بهذا الاسم في تاهرت الرستمية غير أن مهامه وأعماله موجودة[2]، وهنا يظهر أن أبي اليقظان كانت أمور الحسبة بين يديه، ولكنها ظهرت بشكل جلي وواضح في إمامته فيذكر ابن الصغير: " ثم أمر قوماً من نفوسة يمشون في الأسواق فيأمرون بالمعروف وينهون عني المنكر قالوا: فإن رؤوا قصاباً ينفخ في شاة عاقبوه، وإن رؤوا دابة حمل عليها فوق طاقتها أنزلوا حملها وأمروا صاحبها بالتخفيف عنها، وإن رؤوا قذراً في الطريق أمروا من حول الموضع أن يكنسه"[3]، فنجد أن من تولى أمر المحتسب أهل نفوسة وإن لم يذكر الاسم بصفته وتتضح مهامهم داخل الأسواق.

ونجد محمد علي دبوز يذكر المحتسب باسم جهاز الشرطة وهو من يقوم بهذه المهام داخل الأسواق[4]، علماً أن الشرطة جهاز خاص وله مهمة مساعدة في المدينة للمحتسب.

3) مؤسسات في خدمة التجارة: الفنادق.

هي مساكن أقيمت للتجار الأجانب والمحليين فإذا وصلوا أي مدينة نزلوا فنادقها، فيودعون بضائعهم في مستودعاتها، وتسجل في دفاتر خاصة ويفرض ما يجب عليها من ضرائب، وتنظم الدولة عرض سلعهم للبيع كما تحرص على سلامتهم وتوفير ما يحتاجه التجار ودوابهم[5].

---

(1) ابن الصغير،المصدر السابق،ص ص63، 64، أنظر كذلك الجنحاني، المرجع السابق،ص ص116، 117.

(2) موسى لقبال، الحياة اليومية لمجتمع المدينة الإسلامية من خلال نشأة وتطور نظام الحسبة المذهبية في المغرب العربي، الجزائر، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع ، 2002م، ص 38.

(3) ابن الصغير، المصدر السابق، ص77، أنظر كذلك بحاز، المرجع السابق، ص300.

(4) دبوز، المرجع السابق، ج3، ص363.

(5) جودت عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية، ص243.

ويذكر الباروني أن في بناء تيهرت اختطوا بها بيوتاً وقصوراً وأسواقاً وحمامات ومساجد وفنادق يحيط بالكل سور محكم[1]، فهنا نجد ذكر للفنادق وحتمية وجودها هو ازدهار التجارة وكثرة التجار من كل الأقطار من السودان والمشرق والأندلس وغيرها.

وحسب ما جاء به ابن الصغير على أن قوما من جبل نفوسة توجهوا إلى الإمام أبي اليقظان بتاهرت ليقدم أميرا عليم في الجبل فأنزلهم في دار الضيافة[2]، هنا يرد ذكر مكان نزول الناس وإن كانوا بعثة سياسية فلا شك أن بعثة تجارية رسمية ستنزل بهذه الدار.

المطلب الثالث: طرق التعامل التجاري.

1)- العملة الرستمية (السكة).

عرفت الدولة تداول عدة عملات كغيرها من دول المغرب الإسلامي من الذهب والفضة والنحاس، فيعرِّف ابن خلدون السكة: "هي الختم على الدنانير والدراهم المتعامل بها بين الناس بطابع حديد ينقش فيه صور وكلمات مقلوبة ويضرب بها على الدينار والدراهم ...، ولفظ السكة اسم للطابع وهي الحديدة المتخذة لذلك، وهي النقوش الماثلة عليها"[3].

تطرقت المصادر إلى وجود عملة في الدولة والتي تمثلت في الدينار والدرهم فنجد المصادر تذكر"أن الإمام عبد الوهاب بعث ألف دينار لإخوانه بالبصرة لشراء الكتب"[4]، ويمكن أن يضاف ما ذكره ابن الصغير" فكل شيء وجد له (ابن اليقظان) من العين (النقود) في تركته سبعة عشر دينارا "، ويذكر كذلك " كان يعقوب بن أفلح بعيد الهمة نزيه النفس ما جس في يده دينارا ولا درهماً "[5]، فهنا نرى بوضوح وجود عملتي الدينار الذهبي والدرهم الفضي في حاضرة تاهرت متداولان في الأسواق ومعاملاتهم التجارية.

---

[1] الباروني، المرجع السابق، القسم الثاني، ص08.

[2] ابن الصغير، المصدر السابق، ص85.

[3] ابن خلدون، المقدمة، ص247.

[4] أبو زكريا، المصدر السابق، ص102، أنظر كذلك الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص56.

[5] ابن الصغير، المصدر السابق،ص ص 89- 98، أنظر كذلك جودت عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية، ص174.

كما وجدت فلوس نحاسية تعود إلى عبد الرحمان بن رستم ضربها في القيروان عندما كان عاملا عليها (140-144هـ/ 757- 761م) من طرف الإمام أبي الخطاب، فكتب على وجه منها " ضرب هذا الفلس بإفريقية (كذا) وعلى الوجه الآخر " سنة اثنين وأربعين ومائة وقطرها 21ملم[1]، وتعامل أهل جزيرة جربة بعملة خاصة ذكرها الدرجيني" أنَّ أهل جربة إنما يعرفون التبايع بالحندوس، ولا يعرفون الذهب، وذكر قراريط الحندوس"[2].

ويتحدث البكري عن مدينة تنس والتي كانت من أهم موانئ الرستميين، أن العملة عندهم قيراط وربع درهم وصقل، وحبتان مضروبة كلها ودرهمهم اثني عشر صقلية عددا[3]، ويؤكد الإدريسي على أن أهل وارقلان يجلبون التبر من السودان ويخرجونه إلى دور السكك في بلادهم فيضربونه دنانير[4]، وهنا نرى أن الرستميين بعد سقوط دولتهم في تاهرت وانتقالهم إلى وارجلان ربما يكونوا عوضوا دار السكة التي فقدوها.

ويشير الأثريان الفرنسيان مارسيه ولا مارا الذين نقبا عن مخلفات الرستميين في تاهرت، أكدا وجود مجموعة من النقود في الموقع بحوزة الميسيو بيريز الابن الذي ربما عثر عليها[5].

ويذكر الحبيب الجنحاني في معرض قوله " وتعوزنا دراسة علمية لبعض النقود الرستمية التي عثر عليها للتعرف على الحياة الاقتصادية "[6]، ولكنه لم يذكر مكانها ونوعها.

2)- المقايضة:

هي مبادلة سلعة بسلعة وكانت تتمثل في التجارة الخارجية خاصةً مع السودان الغربي، فنجد التجار يتجهون إلى بلاد التبر، ولهم خط لا يتجاوزه أحد منهم فإذا وصلوا إليه ضربوا طبولاً تسمع على بعد ليعلم السود بوصولهم، ثم يضع التجار الأمتعة والأكسية وينصرفون فيأتي السودان ومعهم الذهب

---

(1) بحاز، المرجع السابق، ص ص225، 226.

(2) الدرجيني، المصدر السابق،ج2، ص ص354، 355.

(3) البكري، المصدر السابق، ص65، أنظر كذلك بحاز، المرجع السابق، ص228.

(4) الإدريسي، المصدر السابق، مج1، ص 24، أنظر كذلك غرايسية، المقال السابق، ص416.

(5) بحاز، المرجع السابق، ص225.

(6) الجنحاني، المرجع السابق، ص135.

فيتركونه عند الأمتعة وينصرفون ويأتي أصحاب الأمتعة فإن أرضاهم وإلا عادوا ورجعوا فيعود السودان فيزيدونهم حتى تتم المبايعة[1]، فهذا مثال واضح عن عملية المقايضة مع أهل السودان مبني على الثقة المتبادلة بينهما.

فكانت العلاقة على أساس المقايضة فتقايض السلع المودعة على عين المكان بسلع أخرى[2].

3)- القرض:

يقوم القرض على تقديم شخص مبلغ من مال لرجل يستخدمه في التجارة أو بضاعة يبيعها ثم يستعمل ثمنها في التجارة مقابل نسبة معلومة من الربح يتفقان عليه[3]، ويشير الدرجيني إلى ذلك "ذكر أبو الربيع أن رجلاً من مزاتة قارض رجلا بمال فكان يتجر به "ويضيف " وأن رجل سأل من رجل خمسين دينارا قراضا وخمسين سلفاً "[4].

4)- الصكوك:

يذكر ابن حوقل"رأيت بأودغشت صكاً فيه ذكر حق بعضهم على رجل من تجار أودغشت وهو من أهل سجلماسة باثنين وأربعين ألف دينار "[5]، علما أن تجار تاهرت مروا بهذه المدنية في تجارتهم وتعتبر كمركز تجاري للقوافل إلى السودان و ربما تعاملوا مع بعضهم بالصكوك.

---

[1] عبد الكريم يوسف جودت، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984م، ط1، ص277.

[2] غرايسية، المقال السابق، ص419.

[3] جودت عبد الكريم، الأوضاع الإقتصادية، ص241.

[4] الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص ص345-359.

[5] ابن حوقل، المصدر السابق، ص96، أنظر كذلك غرايسية، المقال السابق، ص420.

المطلب الرابع: الموازين والمكاييل والمقاييس.

شهدت الدولة تنوعاً في موازينها ومكايلها ومقاييسها سهلت عملية البيع والشراء.

1)- الموازين:

يذكر ابن عبد الرؤوف" أن الموازين ينبغي أن يكون لها أصل يرجع إليه فيها ويعتمد عليه في صحتها وتعديل صنوجها، ويكون عند من يوثق به بتعديل الموازين على العامة والخاصة "[1].

- **الرطل:** ورد ذكره في المصادر الجغرافية كالبكري"ورطل اللحم عندهم خمسة أرطال بمدينة تيهرت وتنس رطل اللحم بها سبع وستون أوقية، ورطل سائر الأشياء اثنان وعشرون أوقية"[2].

ويضيف المقدسي"أما الأرطال فكانت بغدادية في الإقليم كله إلا الذي يوزن به الفلفل فإنه يشف على البغدادي بعشرة دراهم"[3]،وعليه فإنَّ وزن الرطل مائة وثمانية وعشرون درهما بالدرهم الذي وزن الأوقية منه أربعون درهماً[4].

- **القنطار:** ذكر تواجده في تاهرت حسب البكري " وقنطار الزيت وغيره عندهم قنطاران غير ثلث إلا المجلوب من الفلفل وغيره فإنه قنطار عدل"[5]، وعلى ذلك فإنَّ قنطار الزيت في تاهرت حوالي82كيلو غرام، أما قنطار الفلفل فهو49كيلو غرام[6].
- **الدينار:** يذكر ابن خلدون أن وزن الدينار باثنين وسبعون حبة من الشعير الوسط، ووزن المثقال من الذهب اثنان وسبعون حبة من الشعير[7].

---

(1) أحمد بن عبد الله بن عبد الرؤوف القرطبي، أداب الحسبة والمحتسب، تحقيق، فاطمة الإدريسي، لبنان، دار ابن حزم، 1425هـ/2005م، ط1، ص ص98، 99.

(2) البكري، المصدر السابق، ص ص72- 65.

(3) المقدسي، المصدر السابق، ص ص192، 193.

(4) جودت عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية، ص179.

(5) البكري، المصدر السابق، ص72.

(6) جودت عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية، ص 183.

(7) ابن خلدون، المقدمة،ص ص250، 249.

- **الدرهم:** ذكر البكري تعامل أهل تنس به"الجاري عندهم قيراط وربع درهم وصقل وحبتان مضروبة كلها، ودرهمهم أثنا عشر صقلية عدداً"، وبمدينة أرشقول درهمهم ثماني خراريب والخروبة أربعة حبات[1].

أما الدرهم الشرعي حسب ابن خلدون فهو الذي تزن العشرة منه سبعة مثاقيل من الذهب والأوقية منه أربعين درهما وهو على سبعة أعشار الدينار، خمسون حبة وخمسا حبة[2].

- **الخروبة:** ذكرها البكري عندما تعرض لمدينة أرشقول وذكر أنها تزن أربع حبات[3].
- **القيراط:** أشار له البكري في مدينة تنس " ووزن قيراطهم ثلث درهم عدل بوزن قرطبة "[4].

ونجد أن القيراط ثلاثون حبة من شعير أوسط ما يعادل 1,77 غرام[5]، ويؤكد ابن عبد الرؤوف أن تكون الكفات من حديد أو نحاس فإنها أسلم من الزيادة والنقصان فأن لم يجد فمن العود وهي أفضل من كفات الحجارة لمنع الغش والتدليس[6].

2)- المكاييل:

استعمل الرستميين عدة مكاييل في عملية التبادل التجاري داخلياً وخارجياً.

- **المد** : تطرق البكري إليه في تيهرت:"ومدهم الذي يكتالون به خمسة أقفزة ونصف قرطبية، أما أرشقول فيذكر أنَّ كيلهم ستون مدًا بمد النبي صلى الله عليه وسلم ويسمونه عمورة[7].
- **الصاع:** يتحدث الدرجيني عن استعماله في الكيل عند التطرق للمهدي النفوسي فقال "فكالهم بصاعهم لم يطفف ولم يبخس"[8].

---

(1) البكري، المصدر السابق، ص ص65-81، أنظر كذلك لقبال، المرجع السابق، ص87.

(2) ابن خلدون، المقدمة، ص249.

(3) البكري، المصدر السابق، ص81، أنظر كذلك لقبال، المرجع السابق، ص87، بحاز، المرجع السابق، ص223.

(4) البكري، المصدر السابق ، ص65.

(5) جودت عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية، ص 182.

(6) ابن عبد الرؤوف، المصدر السابق، ص100.

(7) البكري، المصدر السابق، ص ص72-81، أنظر كذلك لقبال، المرجع السابق، ص87.

(8) الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص314.

ونجد الصاع أربعة أمداد أو خمسة أرطال وثلث رطل عراقي ويرجح أن يكون مساوياً لصاع الرسول صلى الله عليه وسلم [1].

- **الصحفة:** ذكرها البكري في كيل مدينة تنس"وكيلهم يسمي الصحفة "[2]، وهي تساوي 144 مداً نبوياَ واحداً أجزائها السدس ويساوي نصف صحفة أي 12.5 مداً نبوياً [3].
- **القادوس:**أشار له البكري في مكاييل تنس وتساوي ثلاثة أمداد بمد الرسول صلى الله عليه وسلم[4].
- **الثمن:** ذكره المقدسي على أنه ستة أمداد بمد الرسول صلى الله عليه وسلم [5]، ويضيف الدرجيني أيضاً " أن أبي الخطاب وسيم أعطى ابنه لكل رجل من أهل الرفقة ثمنين قمحاً [6].
- **الوسق:** يذكر الدرجيني عن استعماله للكيل"أن عندنا أرضا كريمة قدر الكساء يحمل وسقه حباً"[7].

مما يتضح على أنه حمل جمل يساوي ستون صاعاً ويساوي ثلاثمائة وعشرون رطلاً ويساوي خمسة أقفزة ويساوي مائة وثلاثين كيلوا غراماً[8].

- **القفيز:** أشار الدرجيني عن أبي يعقوب الدمري قال" أيكون عندي ألف قفيز من طعام القيروان أو بالجربة"[9]، وهو يساوي ستة عشر ويبة، كل ويبة اثنا عشر مداً قروياً أي أنه يساوي المد النبوي و يوجد نصفه وربعه وربع النصف[10].

---

[1] جودت عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية، ص187.

[2] البكري، المصدر السابق، ص65، أنظر كذلك بحاز، المرجع السابق، ص22.

[3] جودت عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية، ص188.

[4] البكري، المصدر السابق، ص65، أنظر كذلك بحاز، المرجع السابق، ص222.

[5] المقدسي، المصدر السابق، ص193.

[6] الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص116.

[7] نفسه،ج1، ص343.

[8] جودت عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية، ص 188.

[9] الدرجيني، المصدر السابق،ج2، ص117.

[10] جودت عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية، ص ص185، 186.

واستعملت الأطوال والمسافات كاليوم والفرسخ والذراع الذي طوله الشرعي يبلغ أربعة وعشرين أصبعا والأصبع يساوي عرض ست حبات من الشعير، بطن كل حبة منها موضوع بظهر الأخرى، وحبة الشعير تساوي عرض ست شعرات من شعر ذنب البغل[1].

ويجب أن يتعاهد الأكيال بالمقادير ويصحح كيلها ويطبع على جوانبها طبعاً موصلاً بأعلاها لئلا يُزاد فيها وينقص منها وتكون عند المحتسب في زمام بأسماء أصحابها، فمتى عثر على كيل غير مضروب أو غير مطبوع، أو ليس مطبوع في زمانه عوقب صاحبه[2].

3) الأسعار.

ارتبطت الأسعار بالأسواق والسلع التي كان يتاجر بها التجار وما حولها من ظروف تؤثر في عملية البيع والشراء فيشير ابن الصغير أنه بعد مجيء أموال المشرق قوي الضعيف وانتعش الفقير وحسنت أحوالهم، وإرجاعه الأموال في المرة الثانية لرخاء البلد وتحسن أحواله [3]، وتشير المصادر الجغرافية كابن حوقل أن أهل جبل نفوسة أسعارهم في غاية الرخص في الأطعمة والأغذية والأشربة واللحوم والأدهان[4]، وهذا لتوفر المحاصيل الزراعية والمواشي، وكان للحروب وقلة الأمن دوراً في غلاء الأسعار ففي صراع الإمام أبي حاتم مع عمه أبي يعقوب بن أفلح فقد قطعت السبل وفرغ من أيدي الناس الحرث والنسل[5]، فنجد أن الأسعار مرتبطة بحالة الرخاء والازدهار والأمن.

4) النظام الجبائي:

شهدت الحركة التجارية تنظيما من خلال ما يستلزم على التجار من زكاة وما دفعوه لبيت المال أو فرض عليهم من ضرائب على بضائعهم، ويقدم لنا ابن الصغير وضعية هذا النظام بقوله "...وبيوت أمواله ممتلئة(عبد الرحمن)، وأهل الصدقة على صدقاتهم يخرجون في أوان الطعام فيقبضون أعشارهم في هلال

---

[1] لقبال، المرجع السابق، ص85.

[2] ابن عبد الرؤوف، المصدر السابق، ص ص 100، 101.

[3] نفسه، ص ص31- 33.

[4] ابن حوقل، المصدر السابق، ص95.

[5] ابن الصغير، المصدر السابق، ص99.

كل ( ) من أهل الشاة والبعير ويقبضون ما يجب على أهل الصدقات لا يَظْلِمُون ولا يُظْلَمُون، أمر بإحصاء من في البلد وفيما حول البلد ،...ثم ينظر إلى ما أجتمع من مال الجزية وخراج الأرضيين وما أشبه ذلك"[1].

ويذكر الباروني عن الإمام عبد الوهاب قوله "لو لم أكن إلا أنا وابن جرني وابن زلغين لأغنينا بيت مال المسلمين بما علينا من الحقوق الشرعية، فهو ذو ذهب وفضة وابن جرني فلاح عظيم كانت زكاته في السنة ألاف الحمل من البر والشعير، وابن زلغين ذو إبل وغنم"[2]، فنجد ابن الصغير يشير إلى الزكاة التي كانت تخرج من مال الجزية وخراج الأرضيين وما أشبه ذلك فيمكن أنها كانت تفرض على التجار وما امتلكوه من أسواق وبضائع تجارية يتاجرون بها، وهي أموال شرعية أقرَّها الإسلام وفق ما يلزمه الشرع من أحكام .

ويضيف عن الإمام عبد الوهاب أيضا وكبار الأثرياء ما كان عليهم من زكاة وأموال يدفعونها خاصة إذا كانت من قوافل تجارية هامة كالذهب والفضة التي تجلب من السودان، ويشير عثمان الكعاك إلى وجود ديوان يعرف ببيت المال لقبض الأموال الداخلة ودار الزكاة لدخول المال وخروجه[3]، إضافةً إلى الضرائب والرسوم التي كانت تأخذ من أرباب التجارات والقوافل التجارية وغيرها، وكانت تصرف في تسيير أمور الدولة [4].

[1] ابن الصغير، المصدر السابق، ص ص 35، 36.

[2] الباروني، الأزهار الرياضية، القسم الثاني، ص137.

[3] الكعاك، المرجع السابق، ص127.

[4] بحاز، المرجع السابق، ص ص293، 294.

المبحث الثالث: المراكز والطرق التجارية.

المطلب الأول: المراكز التجارية.

1) – المراكز الداخلية:

تميزت جغرافية الرستميين بمجموعة من المراكز كانت بمثابة محطات تجارية للتجار في مبادلاتهم وعلى طرق مسالكهم وسهلت لهم حركتهم داخلياً وخارجياً.

– **تاهرت:** يصفها البكري على أنها مدينة مسورة لها أربعة أبواب: باب الصفا وباب المنازل وباب الأندلس وباب المطاحن،...ولها قصبة مشرفة على السوق تسمى المعصومة ومنها إلى الغزة على ساحل البحر يومان[1]، ونجد مركزها الإستراتيجي بقربها من الساحل للتصدير والاستيراد، ونجدها تتوسط الطرق التجارية من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب، وحسب المقدسي أن من القيروان إلى فاس لابد أن تمر بتيهرت والطريق إلى سجلماسة كذلك ومن المسيلة إلى تلمسان مركز عبور أيضاً[2].

فيتضح اختيار موقعها كمحطة وممر للتجار، ويوضح ابن الصغير دور تيهرت التجاري فيذكر مجيء الوفود والتجار من كل الأقطار، المشرق والمغرب واستعملت السبل إلى السودان وأتته أنواع التجارات[3].

– **جبل نفوسة:** هو جبل عالٍ وفيه منبران لمدينتين هما شروس وجادو، والجبل دار هجرتهم على قديم الأيام لهم وبه معشر الإباضية والوهبية[4]، وهي ضياع وقرى ومزارع وعمارات كثيرة، يقدمون طاعتهم وخراجهم إلى رئيسهم بتهرت[5]، فنجدها متصلة بالرستميين وامتداد لهم وممرهم للمشرق.

ويشير الإدريسي إلى دورها كمنطلق المسالك التجارية إلى طرابلس ومنها إلى مصر أو إلى سفاقس وقسطيلية ومنها إلى وارجلان ومنطلق خطين مهمين نحو كوكو بالسودان[6].

---

(1) البكري، المغرب، ص ص69-72، أنظر كذلك اليعقوبي، البلدان، ص 192، ابن حوقل، صورة الأرض، ص86.

(2) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص197، أنظر كذلك اليعقوبي، المصدر السابق، ص ص 197، 198.

(3) ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين، ص ص31-32- 53.

(4) ابن حوقل، المصدر السابق، ص93 ، أنظر كذلك البكري، المصدر السابق، ص12.

(5) اليعقوبي، المصدر السابق، ص ص184، 185، أنظر كذلك البكري، المصدر السابق، ص12.

(6) الإدريسي، نزهة المشتاق، مج1، ص 241،أنظر كذلك البكري، المصدر السابق، ص 13

– **وارجلان:** يذكرها الإدريسي" فيها قبائل مياسير وتجار أغنياء يتجولون في بلاد السودان إلى بلاد غانة وونقارة فيخرجون منها التبر ويضربونه في بلادهم باسم بلدهم وهم وهبية إباضية"[1]،وتعتبر المنفذ الرئيسي والرئة الاقتصادية ومن القواعد التجارية الرستمية إلى بلاد السودان[2].

2) – المراكز الساحلية (الموانئ):

امتازت الدولة الرستمية بموقع استراتيجي هام بتوفرها على عدة موانئ سهلت عملية التصدير والاستيراد بحرياً.

– **ميناء تنس:** يصفه البكري " بناه البحريون من أهل الأندلس منهم الكركوني وأبو عائشة وغيرهم سنة 262هـ، ويسكن المدينة من سكان البيرة وتدمر الأندلسيتين[3]، ويؤكد اليعقوبي الذي زار المنطقة أواخر العهد الرستمي أهميته لهم ولجرانهم الأغالبة للعبور والانطلاق منه "ومن أراد جزيرة الأندلس نفد من القيروان إلى تونس وهي على ساحل البحر المالح فيبحر مسيرة عشرة أيام مسحلاً (على الساحل)، غير موغل حتى يقابل الجزيرة في موضع يقال له تنس بينه وبين تيهرت مسيرة أربعة أيام فيقطع البحر في يوم وليلة"[4]، وبهذا يعتبر أهم ميناء لتجمع التجار وإبحارهم ومركز تصدير واستيراد للبضائع.

– **ميناء وهران:** يذكر البكري "أن من بناه محمد بن أبي عون ومحمد بن عبدون وجماعة من أهل الأندلس سنة 290 هجري، وكان ملتقى ومستقر لهم"[5]، وله أهمية كبيرة حسب ابن حوقل "أنه مرسى في غاية السلامة والصون من كل ريح وله مدخل آمن"[6].

---

[1] الإدريسي، المصدر السابق، مج 1، ص296.

[2] غرايسية، من الأدوار الحضارية للمدن الصحراوية، ص 420.

[3] البكري، المصدر السابق، 64، أنظر كذلك ابن حوقل، المصدر السابق، ص 78، المقدسي، المصدر السابق، ص 185.

[4] اليعقوبي، المصدر السابق، ص192.

[5] البكري، المصدر السابق، ص84.

[6] ابن حوقل، المصدر السابق، ص79، أنظر كذلك المقدسي، المصدر السابق، ص185.

– **مرسى فروخ:** يصفه اليعقوبي "والحصن الذي على ساحل البحر ترسوبه مراكب تاهرت يقال له مرسى فروخ"[1]، وأختلف الجغرافيون في ذكر اسمه فيسميه الإدريسي حوض فروج[2]، أما البكري باسم مرسى عين فروج[3]، وهنا لا يهم الاختلاف في التسمية بقدر أهميته ودوره التجاري في عملية التبادل ما بين المدن المغربية والبلدان المجاورة.

– **جزيرة جربة:** ذكرها البكري " على أنها جزيرة معمورة يسكنها قوم من البربر ... ومنها تخرج السفن إلى مرسى الأندلس"[4]، فيتضح من هذه المراكز الساحلية أن للدولة الرستمية موقع جغرافي هام سهل لها التواصل تجارياً مع ما يجاورها بحرياً ومنطلق لسفنهم وبضائعهم.

المطلب الثاني: الطرق التجارية.

1)– الطرق البرية:

امتازت تيهرت بموقع جغرافي هام جعلها نقطة انطلاق وعبور للقوافل التجارية والتجار ما بين جيرانها سواء في الشرق أو الغرب وارتبطت بهم بمجموعة من المسالك.

فترتبط تيهرت بالقيروان عاصمة الأغالبة فيذكر المقدسي مراحل الطريق من تاهرت إلى سطيف عشرين مرحلة ثم إلى القيروان عشر مراحل، وعليه فالمسافة هي ثلاثون مرحلة (ثلاثون يوماً)[5]، ونجده يذكر طريق آخر من تيهرت إلى قسطيلية خمسة عشر يوماً ومنها إلى قفصة ثلاث مراحل وإلى القيروان سبعة مراحل، في رمال وقرى[6]، ونجد المسافة تبلغ خمسة وعشرون يوماً أو مرحلة وهو أقصر من الطريق الأول، ويذكره مرة بالأيام وأخرى بالمراحل والمرحلة تساوي اليوم.

---

(1) اليعقوبي، المصدر السابق، ص192.

(2) الإدريسي، المصدر السابق، مج1، ص271.

(3) البكري، المصدر السابق، ص84.

(4) البكري، المصدر السابق، ص 88.

(5) المقدسي، المصدر السابق، ص 197.

(6) نفسه، ص197، أنظر كذلك جودت عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية، ص203.

ويذكر البكري من تيهرت إلى القيروان تسعة عشر[1]، ويضيف اليعقوبي الطريق فيذكره مجموعة من المدن من تاهرت إلى سوق إبراهيم فالمدينة الخضراء ثم مدكره فمتيجة ثم كرام إلى هاز عبر القرى إلى سطيف إلى القيروان[2]، لكنه لم يحدد المسافة التي قطعها أما الطريق الذي يربط تيهرت الرستمية بفاس عاصمة الأدارسة غرباً فيذكر المقدسي أن من تيهرت إلى فاس خمسين مرحلة[3].

وترتبط تيهرت بسجلماسة عاصمة بني مدرار حسب اليعقوبي "ومن خرج من تاهرت سالك طريق بين القبلة والغرب وسار إلى مدينة يقال لها أوزكا ثلاث مراحل والغالب عليها فخذ من زناتة، ومنها لمن سلك مغربا إلى أرض الزناتة ثم يصير إلى سجلماسة بعد أن يسير سبع مراحل أو نحوها حسب الجد في المسير والتقصير[4] ،ومن وارجلان إلى أودغشت حسب الإدريسي إحدى وثلاثون مرحلة[5].

وارتبطت الدولة الرستمية بالمشرق بخط تجاري مباشر من تيهرت إلى برقة إلى الإسكندرية إلى الفسطاط فالرملة إلى طبرية فدمشق وحلب وتل موزن والرها وحران والرقة وهيت والأنبار فالبصرة إلى بغداد، ومنها إلى القيروان تقدر بمائة وأربعين بعد ثلاث ألاف ميل ومن القيروان إلى تيهرت ثلاثون يوماً[6]، كما ارتبطت الدولة الرستمية مع ممالك السودان الغربي بعدة طرق تجارية.

المسلك الأول: تيهرت – سجلماسة – أودغشت – غانا.

ويبدأ هذا المسلك من تيهرت إلى سجلماسة مرورًا بمدينة أوزكا وطوله عشر مراحل في قرى غير عامرة وبعضها مفازة عبر الرمال مباشرة[7]، ومن سجلماسة لمن يريد أرض السودان يسير في مفازة وصحراء قدر خمسين مرحلة ثم يلقاه قوم يقال لهم أنبية من صنهاجة الصحراء[8].

---

(1) البكري، المصدر السابق، ص 82.

(2) اليعقوبي، المصدر السابق،ص ص 190-192.

(3) المقدسي، المصدر السابق، ص، 197، أنظر كذلك جودت عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية، ص205.

(4) اليعقوبي، المصدر السابق، ص 198.

(5) الإدريسي، المصدر السابق، مج1، ص 108.

(6) بحاز، الدولة الرستمية، ص ص236، 237، أنظر كذلك محمود إسماعيل، الخوارج في بلاد المغرب، ص276.

(7) اليعقوبي، المصدر السابق، ص 198، أنظر كذلك بحاز، المرجع السابق، ص ص256، 257.

(8) اليعقوبي، المصدر السابق، ص199، أنظر كذلك جودت عبد الكريم، العلاقات الخارجية، ص ص224، 225.

ويذكر ابن حوقل "أن من سجلماسة إلى أودغشت شهران على سمت المغرب، ومن أودغشت إلى غانة بضعة عشر يوماً"[1]، أما البكري فيجعل المسافة ما بين سجلماسة وأودغشت هي إحدى وخمسون مرحلة (يوماً) مرورًا بقرية تامدلت[2].

المسلك الثاني: تيهرت – وارجلان – تادمكة – كوكو .

ينطلق هذا المسلك من تيهرت إلى وارجلان و يمر بواحة وادي ريغ وهي تتوسط هذا المسلك كفترة راحة وتوقف للتجار وقوافلهم[3]، وتتجه أحيانا من تيهرت إلى المسيلة مواطن بني برزال ويقدرها ابن حوقل بستة أيام[4]، أما الإدريسي فيجعلها في تسعة مراحل، وتفصل المسيلة عن وارجلان اثني عشر يوماً[5].

ويعتبر هذا المسلك الأقرب للوصول إلى وارجلان ثم كوكو، وتجارة المنطقة الشرقية للدولة، إضافة إلى أهل القيروان، يلتقون في بلاد الجريد، حيث مدينة قسطيلية بالجنوب التونسي، والمسافة بين جبل نفوسة و قسطيلية ستة أيام، وتفصل بلاد الجريد عن القيروان سبعة أيام[6]، ومن مدينة وارجلان إلى تادمكة خمسين يوماً تسير في الصحراء وبين تادمكة وكوكو تسع مراحل[7].

---

(1) ابن حوقل، المصدر السابق، ص91.

(2) البكري، المصدر السابق، ص 162.

(3) بحاز، المرجع السابق، ص260.

(4) ابن حوقل، المصدر السابق، ص ص 85، 86.

(5) الإدريسي، المصدر السابق، مج1،ص ص256- 296 .

(6) البكري، المصدر السابق، ص185، وأنظر كذلك بحاز، المرجع السابق، ص261.

(7) البكري، المصدر السابق،ص ص185، 186.

المسلك الثالث: جبل نفوسة – غدامس – تادمكة – كوكو

ينطلق هذا المسلك من شروس عاصمة جبل نفوسة باتجاه مدينة غدامس والمسافة بينها سبعة أيام في الصحراء[1]، ويتصل هذا المسلك غرباً بالطريق الثاني بين تيهرت وكوكو في مرحلة من مراحله ما بين وارجلان وتادمكة ويواصل جنوبا في نفس المسلك[2].

ومن غدامس إلى تادمكة أربعون يوما في الصحراء والماء فيها على مسيرة يومين والثلاثة في أحساء وبينهما وبين مدينة كوكو تسع مراحل [3]، ويستغرق المسير في هذا الطريق حسب تقدير الإدريسي وصولا إلى غانة ثلاثون مرحلة[4]، ويعتبر هذا الطريق هو الأقصر مقارنة مع طرق أخرى، كالذي ذكره البكري و لم يحدد مراحله بدقة، وتبلغ المسافة من جبل نفوسة إلى كوكو ستة وخمسين مرحلة (يوماً) على حسب الجد والتقصير في المشي وظروف الرحلة.

المسلك الرابع: جبل نفوسة – زويلة – كوارکانم.

تنطلق القوافل من مدينة جادو إحدى مدن نفوسة وتتجه جنوبا نحو زويلة في ثلاثة عشر يوماً[5]، ومنها إلى مدينة كوار خمسة عشر مرحلة وقومها بربر يأتون بالسودان[6]، ويذكر البكري أن بين زويلة وبلد كانم أربعون مرحلة[7]، وهنا يتضح أن مدينة كوار تتوسط الطريق إلى الكانم والمسافة تكون بينهما (كوار وكانم) خمسة وعشرون مرحلة.

واستعملت الجمال في الترحال لقدرتها على التحمل خاصة في الصحراء فيذكر ابن حوقل أن بالمغرب الجمال الكثيرة في براريهم وسكان صحاريهم، وأن أهل الصحراء فيهم الجرأة والفروسية على

---

(1) مجهول، الإستبصار في عجائب الأمصار، ألفريد كريمر الأستراياوي في مطبعة الدولة الإمبراطورية الأستراياوية بالمدينة المحروسة، د ب ن ، 1852م، ص ص31، 32.

(2) بحاز، المرجع السابق، ص265.

(3) البكري، المصدر السابق، ص 185 ،أنظر كذلك مجهول، الإستبصار، ص32.

(4) الإدريسي، المصدر السابق، مج1، ص296.

(5) البكري، المصدر السابق، ص13.

(6) اليعقوبي، المصدر السابق، ص 183

(7) البكري، المصدر السابق، ص14.

الإبل[1]، واستعملت الخيول أيضاً فنجد أبو نوح سعيد بن يخلف كان له أربعون فرساً، وله فرس وصل به لبلاد المشرق لأداء فريضة الحج وسافر عليه إلى تادمكة[2]، لكن استعمالها أقل خاصة في المسافات الطويلة.

واقتصرت على ذكر هذه المسالك الأربعة مع السودان الغربي وفق ما جاء به إبراهيم بحاز في كتابه: الدولة الرستمية دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية[3].

2) – الطرق البحرية:

يوج بالدولة الرستمية مجموعة من الموانئ كانت منطلقاً للطرق البحرية في مختلف الاتجاهات والغالب عليها باتجاه الأندلس.

فيذكر اليعقوبي أن ميناء تنس والذي بينه وبين تيهرت مسيرة أربعة أيام وهو من أهم موانئها ترد إليه السفن من تونس وهي على ساحل البحر المالح مسيرة عشرة أيام مسحلة (على الساحل) غير موغلة، ومنه يعبر إلى جزيرة الأندلس في يوم وليلة[4]، إلى بلد تدمر منها، ويقابله مرسى شنت بول من العدوة الأندلسية[5]، ويتضح أنه يوجد طريق بحري يربط مدينة تونس الأغلبية مع ميناء تنس الرستمي ذهاباً ومجيئاً والأهمية الكبرى لتنس، ومنه إلى مراسي الأندلس.

ونجد خط بحري آخر يربط ما بين ميناء وهران التابع للرستميين ومرسى أفلة بمدينة لورقة الأندلسية[6]، وذلك في يوم وليلة [7].

---

(1) ابن حوقل، المصدر السابق، ص ص95- 98.

(2) الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص367.

(3) بحاز، المرجع السابق، ص ص 256- 266.

(4) اليعقوبي، المصدر السابق، ص 192.

(5) البكري، المصدر السابق، ص 84.

(6) البكري، المصدر السابق، ص ص 73، 81.

(7) المقدسي، المصدر السابق، ص 185.

ويصف اليعقوبي"أن الحصن الذي على ساحل البحر ترسوبه مراكب تاهرت يقال له مرسى فروخ[1]، لكنه لم يحدد ولم يذكر من أين أتت هذه السفن أو إلى أين تتجه، وكانت المبادلات تتم بين هذا المرسى والموانئ الأندلسية بصورة متتابعة[2].

ويذكر البكري" أن جزيرة جربة منها تخرج السفن إلى مرسى الأندلس"[3]، وهنا نجد خط بحري هام جداً ويمكن لهذه السفن أن تجتمع بالسفن التي تنطلق من تونس والتي وصفها اليعقوبي.

ومن ذكر المصادر كالبلدان نرى استعمال المراكب في رحلاتهم البحرية سواء بين السواحل المغربية أو للوصول إلى الأندلس.

المبحث الرابع: العلاقات التجارية الخارجية.

المطلب الأول: العلاقات التجارية مع المغرب الإسلامي.

1)- العلاقات التجارية مع بني مدرار:

ارتبطت تيهرت حاضرة الرستميين تجارياً مع بني مدرار بسجلماسة، وظهرت بادرة العلاقة مما جاء به ابن خلدون" أن اليسع أصهر لعبد الرحمن بن رستم صاحب تاهرت بابنه مدرار في ابنته أروى فأنكحه إياها"[4]، فيتضح أن هذا الزواج الاجتماعي وطد العلاقة السياسية وبالتالي المصلحة التجارية المتبادلة بينهما وهذا للموقع الجغرافي المتميز لكلا الدولتين، ويذكر ابن الصغير "أن من كان من الإباضية بسجلماسة يبعثون بزكاتهم إلى أبي عبيدة الأعرج يصرفها في تيهرت وكان من فقهائها وعلمائها"[5]، وهذا ظاهر للارتباط المذهبي بينهما.

---

(1) اليعقوبي، المصدر السابق، ص 192.

(2) ChIkh BEKRI , LE Royaume Rostemide Le Prémier Etat Algerien, Algerie, Enag Edition, 2005, P167.

(3) البكري: المصدر السابق، ص88.

(4) ابن خلدون، العبر، ج6، ص172، أنظر كذلك الباروني، الأزهار الرياضية، القسم الثاني، ص94.

(5) ابن الصغير، المصدر السابق، ص85، أنظر كذلك بحاز، الدولة الرستمية، ص291.

إضافة إلى ربطها بخط تجاري مباشر قدره اليعقوبي بعشرة مراحل[1] (سبق ذكره)، وهو ما سهل تنقل القوافل التجارية بينهما محملة بمختلف البضائع والسلع.

وأحصى الجغرافيون زراعات وخيرات الرستميين كالمقدسي واليعقوبي والإدريسي من غرس للبساتين وإجراء للأنهر وإقامة الرحاء عليها، وتوفر الفواكه بأنواعها والحبوب، وما تنتجه من أصواف ولحوم وغيرها، وما إلى ذلك من صناعات"[2]، وهو ما ساعد على التبادل فيما بينهما، ونجد أن ما يوجد بالمغرب من منتوجات متشابهة تصدر إلى مختلف المناطق والدول كبني مدرار.

ويذكر المقدسي" أنَّ سجلماسة كثيرة التمور والأعناب والزبيب والفواكه والحبوب والرمان والخيرات، كثيرة الغرباء موافقة لهم يقصدونها من كل بلد، ومع قربها من معادن الذهب والفضة"[3]، فهذا يدل على أنها مقصد للتجار مع متاجرهم.

وأشار الإدريسي " أنَّ بها غلات القطن والكمون والكروباء والحنة ويتجهز منها إلى سائر بلاد المغرب وغيرها"[4]، وهنا يتضح مدى رواجها بدول المغرب.

ويشير البكري أنَّ بتفسيرة معدن النحاس ومن سجلماسة تدخل إلى بلاد السودان إلى غانة[5]، ويصفها الحبيب الجنحاني على أنها لم تكن خاتمة المطاف للقوافل، فهي تتجه إليها باعتبارها مركزاً تجارياً نشطاً مع بلاد السودان فهي إذن – باب لمعدن التبر- أو ميناء صحراوي تجتمع فيه بضاعتان ثمينتان هما الذهب والرقيق[6].

---

(1) اليعقوبي، البلدان، ص198.

(2) المقدسي، المصدر السابق، ص185،أنظر كذلك اليعقوبي، المصدر السابق، ص 197، البكري، المغرب،ص ص69، 70، الإدريسي، نزهة المشتاق، مج1، ص 256.

(3) المقدسي، المصدر السابق، ص186، أنظر كذلك البكري، المصدر السابق، ص 161.

(4) الإدريسي، المصدر السابق، مج1، ص 226، أنظر كذلك الحريري، الدولة الرستمية بالمغرب، ص 209.

(5) البكري، المصدر السابق،ص ص59، 52.

(6) الحبيب الجنحاني، المغرب الإسلامي، ص 178.

وما يؤكد على هذه العلاقات وجود الجاليات اليهودية في كل من حاضرتي الدولتين ودورهم في النشاط التجاري كتجار وقيامهم كوسطاء بينهما[1].

2) – العلاقات التجارية مع الأغالبة:

يذكر ابن خلدون أن عبد الرحمن بن رستم عقد علاقة مهادنه مع روح بن حاتم بن قبيصة من المهلب أمير القيروان سنة 171هـ/787م[2]، وإن كانت سياسية فهي تسمح بتوفير الأمن للقوافل وهذا ما يساعد على تحقيق التبادل التجاري بينهما على ما يبدو.

ويشير اليعقوبي " أن من القيروان تخرج إلى تونس على ساحل البحر المالح في المراكب مسيرة عشرة أيام حتى تصل إلى ميناء تنس"[3]، فيتضح لنا أن التبادل يتم بحرياً وإن لم يحدد لنا ما حملته المراكب إلا أنها منتوجات يتم تبادلها بين البلدين.

ويصف ابن الصغير رخاء تيهرت وحيوية التجارة الخارجية"...وأتتهم الوفود والرفاق من كل الأمصار والأقطار حتى لا ترى داراً إلا قيل هذا لفلان القروي، وهذا مسجد القرويين ورحبتهم، واستعملت السبل إلى جميع البلدان من مشرق ومغرب بالتجارة وضروب الأمتعة"[4]، وهنا يذكر وجود أهل القيروان واستقرارهم بتيهرت كتجار أو مسافرين لما وجدوه من عدل وترحيب أئمتها.

ومن بين ما يصدره الرستميون العصفر والكتان والسمسم، وغير ذلك من الحبوب[5]، ومن الدواب والماشية والغنم والبغال والبراذين الفراهية وضروب الغلات والمحاصيل[6]، وبذلك نجد تنوعاً في المحاصيل الزراعية (حبوب وفواكه) والحيوانية والصناعية من صوفية وجلدية ونسيجية وغيرها.

واستوردت من المدن الأغلبية مختلف المنتوجات التي لم تكن موجودة لديها أو لحاجتها لها وللتجار دور في تبادلها حسب قيمتها وأهميتها.

---

(1) عبد الحفيظ منصور، المرجع السابق، ص 131.

(2) ابن خلدون، العبر، ج6، ص 148، أنظر كذلك الباروني، المرجع السابق، القسم الثاني، ص 93.

(3) اليعقوبي، المصدر السابق، ص 192، أنظر كذلك جودت عبد الكريم، العلاقات الخارجية، ص 155.

(4) ابن الصغير، المصدر السابق،ص ص 31، 32، أنظر كذلك محمود إسماعيل، المرجع السابق، ص 278.

(5) اليعقوبي، المصدر السابق، ص197.

(6) ابن حوقل، المصدر السابق، ص 86.

فنجد مدينة قابس كثيرة الثمار والموز بها كثير وليس بإفريقية موز إلا فيها وبها شجر التوت كثير، ويربى بها دود الحرير[1]، كما يوجد بإفريقية اللوز الفريك والأترج والتين الخارمي أسود كبير[2].

وكانت تصدر إلى تيهرت، واشتهرت مدينة سفاقس بكثرة أشجار وزيتونها وزيتها أطيب من كل زيت إلا الشرقي ويخرج إلى إفريقية وتحمله المراكب إلى بلاد الروم وصقلية وإيطالية لجودته[3].

أما مدينة قفصة فأكثر البلاد إنتاجاً للفستق ومنها يجلب إلى إفريقية وبلاد المغرب والأندلس ومصر[4]، فهنا نجد تخصص بعض المدن في منتوج خاص بها يصدر منها إلى الدولة الرستمية.

3)- العلاقات التجارية مع الأدارسة:

ارتبطت الدولة الرستمية تجارياً مع الأدارسة وذلك لموقع تيهرت المتوسط للطريق التجاري داخل المغرب الإسلامي من شرقه إلى غربه وهو يربط ما بين القيروان وتيهرت وفاس فنجد المقدسي يقدره بخمسين مرحلة ما بين تيهرت وفاس[5]، وعبره تمر السلع والبضائع.

ويصف ابن الصغير التجارة بقوله"... وإلى جميع البلدان من مشرق ومغرب بالتجارة وضروب الأمتعة... والتجار من كل الأقطار تاجرون"[6]، فذكره لجهة المغرب ما يحيط به من دول غرب تيهرت فنجد الأدارسة وتعاملاتهم، وإن لم يحدد السلع لكنها على العموم تكون المزروعات من الفواكه والحبوب والأصواف والمنسوجات لتوفرها لدى الرستميين ويتم تصديرها لهم.

وعليه يمكن للدولتين تبادل مختلف المنتوجات خاصة إذا علمنا أنهما اشتهرتا بالإنتاج الزراعي والحيواني، وعلى ذلك فإن تبادلهما يمكن أن يكون بسلع مشرقية وردت عليهما بحكم العلاقات المنعقدة ما بين الطرفين ونظرائهما بالمشرق[7].

---

(1) مجهول، الإستبصار، ص3، أنظر كذلك ابن حوقل، المصدر السابق، ص72،

(2) البكري، المصدر السابق، ص44.

(3) مجهول، الإستبصار، ص7.

(4) نفسه، ص40.

(5) المقدسي، المصدر السابق، ص197.

(6) ابن الصغير، المصدر السابق، ص32، أنظر كذلك جودت عبد الكريم، العلاقات الخارجية، ص204.

(7) جودت عبد الكريم، العلاقات الخارجية، ص208، أنظر كذلك بحاز، المرجع السابق، ص243.

ويذكر الإدريسي "... وفاس عليها تشد الركائب وإليها تقصد القوافل، ويجلب إلى حضرتها كل غريبة من الثياب والبضائع والأمتعة الحسنة، وأهلها مياسير..." [1]، فنجد أن القوافل ببضائعها متواصلة بين الدولتين، وساعد على ذلك غنى أهلها وتجارها.

ويشير البكري أن فاس أكثر بلاد المغرب يهوداً يختلفون منها إلى جميع الآفاق،...وبها تفاح حلو يعرف بالأطرابلسي، ولها باب خاص لأهل القيروان يسمى باب الفتوح وهو في القبلة من المدينة[2]، وعلى ذلك يتضح الترابط ما بين يهود المغرب تجارياً، ووجود باب خاص لأهل القيروان، وقبل الوصول إليها لابد من المرور على تيهرت ومدنها، ونخصصها في نوع خاص من الفواكه تشتهر به مثلما اشتهرت تيهرت بالسفرجل الفارسي.

ويضيف ابن حوقل "أن بالبصرة المغربية لها غلات كثيرة من القطن المحمول إلى إفريقية وغيرها، وبمدينة كرت القمح والشعير والقطن"[3]، فشهرة قطنها حمل إلى بلدان المغرب.

وحسب البكري أن مدينة السوس على نهر كبير كثيرة التمر وقصب السكر، ومنها يحمل السكر إلى جميع بلاد المغرب[4]، فهذا المنتوج اشتهر به المغرب الأقصى عموماً ومنها يحمل إلى تيهرت.

المطلب الثاني: العلاقات التجارية مع المشرق الإسلامي والأندلس.

1) – العلاقات التجارية مع المشرق الإسلامي.

أقام الرستميين علاقات تجارية مع مصر والمشرق الإسلامي بحكم الترابط الديني والدعوي بينهما والمصلحة التجارية.

فيذكر ابن الصغير" ليس أحد يزل بهم من الغرباء إلا استوطن معهم، وابتنى بين أظهرهم، لما يرى من رخاء البلد، وحسن سيرة إمامه وعدله، ... حتى لا ترى داراً إلا قيل هذه لفلان الكوفي، وهذه

---

[1] الإدريسي، المصدر السابق، مج1، ص246.

[2] البكري، المصدر السابق،ص ص118، 119.

[3] ابن حوقل، المصدر السابق، ص81.

[4] البكري، المصدر السابق، ص164.

لفلان البصري، ...وإلى جميع البلدان من مشرق ومغرب بالتجارة وضروب الأمتعة" [1]، فهنا يتضح مدى تواجد التجار من المشرق واستقرارهم بتيهرت.

ووجدت علاقات مع مصر لأنها المعبر والمنفذ إلى المشرق الإسلامي واعتبرت مخزناً للبضائع المغربية والمشرقية[2]، فيخبرنا ابن الصغير أن عبد الرحمن عند مبايعته بالإمامة، أرسل له إخوته من البصرة أموال عظيمة وبعثوا بها له لتوطيد أركان دولته[3].

ونجد أنَّ الإمام عبد الوهاب بعث ألف دينار إلى إخوانه بالبصرة ليشتروا له بها كتباً فأقتضى نظرهم أنَّ يشتروها ورقاً، وتطوعوا بالمداد وأجرة النساخ والمفسرين، حتى أكملوا ديوناً عظيماً فبعثوا به إليه[4]، وكانت الكتب من أهم ما جلب من المشرق ويظهر أن الأمر ثقافي فكري لكنه يدخل في إطار التبادل التجاري المتواصل خاصة مع البصرة العراقية.

ودَّلت المصادر الجغرافية كابن حوقل على البضائع المتبادلة " أن أهم ما يُجهز من المغرب إلى المشرق المولدات الحسان، والغلمان الروم والسود، والعنبر والحرير وأكسية الصوف الرقيقة والدنية إلى جباب الصوف، وما يعمل منه والحديد والرصاص والزئبق، والخدم المجلوبون من بلاد السودان والصقالبة من الأندلس، والخيل النفيسة من البراذين والبغال والإبل والغنم، وماشية البقر وجميع الحيوان الرخيص"[5]، هذه عموماً أهم المنتوجات الرستمية المتنوعة والتي تصدر إلى باقي الأقاليم والدول كمصر والمشرق الإسلامي.

وعند موت أبي اليقظان، كان إبنه بموسم الحج، وأبو حاتم أخرجه أبوه في جيش مع وجوه زناتة ليراقبوا ويؤمنوا قوافل قد أقبلت من المشرق وفيها أموال لا تحصى[6]، وإن لم يحدد ابن الصغير بضائع تلك

---

(1) ابن الصغير، المصدر السابق،ص ص31، 32.

(2) الحريري، المرجع السابق، ص193، أنظر كذلك بحاز، المرجع السابق،ص ص244، 245.

(3) ابن الصغير، المصدر السابق، ص28،أنظر كذلك أبو زكريا، كتاب السيرة، ص88، الدرجيني، طبقات المشائخ، ج1، ص45.

(4) أبو زكريا، المصدر السابق، ص102، 103، أنظر كذلك الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص ص56، 57.

(5) ابن حوقل، المصدر السابق، ص ص94، 95.

(6) ابن الصغير، المصدر السابق، ص91، أنظر كذلك الباروني، المرجع السابق، القسم الثاني، ص265.

القوافل فيمكن أن تكون من بضائع المشرق الثمينة الغالية كالتوابل وبعض العطور والمجوهرات وغيرها من مواد أسواق بغداد والبصرة ودمشق والفسطاط[1].

ويخبرنا الباروني" أن الإمام عبد الوهاب أرسل إلى الإمام الربيع بالمشرق اثني عشر درهم، فاشترى بها الربيع سلعة وأرسلها إليه مع أخيه فكلف بها الإمام بعض تجار تيهرت فباعوها وأشتروا بها له غيرها في ثمانية أيام وأرسلوها إليه[2]، واشتغل اليهود الراذانية بالتجارة الطويلة المدى وقد وجد لهم حي بالعاصمة الرستمية تيهرت، وكان لهم دور كبير في ترويج السلع المغربية والمشرقية وغيرها[3].

فاليهود الراذانية يسافرون من المشرق إلى المغرب ومن المغرب إلى المشرق برًا وبحرًا يجلبون من المغرب الخدم والجواري والغلمان والديباج وجلود الخز والفراء والسمور والسيوف، يركبون من فرنجة في البحر الغربي ...ويحملون تجارتهم على الظهور[4]، فنجد لهم دور هام في ربط المناطق تجاريا بحركتهم.

2) – العلاقات التجارية مع الأندلس:

ارتبطت الدولة الرستمية بعلاقات تجارية مع الأندلس الأموية ووطدت علاقات ودية بينهما خاصة أن الأمويين رأوا في تيهرت ذلك الجسر الذي يربطهم بالمشرق الإسلامي مروراً بالمغرب.

وذلك لتواجد الأغالبة حلفاء العباسين في الجهة الشرقية والأدارسة العلويين في الجهة الغربية للمغرب[5].

وبلغت العلاقات بين البلدين مرحلة متقدمة باستقبال عبد الرحمان الأوسط أمير قرطبة وفدا رسميا من تيهرت من أبناء الإمام عبد الوهاب سنة 207هـ/822م، وهم: عبد الغني، دحيون، وبهرام، وبالغ

---

(1) بحاز، المرجع السابق، ص245.

(2) الباروني، المرجع السابق، القسم الثاني، ص164،أنظر كذلك محمود إسماعيل، المرجع السابق، ص202، الحريري، المرجع السابق، ص189.

(3) ابن الصغير، المصدر السابق ،ص ص84-102، أنظر كذلك كواتي، اليهود ، ص122.

(4) بحاز، المرجع السابق، ص ص 246، 247، كواتي، المرجع السابق، ص123.

(5) بحاز، الدولة الرستمية، ص248، عبد العزيز فيلالي، العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس والمغرب، الجزائر، دار هومه للطباعة النشر والتوزيع، 2007م، ط1، ص ص 110- 115.

في إكرامهم فأنفق عليهم ألف ألف دينار وأغدق عليهم الهدايا ثم أعادهم إلى بلدهم[1]، وكان لعبد الرحمان قبل وفاته أنّ عين مسعود ومروان الأندلسيين في مجلسه للشورى لاختيار الإمام[2]، وهو ما يؤكد على دورهم في ربط العلاقات السياسية والتجارية بين البلدين.

كما قام أفلح بن عبد الوهاب بعد تدمير وإحراق مدينة العباسية الأغلبية سنة 227هـ /841م والتي شكلت خطراُ على التجارة الرستمية، كتب إلى صاحب الأندلس يتقرب إليه بذلك فبعث إليه بمائة ألف درهم[3].

ويشير البكري إلى أن أهل الأندلس البحريين قاموا ببناء مينائي تنس سنة 262هـ/875م، ووهران سنة 290 هـ/902م، وكانا تابعين للرستمين ومنطلق لمراكبهم وتجارتهم، كما أن لتيهرت أحد الأبواب يعرف بباب الأندلس[4]، وهو ما يؤكد الترابط الوثيق بينهما وقوة التبادل التجاري، وكانت تصدر الدولة الرستمية إلى الأندلس مختلف المتوجات الزراعية والحيوانية والصناعية وبحسب الإدريسي: فإن تنس بها فواكه كالسفرجل والحنطة وسائر الحبوب موجود وتخرج إلى كل الأفاق في المراكب، وأن أكثر ميرة (مؤونة) ساحل الأندلس من وهران، وبوادي المرسى الكبير الذي ترسو به المراكب والسفن السفرية به البقر والغنم، وهي رخيصة الثمن ومراكب الأندلس إليها مختلفة[5].

ونجد أن أهم البضائع المصدرة والتي يستوردها الرستميين بدورهم من السودان الذهب والعبيد والأبنوس والشب، إضافة إلى العطر الزباد والعنبر والعاج والجلود الخاصة بالنمور وجوز الكولا وريش النعام وبيضه وبعض الأدوية السودانية[6]، وهنا نلحظ دور تيهرت كمركز تجاري لعبور السلع في مختلف

---

(1) فيلالي، العلاقات السياسية، ص ص111، 112، أنظر كذلك BEKRI, opcit, P 166

(2) أبو زكريا، المصدر السابق، ص ص88، 89، أنظر كذلك الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص46.

(3) ابن خلدون، العبر، ج4، ص256 ، أنظر كذلك BEKRI, opcit, P 168

(4) البكري، المصدر السابق، ص ص64- 84- 69، أنظر كذلك فيلالي، العلاقات السياسية، ص ص115، 116.

(5) الإدريسي، المصدر السابق، مج1، ص252، ابن حوقل، المصدر السابق، ص ص 78-79- 86.

(6) غرايسية، المقال السابق، ص419، أنظر كذلك فيلالي، العلاقات السياسية، ص118.

الاتجاهات جنوباً وشمالاً، وتم تصدير التمور التي تنتج في بلاد الجريد ووارجلان وجبل نفوسة بكميات كبيرة لأن البيئة الصحراوية تساعدها في النمو وطلبات الأمويين عليها كثيرة[1].

ومن أهم ما يستورده الأندلس حسب المقدسي " أنّ الرقيق البيض من الصقالبة يحملون إلى مدينة بجانة ويقوم اليهود بخصيهم وهم يتاجرون بهم[2]، ونجد بها باب يعرف بباب اليهود ويحملون إلى بلاد المغرب ومنها إلى المشرق، وبها من الصوف والأصباغ وبه تصبغ الجلود المغربية الثمينة والحرير وما يؤثرونه من ألوان الخز والقز ويجلب منها الديباج، وبها الزئبق والحديد والنحاس[3].

وما كان ينتج بها من القمح والأرز وقصب السكر، والكتان والقطن الذي يزرع بكميات كبيرة في القسم الأدنى من حوض الوادي الكبير، على مقربة من إشبيلية ومالقة [4].

ونجد المقدسي يؤكد على أنَّ أهل الأندلس أحذق الناس في الوراقة، خطوطهم مدورة[5]، فهي تجلب إلى تيهرت لأهميتها في التدوين ونسخ الكتب والرسائل .

واشتهرت بصناعة الخزف والتحف الذهبية والفضية والمصنوعات الجلدية والدروع والخوذ، وأنواع أخرى من الأسلحة المختلفة، وامتازت مدينة طليطلة بصناعة السيوف[6]، ولقد كان للتطور الاقتصادي الذي عرفته الدولة الرستمية والأموية بالأندلس ضرورة حتمية لربط العلاقات التجارية المميزة فكانت كل منهما في حاجة بضائع الأخرى.

المطلب الثالث: العلاقات التجارية مع السودان الغربي.

عرفت الدولة الرستمية علاقات مميزة مع السودان الغربي وربطتها بها بعدة طرق تجارية تسلكها القوافل المحملة ببضائع متنوعة تصديرًا وإستيرادًا، فيذكر ابن الصغير"وأتتهم الوفود والرفاق من كل

---

(1) البكري، المصدر السابق، ص55.

(2) المقدسي، المصدر السابق، ص194، أنظر كذلك ابن حوقل، المصدر السابق، ص 106.

(3) ابن حوقل، المصدر السابق، ص109، أنظر كذلك جودت عبد الكريم، العلاقات الخارجية، ص162.

(4) فيلالي، العلاقات السياسية، ص119.

(5) المقدسي، المصدر السابق، ص192.

(6) فيلالي، العلاقات السياسية، ص 120.

الأمصار، وأقاصي الأقطار واستعملت السبل إلى بلد السودان والتجار من كل الأقطار تاجرون ..."[1]، وهنا يتضح العلاقة التجارية مع السودان الغربي.

ونجد أن أفلح بن عبد الوهاب أراد السفر إلى جوجو (كوكو)، لكنه لم يرتحل لعدم إجابته عن مسألة فقهية في البيوع سأله أبوه عنها [2].لو سافر أفلح لكنا قد عرفنا الطرق والبضائع وكل ما يتعلق بالرحلة لأن المصادر ستذكر ذلك خاصة أنه ابن الأمام عبد الوهاب ، ويضيف ابن الصغير "...وكان بالبلد رجل يعرف بمحمد بن عرفة،كان وسيماً وجميلاً جوادا سمحاً، وكان قد وفد على ملك السودان بهدية من قبل افلح بن عبد الوهاب فعجب ملك السودان ما رآه من هيبته وجماله وفروسيته ، إذا ركب الخيل فهز يديه، وقال له كلمة بالسودانية ليست تعبر بالعربية لأن لا مخرج للإمساك إنما هو فيما بين القاف و الكاف والجيم، إلا أن معناها أنت حسن الوجه حسن الهيبة والأفعال [3]، ولعل هذه اللغة هي اللغة السواحلية الخاصة بالتجار.

ولعل أهم المنتجات التي يصدرها الرستميين نجد الحبوب والتمور فيذكر البكري أن قسطيلية أكثر بلاد إفريقية تمراً، ويخرج منها في أكثر الأيام ألف بعير موفورة تمرًا [4]، ويصدرون كذلك معدن الملح الذي حسب ابن حوقل فهو متوفر في أوليل ببلاد المغرب ومنها يحمله التجار الرستميين إلى مناطق السودان[5]، ويقول البكري " ومن هذا المعدن يتجهز بالملح إلى سجلماسة وغانة وسائر السودان، والتجار إليه متسايرون"[6].

---

(1) ابن الصغير، المصدر السابق، ص ص31، 32 ، أنظر كذلك دبوز، تاريخ المغرب الكبير، ج3، ص ص345، 346.

(2) الدرجيني ، المصدر السابق،ج2، ص320، أنظر كذلك محمد ناصر، دور الإباضية في نشر الإسلام بغرب إفريقيا، سلطنة عُمان، مكتبة الظامري للنشر والتوزيع، د ت ن ، ص09، أنظر كذلك بحاز، المرجع السابق، ص280.

(3) ابن الصغير، المصدر السابق، ص 62 ، أنظر كذلك الباروني، المرجع السابق، القسم الثاني، ص 223.

(4) البكري ، المصدر السابق، ص51، أنظر كذلك مجهول: الإستبصار، ص41.

(5) ابن حوقل، المصدر السابق، ص 91، أنظر كذلك الإدريسي ، المصدر السابق ، مج1 ، ص108.

(6) البكري، المصدر السابق ، ص174.

إضافة إلى تصدير المصنوعات الحديدية كالأسلحة والأقفال والأواني وآلات العمل والأفاويه والعطور والبخور[1].

ويصف الإدريسي الصادرات إلى بلاد السودان على أنها بأعداد الجمال الحاملة لقناطير الأموال من النحاس الأحمر والملون والأكسية وثياب الصوف والعمائم والمآزر وصنوف النظم من أنواع الزجاج والأصداف والأحجار، وضروب من الأفاويه والعطور وآلات الحديد المصنوع[2].

وتم تصدير بعض الفواكه التي تجفف كالتين والزبيب والحبوب من قمح وشعير لوفرتها على سواحل نهر الشلف ومينة [3]، واشتهرت الدولة الرستمية بوفرة ثروتها الزراعية والحيوانية أما أهم ما يستورد من السودان الغربي فكانت بضائع ذات قيم ثمينة، فنجد الذهب الإبريز الخالص خيوطا مفتولة و ذهب أودغشت أجود من ذهب أهل الأرض ويضيف البكري أن أفضل الذهب ما كان بمدينة غياروا إضافة إلى التبر والأبنوس والشب[4]، فكانت تحمل في القوافل إلى تيهرت فيستفاد منه أو يمر إلى باقي الدول.

إضافة إلى العبيد الذي كانوا يجمعون من أبناء السودان ويحتفظون بهم ويخفونهم زمنا من الدهر ثم يبيعونهم إلى التجار الداخلين إليهم من المغرب ببخس الثمن [5]، ونجدهم بمدينة زويلة يخرجون الرقيق من السودان لسبيهم من أجناس مختلفة وكان حتى ملوكهم يبيعونهم، إضافة إلى ما يجلب من مدينة كوار[6]، وكان يتخذ هؤلاء العبيد للخدمة في منازل الأثرياء و قصورهم و متاجرهم، وكان يتألف منهم طبقة من العاملين في المزارع والبساتين والأرحاء و في رعاية الحيوانات[7].

---

(1) دبوز، المرجع السابق، ج3، ص 347،أنظر كذلك غرايسية، من الأدوار الحضارية للمدن الصحراوية، ص 419.

(2) الإدريسي، المصدر السابق ، مج1، ص233،أنظر كذلك غرايسية، المقال السابق، ص419.

(3) المقدسي، المصدر السابق، ص 185، أنظر كذلك البكري ، المغرب ، ص69 ، الإدريسي، نزهة المشتاق، مج1، ص256.

(4) البكري، المصدر السابق ، ص ص162-179-180-186،أنظر كذلك الإدريسي، المصدر السابق ، مج1 ، ص117.

(5) الإدريسي، المصدر السابق ، مج1 ، ص110.

(6) اليعقوبي، المصدر السابق ، ص 183.

(7) إحسان عباس، المجتمع التاهرتي، ص129.

إضافة إلى التبر والعبيد نجد عطر الزباد والعنبر الرمادي و العاج والجلود الخاصة بالنمور وجوز الكولا وريش النعام وبيضه، إضافة إلى بعض الأدوية السودانية [1]، ويتضح مدى اهتمام الرستميين ببضائع السودان خاصة الذهب والعبيد من أجل ثراء وتطور الدولة، ومنها يعبر إلى باقي المدن والمناطق كالأندلس والمشرق.

– مصاعب التجارة العابرة للصحراء:

كان العبور والمتاجرة مع السودان الغربي عبر الصحراء وهي بلدان مقفرة واسعة شاقة وبها أجناس كثيرة [2]، ويذكر ابن حوقل "أنها مفاوز وبراري منقطعة قليلة المياه متعذرة المراعي لا تسلك، إلا في الشتاء وسالكها في حينه متصل السفر دائم الورود والصدر"[3]، وإذا كان ابن حوقل يجعل السفر في فصل الشتاء فإن الإدريسي يجعله في فصل الخريف[4].

وهذا للتغلب على حرارة الصحراء و يضيف "أن أرض مفازة السودان ماؤها قليل ولا عمارة بها، ولا سالك فيها إلا في النادر لقلة وجود الماء، وسالكها لا يمكنه سلوكها إلا أن يعد مع نفسه الماء لدخول هذه الأرض[5]، وهذا بمعرفة أماكن الآبار وتوفر المياه، وكان يملك الطريق (قبائل من صنهاجة الصحراء) وفيهم الجرأة والفروسية على الإبل والخفة في الجري والشدة والمعرفة بأوضاع البر وأشكاله والهداية فيه والدلالة على مياهه بالصفة والمذاكرة[6]، وربطت القوافل التجارية علاقات مع القبائل بالمنطقة للأمن وضمان الطريق.

ويوضح الإدريسي ويفصل الرحلة التجار إلى السودان بقوله "...وصفة السير بها أنهم يوقرون أحمالهم في السحر الأخير ويمشون إلى أن تطلع الشمس، ويكثر نورها في الجو ويشتد الحر على الأرض فيحطون أحمالهم، ويقيدون أحمالهم ويعرسون (يضعون) أمتعتهم ويخيمون على أنفسهم ظلالاً تحميهم من

---

(1) غرايسية، المقال السابق، ص 419.

(2) المقدسي، المصدر السابق، ص194، أنظر كذلك غرايسية، المقال السابق، ص421.

(3) ابن حوقل، المصدر السابق، ص100، أنظر كذلك جودت عبد الكريم، العلاقات الخارجية، ص258.

(4) الإدريسي، المصدر السابق، مج1، ص107، أنظر كذلك غرايسية، المقال السابق، ص421.

(5) الإدريسي، المصدر السابق، مج1، ص105، أنظر كذلك غرايسية، المقال السابق، ص ص 422، 423.

(6) ابن حوقل، المصدر السابق، ص98، أنظر كذلك الإدريسي، المصدر السابق، مج1، ص109.

الحر الهجير وسموم القائلة، ويقيمون كذلك إلى أول وقت العصر، وحين تأخذ الشمس في الميل والانحطاط في جهة المغرب يرحلون من هناك ويمشون بقية يومهم إلى وقت العتمة وهكذا سفر التجار إلى بلاد السودان"[1].

وبهذا قدمت المصادر الجغرافية خصائص المسالك العابرة للصحراء إلى السودان وما تميزت به من ظروف والطرق التي يتعامل بها التجار للتغلب على تلك المصاعب.

[1] الإدريسي، المصدر السابق، مج1، ص107، أنظر كذلك غرايسية، المقال السابق، ص ص421، 422.

الفصل الثاني:

التجارة في الدولة الزيانية.

المبحث الأول:

قيام الدولة الزيانية ومعالمها الإقتصادية.

المبحث الثاني:

التجار والنظم التجارية.

المبحث الثالث:

المراكز والطرق التجارية.

المبحث الرابع:

العلاقات التجارية الخارجية.

الفصل الثاني: التجارة في الدولة الزيانية.

المبحث الأول: قيام الدولة الزيانية ومعالمها الاقتصادية.

المطلب الأول: قيام الدولة الزيانية.

قامت الدولة الزيانية في المغرب الأوسط بتلمسان بعد تفكك الدولة الموحدية لما شهدته من أوضاع متدهورة في آخر مراحلها ومر الحكم العبد الوادي بعدة مراحل:

– مرحلة قيام وتأسيس الدولة:

شهد عهد الموحدين مرحلة الضعف بعد الفرقة التي ظهرت عليهم في آخر عهد عبد الواحد المخلوع وأيام عبد الله العادل سنة 623 هـ/1226م، والصراع مع بني مرين[1]، وبداية الخلافات داخل الدولة وخارجها بفعل الثورات، كبني غانية من بقايا المرابطين، وما اجتمع إليهم من قبائل بني هلال العربية وبطونها وهجوماتها وتخريبهم للمدن[2].

لما ضعف أمرهم ظهر بنو عبد الواد[3]، وهم من حكام تلمسان باسم الموحدين وكان منهم جابر بن يوسف وقومه وأخذوا تلمسان وأحوازها وأبقوا الخطبة والسكة للخليفة إدريس المأمون الموحدي سنة 627هـ/1229م[4].

ليحكم بعدها ابنه "الحسن" مدة ستة أشهر ثم خلع نفسه وقدم عمه عثمان بن يوسف ليحكم سنة 630هـ/1232م، ونظراً لكبر سنه وسوء حكمه وتعامله مع الناس، تمت تنحيته سنة

---

(1) أبو زكريا يحي بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق، عبد الحميد حاجيات، الجزائر، منشورات الشهاب، 2011م، ط1، ص 183.

(2) ابن خلدون، العبر، ج7، ص ص52، 53.

(3) ينتسب بنو عبد الواد إلى قبيلة زناتة وهم من ولد بادين بن محمد إخوة توجين ومصاب وزردال وبني راشد، يرتفع إلى رزجيك بن واسين بن ورشيك بن جانا، وكانوا بالمغرب الأوسط، وأصبحوا في خدمة الموحدين في عهد عبد المؤمن بن علي ومن بطونهم ستة منهم بنو ياتكتين وبنو وللو وغيرهم، ابن خلدون، العبر، ج7،ص ص 33، 34.

(4) محمد بن عبد الله التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان(مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان)، تحقيق، محمود بوعياد، الجزائر، سحب الطباعة الشعبية للجيش، 2007م، ط1، ص 113.

631هـ/1233م[1]، ليقدم بعدها بنو عبد الواد أبي عزة زيدان بن زيان، ولكن وقع خلاف مع بني مطهر "وبني راشد" ودخل في حروب معهم إلى أن قتل سنة633هـ/1236م، وقدم أخاه على رأس الدولة[2].

تولى يغمراسن بن زيان[3]، ملك الزيانيين سنة 633هـ/1236م، وتحالف مع "بني مطهر" وبني راشد وكسب ود العرب من زغبة "واتخذ الآلة ورتب الجنود والمصالح، وفرض العطاء واتخذ الوزراء والكتاب، ولبس شارة الملك والسلطان "، وأبقى على الخطبة والسكة للخليفة الموحدي في مراكش[4].

وكان الحفصيون من ورثة الموحدين أشد الطامعين في السيادة على تلمسان فلم يكد يغمراسن يقيم دولته حتى هاجمه أبو زكريا الحفصي قادماً من إفريقية سنة 640 هـ/ 1243م، ودخل تلمسان ولكن يغمراسن عقد معه صلحاً وحلفاً فيما بينهما[5].

فلما بلغ الخبر السعيد الموحدي خرج من مراكش يقصد الزيانيين تواكبه جيوش بني مرين فخرج يغمراسن إلى حصن تامزيزديت محتمياً به، ودخل معه في معركة قتل فيها السعيد سنة 646 هـ/ 1237م وقام بعدها بإصلاح أمور رعيته واهتم بتحسين إدارته، ومحاربة القبائل وضمها لصفه وتحالف مع بني حفص إلى أن توفي فخلفه ابنه من بعده[6].

---

(1) يحي بن خلدون، المصدر السابق، ص185.

(2) التنسي، المصدر السابق، ص113.

(3) يحي بن يغمراسن، مولده سنة 603 أو 605هـ، بويع يوم الأحد 633هـ، على رأس الدولة الزيانية بتلمسان، كانت له عدة جولات مع بني مرين وبني حفص، وله انجازات في مختلف المجالات، توفي سنة 681هـ، ومدة حكمه 44 سنة وخلفه ابنه أبو سعيد عثمان، يحي بن خلدون، المصدر السابق، ص ص188- 192.

(4) ابن خلدون، العبر، ج7، ص57، أنظر كذلك جورج مارسي، تلمسان، ترجمة، سعيد دحماني، الجزائر، دار النشر، التل، 2004م، ص38.

(5) أبو الوليد إسماعيل بن الأحمر، تاريخ الدولة الزيانية، تحقيق، هاني سلامة، مصر، مكتبة الثقافة الدينية، 1421هـ/2001م، ط1، ص ص 17، 18.

(6) يحي بن خلدون، المصدر السابق،ص ص136- 138،أنظر كذلك ابن خلدون، العبر، ج7، ص 70.

بويع عثمان بن يغمراسن[1]، بعد أبيه واتبع وصيته بأن عقد الصلح مع بني مرين ويتوسع في المناطق الشرقية من مغراوة وبني توجين، سنة 681 هـ/ 1283 م، ونزل على بجاية وأحوازها وحارب العرب بالمنطقة، ليتحالف بعدها الأمير الحفصي أبي حفص الموحد مع السلطان المرينيين أبو يعقوب[2].

- **مرحلة التدخل المريني:**

شهدت هذه المرحلة هجومات المرينيين على تلمسان ففي سنة 689 هـ/1290م هاجمها أبو يعقوب يوسف للمرة الأولى ورجع بعدها إلى المغرب، ليخرج عثمان بن يغمراسن إلى نواحي الشلف وضمها إلى مملكته ليعاود السلطان المرينيين الهجوم للمرة الثانية سنة 695 هـ/1295م، ليأتي هجومه الثالث ومن بعده الرابع سنة 697هـ/1297م، لكن تلمسان بقية صامدة[3].

ليتحرك بعدها ابنه يوسف بن يعقوب ويحاصر مدينة تلمسان سنة 698هـ/1298م لمدة ثمان سنين وبني مدينة المنصورة تقابلها، وعانت خلالها من ويلات الجوع والحرب وغلاء الأسعار وقلة الأقوات حتى هلك أبو سعيد عثمان الزياني أثناء ذلك[4].

ليخلفه إبنه أبو زيان محمد وحكم من سنة 703-707 هـ/1303- 1308 م، وشهد ما بقي من مراحل الحصار، رفقة أخيه أبو حمو، إلى أن قتل السلطان يوسف بن يعقوب المرينيين ورفع الحصار، ونهضوا إلى إصلاح ما تهدم وضم المناطق الشرقية إلى ملكهم[5].

---

(1) عثمان بن يغمراسن ولد سنة 639 هـ، بويع بالإمارة سنة 681 هـ، كانت له عدة انجازات وأعمال سياسية شهد الحصار المريني على تلمسان كانت له توسعات على الحفصيين توفي سنة 703هـ، وحكم 21سنة، يحي بن خلدون، المصدر السابق،ص ص193- 195.

(2) يحي بن خلدون، المصدر السابق، ص ص 113- 118، أنظر كذلك مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية (الأحوال السياسية)، الجزائر، دار الحضارة، 2007م، ط1، ج1، ص10.

(3) يحي بن خلدون، المصدر السابق، ص ص193، 194.

(4) ابن خلدون، العبر، ج7، ص ص123- 125، أنظر كذلك لخضر عبدلي، التاريخ السياسي والحضاري لدولة بني عبد الواد، الجزائر، دار ابن النديم للنشر، 2011م، ط1،ص ص85، 86.

(5) التنسي، المصدر السابق،ص ص195-197، أنظر كذلك يحي بن خلدون، المصدر السابق، ص 197، ابن خلدون، العبر، ج7، ص133.

- **مرحلة التوسع والازدهار:**

تولى أبو موسى الزياني[1] مقاليد الحكم وإصلاح أحوال مملكته عقد الصلح مع بني مرين واتجه شرقاً إلى بني حفص ودخل الجزائر ثم تونس سنة 712هـ/1312م، وحارب العرب بالمنطقة نزولاً إلى مناطقهم بالصحراء وكانت له عدة أعمال في المجال العمراني والثقافي والاجتماعي إلا أنه دخل في صراع مع إبنه أبي تاشفين إلى أن قام بعض الأعلاج بقتله[2].

تولى أبو تاشفين[3] بن أبو حمو الحكم وقام ببناء الدور وتحبير القصور، وتشييد المصانع وإغتراس المتنزهات... وقام بمحاربة القبائل الثائرة في المنطقة والجهة الشرقية حتى بجاية، وفي سنة 735 هـ/1334م، تحرك السلطان أبو الحسن المرينيبني ودخل تلمسان بالقوة سنة 737 هـ/1336[4].

- **مرحلة إحياء الدولة من جديد:**

لما استولى المرنين على تلمسان رأى أميرهم أن يستخدم بني عبد الواد على حكمها فجعل عليها الأميران أبو ثابت وأبو سعيد فأستغلا فرصة استيلاء أبي دبوس على حكم المرنين ليحكما بإسميهما، وقاما بإعادة أملاكهم والقبائل لطاعتهم[5].

ليتولى الحكم بعدها أبو حمو موسى الثاني(760- 779 هـ /1359- 1387م)، عمل خلالها على تقوية حكم بني عبد الواد، وشهد مرحلة من الحروب مع بني مرين وقبائل المنطقة، وكان خلالها أبو عنان الفارسي يهاجم تلمسان في فترات متعاقبة[6].

---

(1) أبو حمو موسى الزياني ولد سنة 665 هـ، بويع سنة 707 هـ ،كان لأسرة بني الملاح دور في حكمه، له عدة إنجازات سياسية واقتصادية وثقافية، توفي سنة 718 هـ، حكم مدة 10 سنوات ونصف، يحي بن خلدون، المصدر السابق، ص ص 198-201.

(2) التنسي، المصدر السابق، ص ص 136- 138، أنظر كذلك عبدلي، المرجع السابق، ص ص107، 108.

(3) أبو تاشفين بن أبي حمو ولد سنة 692 هـ، بويع سنة 718هـ، توسع في بلاد المغرب الأوسط وصولاً إلى الحفصيين وكانت له عدة معارك مع المرنين إلى أن قتل سنة 737 هـ، يحي بن خلدون، المصدر السابق، ص ص 202-208.

(4) يحي بن خلدون، المصدر السابق، ص ص 202- 208، أنظر كذلك ابن خلدون، العبر، ج7، ص173.

(5) التنسي، المصدر السابق،ص ص150- 153، أنظر كذلك ابن خلدون، العبر، ج7، ص210.

(6)ابن خلدون، العبر، ج7، ص ص235، 236، أنظر كذلك ابن الأحمر، المصدر السابق، ص34.

- **مرحلة الضعف والتبعية:**

شهدت هذه المرحلة بداية التفكك من حكم أبو تاشفين الثاني وتعد بداية لحالة الضعف والتبعية للمرنيين غرباً والحفصيين شرقاً رغم ما شهدته بعض السنوات من الازدهار والرخاء فخلال قرن ونصف حكم ستة عشر أميراً ونجد منهم من يعينه بني حفص كعبد الواحد ومنهم من يدفع به بني مرين وكان هناك تقاتل على كرسي السلطة وتولى السعيد بن أبي حمو مدة خمسة أشهر[1].

لتدخل الدولة الزيانية في صراعات مع الأتراك العثمانيين من جهة ومع الإسبان الذين هاجموا السواحل الزيانية بداية من حكم محمد الرابع الزياني سنة 910هـ /1405م واستولى الإسبان على ساحل وهران سنة 915 هـ/1410م[2].

المطلب الثاني: المعالم الإقتصادية.

عرفت الدولة الزيانية نشاطاً اقتصاديا وتنوعاً في الثروات الزراعية والصناعية بمختلف أنواعها ساهمت في رواج الحركة التجارية وازدهارها داخلياً وخارجياً:

1. الزراعة:

اشتهرت بتلمسان المزارع والبساتين وتنوع إنتاجها ويصف يحي ابن خلدون ذلك "وتحف بخارجها الخمائل الألفاف والأدواح الأشبة، والحدائق الغلب بما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين من الفواكه والرمان، والزيتون، وبها الأنهار يسقى بها مخارج الشجر ومنابت الحب... "[3]، فنجده قدم صورة كاملة عن أنواع المحاصيل وطرق سقايتها.

---

[1] التنسي، المصدر السابق، ص184 وما بعدها، أنظر كذلك عبدلي، المرجع السابق، ص ص 150- 153.

[2] عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني(دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية، ثقافية)، الجزائر، موفم للنشر والتوزيع، 2002م، ط1، ج1، ص75.

[3] يحي بن خلدون، المصدر السابق، ص 108، أنظر كذلك حساني، المرجع السابق(الأحوال الاقتصادية والثقافية)، ج2، ص28

ويضيف حسن الوزان" وتنمو بمدينة هنين الساحلية أنواع من الثمار كالكرز والمشمش والتفاح والإجاص والخوخ..."[1]، وكانت تلمسان مدينة خضراء من كثرة البساتين والأشجار، كثيرة الزرع والشجر، تمتاز بالماء البارد والهواء المعتدل[2]، وهذا ما ساعد على تنوع المحاصيل والفواكه الموجودة.

ونجد انتشار أشجار الزيتون الذي تستخرج منه كميات كبيرة من الزيت ووجود الكروم تحمل عنباً حلواً لذيذ الطعم وبالقرب من المدينة عدة طاحونات للحبوب[3].

وبندرومة أشجار تدعى "الخروب" ثمارها حلوة، يصنع أهلها منها عسلاً يأكلونه طول السنة مع اللحوم، ويحصد سكانها كمية من القمح والشعير ويملكون عددًا كبيراً من القطعان، وبذلك يصنعون أجمل ما في بلاد البربر من أقمشة الصوف[4].

وحسب بن الصباح: "... بمدينة وهران الحرث والنسل والخصب من الزرع الغالب من الحنطة واللحم والسمن والفواكه..." [5] . وبهذا نجد تكامل ما بين المدن الزيانية في الإنتاج الزراعي حسب جغرافية وموقعية كل إقليم وما به من إمكانيات.

وذكر يحي بن خلدون عن مزارع تلمسان "... مريعة الجنبات منجبة للحيوان والنبات، كريمة الفلح، زكية الإصابة، فربما انتهت في الزوج الواحد بملاتة إلى أربعة مئة مد كبير وهو ستون برشالة، زنتها ثلاثة عشر رطلاً من البر، سوى الشعير والباقلاء..."[6] نجده يذكر إنتاج مساحة زراعية من المحاصيل بالوزن وهذا نص صريح لشاهد عايش بعض مراحل الدولة.

---

(1) الحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، ترجمة، محمد حجي، محمد الأخضر، لبنان، دار الغرب الإسلامي، 1983م، ط2، ج1،ص ص15، 16.

(2) الحاج عبد الله بن الصباح، أنساب الأخبار وتذكرة الأخيار، تحقيق، محمد بن شريفية، المغرب، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، 2008م، ط1، ص95.

(3) كاربخال مرمرل، إفريقيا، ترجمة، محمد حجي، محمد زنيبر وآخرون، المغرب، مطابع المعارف الجديدة، 1408-1409هـ/1988- 1989م، ط1، ج2، ص294.

(4) كاربخال، المصدر السابق، ج2، ص295، أنظر كذلك حساني، المرجع السابق، ج2، ص30.

(5) ابن الصباح، المصدر السابق، ص95، أنظر كذلك حساني، المرجع السابق، ج2، ص31.

(6) يحي بن خلدون، المصدر السابق، ص114.

وخارج المدينة الكروم المعروشة تنتج أعناباً من كل لون وأنواع الكرز والجوز واللوز والبطيخ والخيار، وبالقرب منها أرحية لطحن القمح على نهر سفسيف[1].

ونجد زراعة الخضر في بساتين الزيانيين كالفول والجزر والكرنب والبصل والخيار والباذنجان، وانتشرت زراعة القطن وهي من المحاصيل الهامة التي أدخلها العرب إلى بلاد المغرب وله أهمة في صناعة النسيج ونجده بندرومة ومستغانم[2].

وتفنن الناس في جلب مياه الأنهار، أو استخراجها من باطن الأرض، وحفر القنوات وإقامة السدود، والطواحين، وأصبحت زراعة الحبوب تكفي حاجيات السكان، وتصدر منها كميات إلى الخارج كأهل غرناطة بالأندلس[3]، ويتضح تنوع مصادر المياه والسقي.

2. تربية المواشي(الرعي):

ذكر الوزان "... أن أحد النساك بمنطقة البطحاء له خمس مئة من الخيل ذكوراً وإناثاً، وعشرة آلاف من الغنم، وألفين من البقر ..." [4] ونجد أن العلماء امتلكوا المواشي وانتشرت تربية الخيل والبغال والحمير، وهي مخصصة للركوب وحمل الأثقال وفي الحروب، واستعملت الثيران في حرث الأرض[5].

وعرفت المناطق الداخلية تربية المواشي بين قبائل المنطقة ما بين تيهرت وتلمسان، وسط قبائل زناتة ومغراوة وبني راشد وبني عبد الواد، وتمارس الارتحال بحثاً عن الكلأ والماء ولها مراعي منتشرة حول السهول[6].

---

(1) الوزان، المصدر السابق، ج2، ص231، أنظر كذلك عبدلي، المرجع السابق، ص189.

(2) خالد بلعربي، الدولة الزيانية في عهد يغمراسن، دراسة تاريخية وحضارية (633- 681هـ/1235-1282م)، الجزائر، دار الألمعية للنشر والتوزيع، ط1، 2011م، ص20، أنظر كذلك حساني، المرجع السابق، ج2، ص31.

(3) عبدلي، المرجع السابق، ص189.

(4) الوزان، المصدر السابق، ج2، ص29

(5) الونشريسي، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي، تحقيق، كمال السيد أبو مصطفى، مصر، مركز الإسكندرية للكتاب، 1996م، ط1، ص58، أنظر كذلك عبدلي، المرجع السابق، ص ص189، 190.

(6) حساني، المرجع السابق، ج2، ص ص32، 33.

ونجد تربية النحل لإنتاج العسل ويحملون الشمع والجلود إلى الشواطئ لبيعها للتجار الأوروبيين[1]، مما يدل على الكفاية المحلية والتوجه للتصدير خارجياً.

3. الصناعة والمهن الحرفية:

انتشرت الصناعة وذلك لتوفر العديد من المواد الأولية فتشير المصادر الزيانية كيحي بن خلدون "وأناس تلمسان غالب تكسبهم الفلاحة وحوك الصوف يتفانون في عمل أثواب الرقاق فتلقى الكساء أو البرنس عندهم من ثمان أواق، والإحرام من خمس... ومن لدنهم يجلب إلى الأمصار شرقاً وغرباً"[2]، فقدم لنا صورة عن صناعة النسيج والصوف ورواج تجارتهم.

ويشتغل سكان منطقة تفسرة بالقرب من تلمسان بالحدادة ويتوفرون على عدد من المناجم، يستخرجون منها مادة عملهم، ومعظم تجارة أهلها في الحديد الذي يحمل إلى تلمسان قصد البيع[3]، ويمكن أن يحمل خام أو مصنوعات للتسويق في أسواق المدينة وكان لأهل معسكر الكثير من الماشية استغلت أصوافها في صناعة المنسوجات والحبال والسروج والمصنوعات الجلدية[4].

ويشير كاربخال"وكان الصناع أناس لطفاء بسطاء...ويصنعون أشياء متقنة يعملون أقمصة وزرابي فاخرة، ومعاطف صغيرة وكبيرة ورفيعة جداً حتى أنه يوجد منها ما لا يزن حتى عشر أواق، فضلاً عن طقوم فاخرة للخيل مع ركابات جميلة، ولجم ومهاميز، وهي من أجود ما يصنع من رؤوس اللجم في إفريقيا"[5].

وكان أبو تاشفين الأول حسب التنسي"مولعاً بتحبير الدور، وتشييد القصور مستظهراً على ذلك بآلاف عديدة من فعلة الآساري، بين نجارين وبنائين وزلجين، وزواقين، وشيد الدور كدار الملك ودار

---

(1) الوزان، المصدر السابق، ج2، ص45.

(2) يحي بن خلدون، المصدر السابق، ص 116. أنظر كذلك مارسي، المرجع السابق، ص 100.

(3) كاربخال، المصدر السابق، ج2، ص 323، أنظر كذلك عبدلي، المرجع السابق ، ص 192.

(4) الوزان، المصدر السابق، ج1، ص 26.

(5) كاربخال، المصدر السابق، ج2، ص300، أنظر كذلك عبدلي، المرجع السابق، ص 191.

السرور والصهريج الأعظم"[1]، فهنا يظهر مدى تطور البناء والهندسة المعمارية الزيانية لما احتوته من زخارف وفنون وبنى البلاد وشيد القصبات والأسواق والمساجد وكان يفتخر بالمال والخزائن وزينة الثياب وكنوز الذهب والفضة والذخائر من الجوهر النفيس واللؤلؤ والزمرد[2].

وقال ابن خلدون "ولم يزل عمران تلمسان يتزايد، وخطتها تتسع، والصروح بها بالأجر والقرميد... فاختطوا بها القصور المونقة والمنازل،... ونفقت بها أسواق العلوم والصنائع..." [3].

المبحث الثاني: التجار والنظم التجارية.

مارس التجارة في العهد الزياني تجاراً من مختلف الديانات والأمصار وقد عرَّف ابن خلدون التجارة "فهي محاولة الكسب بتنمية المال بشراء السلع بالرخص وبيعها بالغلاء، أيَّما كانت السلعة من دقيق أو زرع أو حيوان أو قماش، وذلك القدر النامي يسمى ربحاً" [4].

المطلب الأول: التجار.

1. **التجار المسلمون:**

يصف الوزان التجار بقوله " نجدهم أناس منصفون مخلصون وأمناء في تجارتهم يحرصون على أن تكون مدينتهم مزودة بالمؤن على أحسن وجه، وأهم أسفارهم التجارية إلى السودان الغربي، وهم وافروا الغنى أملاكاً ونقوداً ..." [5] وهنا تظهر صفاتهم ودورهم في توفير السلع.

وكان بعضهم ينتقل بسلعه حسب ابن بطوطة " أن برحلته رافقه تاجر تلمساني يعرف بالحاج زيان، وأكترى له محمد بن الفقيه الجازولي داراً يسكنها.

---

[1] التنسي، المصدر السابق، ص 150.

[2] ابن الصباح، المصدر السابق، ص ص92، 93.

[3] ابن خلدون، العبر، ج7، ص 54.

[4] ابن خلدون، المقدمة، ص367.

[5] الوزان، وصف إفريقيا، ج1، ص21، أنظر كذلك مارسي، تلمسان، ص98، فيلالي، تلمسان، ج1، ص 218.

وكان معه صهره عبد الواحد وابنه وهم من التجار المستقرين بمالي"[1]، فهذا يؤكد على التبادل التجاري مع جنوب الصحراء.

ونجد الإخوة المقري الخمسة "فعقدوا الشركة بينهم فكان أبو بكر ومحمد بتلمسان وعبد الرحمن بسجلماسة، وعد الواحد وعلي بأيوالاتن...،وكان التلمساني يبعث إلى الصحراوي بما يرسم له من السلع، وبيعت إليه الصحراوي بالجلد والعاج والجوز والتبر ..."[2].

وكانوا أحياناً يكلفون من يتاجر عنهم، ويحرس قوافلهم أو يستأجروا وكيلاً لهم يسافر بالبضائع، ويعقد الصفقات ويدفع الديون إن وجدت، ويتعامل مع التجار الآخرين بنفسه[3]. وكانوا يتجرون بالتبادل محققين كثيراً من الربح حتى لتكفي رحلتان أو ثلاث ليستغني التاجر[4]، وهنا يظهر أهمية التبادل كماً ونوعاً وقيمة.

وازدهرت التجارة فكانت تلمسان سوقاً كبيرة يلتق بها التجار القادمون من مختلف أنحاء المغرب والأندلس وأوروبا وبلاد السودان والمشرق، فيتعاملون مع بعضهم البعض تصديراً واستيراداً[5].

2. التجار اليهود:

اشتغل اليهود بالتجارة وتكاثر عددهم منذ 793هـ/1391م، عندما اضطهدهم الإسبان وطردوهم من الأندلس، واشتغلوا بالتجارة الخارجية.

---

(1) إبن بطوطة، رحلة ابن بطوطة المسماة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق، طلال حرب، لبنان، دار الكتب العلمية، 2007م، ط4، ص ص 685- 691، أنظر كذلك فيلالي، تلمسان، ج1، ص 217.

(2) أحمد بن محمد القري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق، إحسان عباس، بيروت، لبنان، دار صادر، 1409هـ/1988م، ط1، مج5، ص205.

(3) لطيفة بشاري، التجارة الخارجية لتلمسان في عهد الإمارة الزيانية من القرن السابع إلى القرن العاشر الهجري بين(13- 16م)، رسالة ماجستير، إشراف، موسى لقبال، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1406- 1407هـ/1986- 1987م، ص208، أنظر كذلك فيلالي، تلمسان، ج1، ص213.

(4) كاربخال، إفريقيا، ج2، ص300، أنظر كذلك غرايسية، من الأدوار الحضارية للمدن الصحراوية، ص 419.

(5) لطيفة بشاري، مكانة تلمسان في العهد الزياني، مجلة دراسات تراثية، الجزائر، 2007م، العدد الأول، ص26.

إلى جانب الحرف اليدوية وساعدهم استقرارهم بمدن حوض البحر الأبيض المتوسط[1]، ونجدهم بتلمسان ووهران.

ولهم بتلمسان حارة تضم 500 مسكن، وكانوا أغنياء يضعون على رؤوسهم عمائم صفراء تميزهم[2]، ومن بين هؤلاء "إسحاق بن باروخ" و"أبو سعيد بن خلفون"، اللذان جرت بينهما مراسلة بتاريخ 10 أكتوبر 1133م، إذ أرسل الأول من مدينة ألمرية بالأندلس بضاعة إلى الثاني بتلمسان قدم إليها من فاس، وهنا يظهر الدور الذي قام به اليهود لتنشيط التجارة الخارجية[3].

وساعدوا القطلانيين على تعاطي تجارة الذهب والعبيد، وكلفوا بمقايضة الذهب الوارد من تلمسان ببضائع المملكة، وكانوا يساهمون في ربط علاقات تجارية مع الدولة الزيانية تصديراً وإستيراداً[4]، ودعموا الحركة التجارية وتنميتها، ودعم الدخل الضريبي بفضل رؤوس الأموال التي ملكوها، وقدموا قروضاً للتجار الزيانيين الصغار إضافة إلى السلع لبيعها كوكلاء، ونجد بعض العائلات اليهودية من أصل ميورقي تتاجر باستمرار مع تلمسان[5]، وبهذا نجدهم استقروا في المدن الكبرى والتي تمر بها القوافل التجارية.

كما عملوا في الفضة والصيرفة، واشتهروا بقرض المال مقابل ضمانات وفوائد ومن أهم السلع نجد الأسلحة والتوابل والحرير، ويوزعون بضائعهم على تجار تلمسان لتسويقها بالمدن الداخلية لأن أغلب نشاطهم كان خارجياً[6].

---

(1) مصطفى علوي، الأحوال الاقتصادية للمغرب الأوسط من خلال كتب الرحالة والجغرافيين المغاربة ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين/الثالث عشر والخامس عشر الميلاديين، دورية كان التاريخية الالكترونية، مصر، ديسمبر 2011م، السنة الرابعة، العدد الرابع عشر، ص89، أنظر كذلك بشاري، المرجع السابق، ص209.

(2) الوزان، المصدر السابق، ج2، ص20، أنظر كذلك فيلالي، تلمسان، ج1، ص195.

(3) كواتي، اليهود في المغرب الإسلامي، ص124.

(4) عمر سعيدان، علاقات إسبانيا القطلانية بتلمسان في الثلثين الأول والثاني من القرن الرابع عشر الميلادي، تونس، منشورات سيعدان، 2002م، ط1، ص33، أنظر كذلك بشاري، المقال السابق، ص27.

(5) فيلالي، تلمسان، ج1، ص193، أنظر كذلك حساني، المرجع السابق، ج2، ص164.

(6) بشاري، المقال السابق، ص27.

وساهم اليهود في تصدير أهم المنتوجات كالزيت والصابون والشمع والزعفران ونبات الصباغة والقطران وعقود المرجان وغيرها أما الواردات التي قاموا بجلبها فنجد ملح الأمنيوم والخامات التي تستعمل في تصنيع الجواهر والنباتات الطبية والعقاقير لأن بعضهم كانوا أطباء[1].

3.التجار المسيحيون:

قدم لنا الوزان وصفاً للتجار الأوربيين وإقبالهم بسفنهم على الموانئ الزيانية كوهران وهنين والمرسى الكبير"وكان يتجه إليهم عدد وافر من تجار جنوة والبندقية، حيث يتعاطون تجارة نافقة عن طريق المقايضة، ويحققون ربحاً كثيراً"[2].

وكانوا يجلبون من أوروبا سلعاً مختلفة يبيعونها في المدن الزيانية خاصةً الساحلية منها، وساهموا في التجارة الخارجية ولم يتوغلوا داخلياً ماعدا تلمسان حيث تتوفر أماكن إقامتهم[3]، وسكنوا الفنادق ولهم دكاكين يستأجرونها لبيع سلعهم وتقوم الدولة بحمايتهم لأن نشاطهم يعود عليهم والخزينة بالفائدة[4]، ونجدهم ينزلون بالفنادق الخاصة بطائفتهم وبها كنيسة ومقبرة، وتعتبر مقر لإقامة ممثلي الجاليات الأجنبية، كما أن لكل دولة فندقها وأمينها الخاص، ويسمى بالقنصل وهو بمثابة واسطة بين تجار الفندق والسلطة المحلية[5]، وبهذا تعتبر الفنادق مؤسسات تجارية متكاملة من إدارة مدنية وهيكلة عمرانية متناسقة.

وقدم الوزان وصفه مشاهدة وصول سفينة جنوية حملت من البضائع ما يمون تلمسان لمدة خمسة سنوات، وبلغت قيمة الرسوم التي قبضها الملك عشرة آلاف مثقال ذهباً مسكوكاً، وكانت فنادقها على النمط الإفريقي منها إثنان لمقام تجار جنوة والبندقية[6].

---

(1) كواتي، المرجع السابق، ص123.

(2) الوزان، المصدر السابق، ج2، ص09، أنظر كذلك بشاري، المرجع السابق، ص226.

(3) بشاري، المرجع السابق، ص211، أنظر كذلك فيلالي، تلمسان، ج1، ص190.

(4) فيلالي، تلمسان، ج1، ص190، أنظر كذلك عبدلي، المرجع السابق، ص201.

(5) رشيد بورويبة وآخرون، ضمن كتاب الجزائر في التاريخ(العهد الإسلامي)، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984م، ص 484، أنظر كذلك بشاري، المقال السابق، ص27.

(6) الوزان، المصدر السابق، ج2، ص ص 15- 20، أنظر كذلك عبدلي، المرجع السابق، ص 201.

ولحسن هذا النشاط التجاري نلاحظ توفر المرونة الكافية في المعاملات والقوانين، وحرص الجميع على تذليل الصعوبات،وكان المقصد الأساسي للجميع هو الثراء والربح[1].

4.أصناف التجار:

* **التاجر الخزّان:** يترتب على هذا أن يشتري السلعة وقت رخصها وتوفرها وقلة الطالبين عليها وحفظها وتخزينها، ثم إعادة بيعها بعد انقطاعها وقت غلائها[2]، ويضيف ابن خلدون على ذلك باسم الاحتكار قوله" إن احتكار الزرع لتحين أوقات الغلاء المشئوم وأنه يعود على فائدته بالتلف والخسران..." [3].

* **التاجر الرّكاض:** هو التاجر المتنقل من بلد لآخر أو من مدينة لأخرى بحثاً عن السلع للمتاجرة، وعليه أن يكون على علم بما يبتاعه وبالأسعار والمكان الذي يقصده [4]وحسب ابن خلدون "فإن التاجر البصير بالتجارة لا ينقل من السلع إلى ما تعم الحاجة إليه من الغني والفقير والسلطان والسوقة"[5].

* **التاجر المجّهز:** يتخذ وكيلاً في بلد معين حيث يجز إليه السلع ويتولى هذا القابض بيعها وشراء الأعواض" البديل" عنها وتكون له حصة في الربح وأن يكون أميناً وله خبرة بالتجارة وصاحب أموال[6].

* **الوكلاء:** كان التجار يوكلون من ينوب عنهم في استثمار أموالهم وبيع سلعهم، فنجد الشيخ الفقيه أبي إسحاق إبراهيم بن يخلف التنسي (680هـ/1280م) الذي كلف المؤرخ ابن القطان باستثمار بعض أمواله للتجارة، فاتخذا طريق فاس وسبتة فباع واشترى ثم عاد بأحمال البز والمتاع ثم اتجه إلى بجاية للاتجار حتى كثرت أمواله[7].

---

[1] سعيدان، المرجع السابق، ص ص 57.

[2] الدمشقي، الإشارة إلى محاسن التجارة، ص63.

[3] ابن خلدون، المقدمة، ص369.

[4] الدمشقي، المصدر السابق، ص ص66، 67، أنظر كذلك غرايسية، المصدر السابق، ص420.

[5] ابن خلدون، المقدمة، ص 369.

[6] الدمشقي، المصدر السابق، ص67، أنظر كذلك غرايسية، المصدر السابق، ص420.

[7] فيلالي، تلمسان، ج1، ص218، أنظر كذلك بشاري، التجارة الخارجية، ص208.

* **السماسرة:** يعين لدى كل جالية سماسرة يتولون عملية البيع بالمزايدة أو في حلقة بحضور الشهود [1]، ويوجد كذلك الموالين والدلالين والبراحين، ومرافقي القوافل التجارية وباعة الطريق وهم من صغار التجار[2].

المطلب الثاني: الأسواق وتنظيمها.

انتشرت الأسواق في عهد الدولة الزيانية فكانت من الركائز الأساسية للعملية التجارية وما ينتج عنها من بيع وشراء، وعرض مختلف البضائع والمنتجات وكانت منظمة حسب البضائع والسلع التي يملكها التجار وهي موزعة على أنحاء المدينة وفي دروبها وفي الأسواق العامة المتخصصة، وامتازت بالنشاط والتطور بفضل المخازن والمصانع، واشتغل بها حتى العلماء والفقهاء[3]، ونجد:

- **الأسواق اليومية:**

نجدها في كل مدن الدولة كأجادير بتلمسان التي تباع بها مختلف السلع والبضائع يومياً، وبها سوق يومي يدعى سوق منشار الجلد[4]، وتتم في المحلات والدكاكين وحول المسجد وفي القيسارية، وكانت البضاعة المستوردة تباع مباشرة لتجار التجزئة في المدينة وكان بنو مرزوق يحترفون التجارة في دكاكين لهم بالقيسارية ودرب مرسى الطلبة[5].

---

[1] بشاري، المرجع السابق، ص220، أنظر كذلك فيلالي، تلمسان، ج1، ص ص215، 216.

[2] فيلالي، تلمسان، ج1، ص219.

[3] فيلالي، تلمسان، ج1، ص134، أنظر كذلك بلعربي، الدولة الزيانية، ص245.

[4] خالد بلعربي، الأسواق في المغرب الأوسط خلال العهد الزياني، دورية كان التاريخية الإلكترونية، مصر، ديسمبر، 2009م، السنة الثانية، العدد السادس، ص32.

[5] فيلالي، تلمسان، ج1، ص ص217، 218.

– السويقة:

هذا المركز هو سوق يشتري منه سكان الحي ما يحتاجون إليه من سلع وليس هذا اللفظ هو تصغير للسوق في المساحة، حيث نجد به الجزار والخضار وغيره ويتم البيع بالتجزئة للاستهلاك العائلي، وتكون قريبة من الأحياء السكنية[1].

– الأسواق الأسبوعية:

وهي التي تعقد في يوم معين من أيام الأسبوع فذكر الوزان "بمدينة معسكر يعقد فيها كل يوم خميس سوق يباع فيه عدد وافر من الماشية والحبوب والزيت والعسل وكثير من منتجات البلاد"[2]، والظاهر أنه كان مختص بالمواد الزراعية والحيوانية ونجد سوق يعقد كل يوم الأربعاء من الأسبوع بمدينة تلمسان ويسمى بسوق سيدي بوجمعة وتباع فيه أشياء مختلفة منها حاجات الجياد كالسروج والمهاميز واللجام[3].

– أسواق المدن:

هي أسواق في بادئ الأمر، ونظراً لاتساعها وحيويتها استقر السكان حولها وبنو مساكنهم لذلك أصبحت تعرف بهذا الاسم فيذكر الإدريسي منهم" سوق إبراهيم، والخضراء سوقها يجتمع إليه أهل تلك الناحية، وسوق كزيانة، وسوق قرية ريغة..."[4] وبقيت هذه الأسواق على أسماء مدنهم ويقصدها التجار عبر الأزمنة لموقعها الإستراتيجي سواء على طول مسالك القوافل التجارية أو على الأنهار أو لتوفر المنطقة على إمكانيات زراعية وصناعية.

---

(1) عمر بلوط، فنادق مدينة تلمسان الزيانية، الجزائر، مؤسسة الضحى للنشر والتوزيع، 2011م، ط1، ص ص 89 ، 90.

(2) الوزان، وصف إفريقيا، ج2، ص26.

(3) حساني، تاريخ الدولة الزيانية، ج2، ص49، أنظر كذلك بلعربي، المرجع السابق، ص246.

(4) الإدريسي، نزهة المشتاق، مج1، ص ص251، 252، أنظر كذلك حساني، المرجع السابق، ج2، ص45.

الأسواق المتخصصة في السلع:

هذه الأسواق تكون متخصصة في سلعة معينة كالنسيج أو الحديد فيذكر التنسي " أن مصحف عثمان بن عفان ﷺ وجده رجل فدخل به تلمسان، وعرضه للبيع ،وكان ينادي به في سوق بيع الكتب"[1]، فهذا دلالة على وجود سوق خاصة ببيع الكتب.

وقسمت حسب نوعية البضائع المعروضة للبيع أو حسب الحرف كسوق الغزل والعطارين والحدادين والخياطين، انتشرت في شوارع معينة عرفت بها"فدروب العَباد" كانت معظمها للصباغين منتشرة على مجموعة من الدكاكين [2].

وحسب كاربخال "فإن سكان مدينة تفسرة بالقرب من تلمسان يشتغلون بالحدادة ويتوفرون على عدد من المناجم، ومعظم تجارة أهلها في الحديد ويحملونه إلى تلمسان للبيع" [3]، فهذا يدل على وجود سوق لبيع الحديد ومختلف السلع التي تصنع منه.

– الأسواق العسكرية:

التي كانت تصحب أحياناً الجيوش العسكرية في تنقلاتها وخاصة إذا علمنا أن الزيانيين كانت لهم عدة حروب مع المرنين والحفصيين إلا أنَّ المعلومات عنها قليلة [4].

– القيسارية:

وجد في تلمسان مدن تجارية " تعتبر كمجمعات تجارية حالياً " تتكون من أسواق متعددة، وهي عبارة عن مجموعة من البنايات على شكل رواق فيه محلات وورشات ومخازن ومساكن وتمثل مكان لدفع الجمارك[5].

---

[1] التنسي، تاريخ بني زيان، ص124.

[2] بلعربي، الأسواق، ص33، أنظر كذلك فيلالي، تلمسان، ج1، ص124.

[3] كاربخال، إفريقيا، ج2، ص323.

[4] بلعربي، الأسواق، ص33.

[5] بسام كامل عبد الرزاق شقدان، تلمسان في العهد الزياني 633-962هـ/1235-1555م، رسالة ماجستير، إشراف، هشام أبو رميلة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 1422هـ/2002م، ص206.

قام بتأسيس القيسارية السلطان أبو حمو موسى الأول فوق مساحة كبيرة بوسط مدينة تلمسان بالقرب من المشور (القلعة)، وبجوار مسجد سيدي إبراهيم المصمودي وحي اليهود ويحيط بها سور به عدة أبواب، وتمتاز بسعتها وتنظيمها المحكم وتشمل على أروقة مغطاة[1].

ومن أهم المنتوجات التي تباع بها نجد المصنوعات النسيجية والأقمشة والكتان بالإضافة إلى عمليات التبادل التي تتم داخلها [2] واشتهر سوق القماش داخل القيسارية بوجود مقياس طولي "ذراع" موحد لكل السوق وعلق داخلها وطوله حوالي 47سم، وضعه السلطان أبو تاشفين عبد الرحمن الأول (718- 749هـ/1318- 1348م) [3].

– تنظيم الأسواق "الحسبة":

ظهرت الحسبة في الدولة الزيانية من أجل تنظيم المبادلات التجارية ومراقبة التجار والسلع.

فيعرفها ابن خلدون: "هي وظيفة دينية من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو فرض على القائم بأمور المسلمين يعين لذلك من يراه أهلاً له، ويتخذ الأعوان لذلك، ويبحث عن المنكرات ويؤدب على قدرها ويحمل الناس على المصالح العامة..."[4].

ويضيف ابن عبد الرؤوف "يجب أن يكون المحتسب رجلاً عفيفاً خيراً ورعاً عالماً وغنياً ونبيلاً عارفاً بالأمور محنكاً، فطناً لا يميل ولا يُرتشى ..."[5]، وهذه الصفات التي يجب أن تتوفر في المحتسب وبلغت الحسبة ذروتها في عهد السلطان أبو حمو موسى الزياني الثاني الذي اهتم بالأسواق والمحتسبين وترك وصية لابنه أبو تاشفين الثاني أكد عليه أن يعتني بهذه الخطة وأصحابها وتضمنها كتابه "واسطة

---

[1] فيلالي، تلمسان، ج1، ص ص135، 136، أنظر كذلك بشاري، المقال السابق، ص28، بلوط، المرجع السابق، ص80.

[2] بلوط، المرجع السابق، ص ص81، 82، أنظر كذلك حساني، تاريخ الدولة الزيانية، ج2، ص51.

[3] شقدان، المرجع السابق، ص206، أنظر كذلك مارسي، تلمسان، ص99، بلوط، المرجع السابق، ص82.

[4] ابن خلدون، المقدمة، ص217، أنظر كذلك لقبال، الحسبة المذهبية، ص23.

[5] إبن عبد الرؤوف، آداب الحسبة والمحتسب، ص20.

السلوك في سياسة الملوك" [1]، فمهمة منع الغش بأنواعه والتحايل على حقوق الناس ومراقبة سلامة المقاييس والبضائع، ومكافحة الغلاء والعملة وتداولها وما تعلق بالأسواق [2].

وكان المحتسب يراقب الأسواق بنفسه أو وكلائه على أن يغيرهم من حين لآخر خشية الاتفاق أو الارتشاء من التجار، وإذا ارتاب في دكان أو سلعة يبعث له صبياً للشراء منه وإذا خالف تعرض له بالعقوبة بالتوبيخ ثم السجن وبعدها التشهير ليصل الأمر بالنفي عن السوق[3].

وكانت تعرف بـ "صاحب الحسبة" ونجد محمد بن أحمد العقباني صاحب كتاب "تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر" وكان قاضياً بمدينة تلمسان[4]، وهو ما يؤكد وجود الحسبة.

– مؤسسات في خدمة التجارة الفنادق:

تتشابه وظيفة الفندق مع الخان وتخطيطه، وهو اصطلاح ظهر في المغرب الإسلامي للدلالة على نزل أعد لإقامة الإنسان والحيوان، وكان يتكون من فناء أوسط تحيط به من الجهات الأربع أبنية ذات طابقين، خصص الأرضي منها لإيواء دواب التجار أما العلوي فهو لإيواء التجار والمسافرين[5].

وأشار الجغرافي الوزان "أنه يوجد بمدينة تلمسان فنادق على النمط الإفريقي منها اثنان لمقام تجار جنوة والبندقية ويوجد بوهران فندق للجنويين"[6].

وكان التجار ينزلون بالفنادق الخاصة بطائفتهم، وبها كنيسة ومقبرة وكانت مسؤولية حمايتها على عاتق السلطان الزياني، وتعتبر مقر لإقامة ممثلي الجاليات الأجنبية كما أن لكل دولة فندقها وأمينها

---

[1] بلعربي، الأسواق، ص34، أنظر كذلك فيلالي، تلمسان، ج1، ص229.

[2] الونشريسي، المعيار المعرب، ص72، أنظر كذلك لقبال، المرجع السابق، ص81،.

[3] فيلالي، تلمسان، ج1، ص227.

[4] بوزياني الدراجي، نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1993م، ط1، ص246.

[5] بلوط، المرجع السابق، ص90، أنظر كذلك بشاري، مكانة تلمسان التجارية، ص28.

[6] الوزان، المصدر السابق،ج2، ص ص20، 30، أنظر كذلك حساني، تاريخ الدولة الزيانية، ج2، ص53.

الخاص ويسمى بالقنصل، وهو بمثابة رابطة بين تجار الفندق والسلطة المحلية[1]، وتعتبر بمثابة مكان إداري لتسيير أمور التجار ونجد بها كذلك حمامات وأفران وحتى بعض السجون للمخالفين من التجار وفي بعض الأحيان حانات للمسيحيين وحتى قاعات للمحاكمة وإقامة القناصل لمدة ثلاث سنوات[2].

كما وجدت فنادق خاصة بالنزلاء المحلين، أو من الغرباء المسلمين وكان يشبه النوع الأول، غير أن الكثير من المحرمات ممنوعة فيه وكان صاحب السوق أي المحتسب هو الذي يقوم بالإشراف عليها[3].

ومن أشهر الفنادق الزيانية نجد فندق "الرمانة" حيث تبلغ مساحته 20 متر مربع ويقع في الحي الاقتصادي للمدينة (القيسارية).

وفندق "المامي" الذي يقع بالقيسارية ومساحته 150 متر مربع وأيضاً فندق"أبو علي" وتبلغ مساحته 200 متر مربع، وكانت وظائفهم في إيواء التجار والمسافرين والعائلات وبداخله مجموعة من المتاجر للحرفيين[4].

ولكن هل كان للتجار الزيانيين فنادق خاصة بهم في المدن الأوروبية ؟ فيذكر "دوفورك" أن تجار المغرب الأوسط يعيشون في إقامات وأماكن خاصة بهم في ميورقة[5].

---

(1) بورويبة وآخرون، المرجع السابق، ص484.

(2) فيلالي، تلمسان، ج1، ص138، أنظر كذلك بشاري، المقال السابق، ص29.

(3) الونشريسي، المصدر السابق، ص74، أنظر كذلك بلعربي، الأسواق، ص33.

(4) بلوط، المرجع السابق، ص ص98- 102- 103.

(5) CHARLES EMMANUEL DUFOURCQ , L'Espagne CATALANE ET LE MAGHRAIB AUX SIéSLES, FRANCE, PRESSES , UNIVERSITAIRES DE FRANCE, 1966, P 471.

المطلب الثالث: طرق التعامل التجاري.

1. **العملة (السكة).**

ظهرت بالدولة الزيانية مجموعة من النقود باختلاف أوزانها وعباراتها وأشكالها وتعاملت في مراحلها الأولى بالعملة الموحدية، لتظهر في عهد أبو حمو موسى الأول أول عملة خاصة بهم.

ويعّرف ابن خلدون السكة "هي الختم على الدنانير والدراهم المتعامل بها بين الناس بطابع حديد ينقش فيه صور أو كلمات مقلوبة ويضرب بها فتخرج رسوم تلك النقوش عليها ظاهرة ...، ولفظ السكة كان إسماً للطابع وهي الحديدة المتخذة لذلك... "[1].

واشتغل بنو الملاح من أهل قرطبة بسكة الدنانير والدراهم لأمانتهم واتصلوا بخدمة عثمان بن يغمراسن وابنه[2]، وكتبوا لهم في سكتهم"ما أقرب فرج الله" وهذه العبارة هي استبشار برفع الحصار المرينييني على تلمسان الذي دام ثمان سنوات [3].

ووجد الدينار الذهبي والدرهم الفضي وأجزاء الدينار والدرهم وهذه الأجزاء هي نصف الدينار ½، وربع الدينار¼، وثمن الدينار 8/1، وتم اكتشاف 32 ديناراً ذهبياً [4].

وأول دينار يعود للسلطان أبو حمو موسى الأول(708هـ/1308م) ونجد على وجه وظهر هذا الدينار دائرتين ومربعين، فعلى الوجه وفي الدائرة كتبت عبارة "ضرب بمدينة تلمسان حرسها الله وأمنها"، وكتب داخل المربع "بأمر من عبد الله موسى أمير المسلمين أيده الله ونصره"، أما على ظهر القطعة فعلى الدائرة نقرأ " وإلهكم إله واحد لا إلى إلا هو الرحمن الرحيم"، أما داخل المربع فكتب" بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وآله. لا إله إلا هو محمد رسول الله، ما أقرب فرج الله"[5]، والملاحظ على

---

[1] ابن خلدون، المقدمة، ص247، أنظر كذلك بوزياني، المرجع السابق، ص104.

[2] يحي بن خلدون، بغية الرواد، ص ص198، 199، أنظر كذلك ابن خلدون، العبر، ج7، ص164.

[3] ابن خلدون، العبر، ج7، ص128، أنظر كذلك بلوط، الفنادق، ص58.

[4] بوزياني، المرجع السابق، ص227.

[5] بورويبة وآخرون، المرجع السابق، ص488، أنظر كذلك عبدلي، التاريخ السياسي، ص168.

الكتابة هو عبارات الثناء والدعاء واسم السلطان الذي ضرب العملة، ويزن 4,66 غرام وطول قطره 32 سم[1]، والغالب وزن الدينار يتراوح ما بين 4,44 إلى 4,95 غرام بمعدل 4,70 غرام[2].

ونجد دينار لأبي تاشفين عبد الرحمن(717-737هـ) وعليه في الوجه الأمامي والخلفي دائرتين ومربعين، وفي داخل الدائرة في الوجه الأمامي كتب"أمير المؤمنين عبد الرحمن بن الخلفاء الراشدين" وفي داخل المربع من الوجه الأمامي نجد كتابة " لا إله إلا الله محمد رسول الله، ولا غالب إلا الله، والأمر كله لله، ولا قوة إلا بالله" وفي داخل المربع من الوجه الخلفي كتب" بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على محمد وآله والحمد لله رب العالمين والشكر لله على نعمته والشكر لله يوم الدين" وفي داخل قطع الدائرة من الوجه الخلفي كتب«ضرب بمدينة تلمسان أبقاها الله تعالى للمسلمين"[3].

والملاحظ على العبارة الأخيرة أن دور ضرب العملة كانت موجودة داخل مدينة تلمسان وتوجد كذلك العملة الفضية وكان درهم الدولة الزيانية يزن حوالي غراماً واحداً ونصف وأجزاؤه هي النصف والربع والثمن وبلغ وزنه حوالي 1,5 غرام[4].

وأشار بن خلدون " ... ومن الخيل بعشرة دراهم صغار من سكتهم ..." [5]، وهنا يتضح إستعمال هذه النوع من النقود في إشارته إلى الأسعار زمن الحصار المرينييني على تلمسان،

كما أنه تم التعامل بأنواع مختلفة من القطع منها:

- **الدراهم**: وهي من الذهب بدون سك وليست بها أي رسم أو أية كتابة.
- **النحاس**: استعملت قضبان من النحاس الأحمر في طول الشبر والنصف وهي على نوعين:
- **الرقاق**: وتعادل ستمئة مثقال من الذهب ويصرف في شراء اللحم والحطب[6].

---

[1] بوزياني، المرجع السابق، ص228.

[2] شقدان، المرجع السابق، ص215، أنظر كذلك بلعربي، الأسواق، ص34.

[3] عبدلي، المرجع السابق، ص169، أنظر كذلك بوزياني، المرجع السابق، ص229، 230.

[4] بشاري، التجارة الخارجية، ص230.

[5] ابن خلدون، العبر، ج7، ص126.

[6] بشاري، المرجع السابق، ص ص231، 232.

– **الغلاظ:** وتعادل أربعمئة مثقال من الذهب ويصرف في شراء العبيد والذرة والسمن والقمح.

– **الحديد:** كان في شكل قطع وينقسم إلى ثلاثة أنواع: التي تزن رطل أو نصفه أو ربعه وتشتري بها سلع ذات قيمة محدودة كالحليب والخبز والعسل.

– **الودع:** نجد أربعمئة ودعة تعادل دوكا أو مثقالاً واستعملت في المبادلات اليومية[1].

ويشير الوزان " ويسك الملك نقوداً من الذهب الردئ كالدنانير التي تسمى في إيطاليا سلاتشي، غير أن القطة الواحدة ديناراً وربعاً إيطالياً لكونها كبيرة جداً، ويسك أيضاً نقوداً فضية غير خالصة وأخرى نحاسية متفاوتة القيمة والنوع"[2]،وهذا يدل على وجود تزييف العملة المتداولة.

2. المقايضة:

تعتبر من الأساليب التي تعامل بها التجار الزيانيين في مبادلاتهم التجارية وهي عملية تبديل سلعة بسلعة أخرى ويذكر الوزان "أن تجار جنوة والبندقية ينزلون إلى ميناء وهران، ويتعاطون تجارة عن طريق المقايضة"[3] وهنا تعامل التجار الأوروبيين مع الزيانيين في الموانئ.

وأوضح الرحالة ابن بطوطة الذي سافر مع قافلة تجارية بها زيانيين "أن أهل تغازى يتصارفون بالملح مع أهل السودان كما يتصارفون بالذهب والفضة، يقطعونه ويتبايعون به ويتعامل فيها بالقناطير المقنطرة من التبر"[4] ونرى أن الملح كان مادة أساسية للمقايضة.

3. السلف:

تعامل التجار بالسلف وخاصة منهم اليهود، ويكون السلف نقدًا بالنقد أو نقدًا بسلعة أو سلعة بأخرى وهو أكثر شيوعاً وانتشاراً كما كانوا يتعاملون بتأجيل الدفع إلى ما بعد البيع [5] ونجد ذلك في

---

[1] بشاري، المرجع السابق، ص ص232، 233.

[2] الوزان، المصدر السابق، ج2، ص23.

[3] نفسه، ج2، ص09، أنظر كذلك بشاري، المرجع السابق، ص226.

[4] ابن بطوطة، الرحلة، ص684، أنظر كذلك عبد القادر زبادية، مملكة سنغاي في عهد الأسقيين1493- 1591م، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د ت ن، ص 222.

[5] بشاري، المرجع السابق، ص226.

المعاهدة التي عقدها السلطان يغمراسن مع الملك آراغون جاقمو الثاني جاء في نصها "وإذا أردتم سلف ذهب فلنسلف لكم ما تيسر لنا بعد أن تعطونا الضمان والرهان في الذهب"[1]، مما يؤكد أن الذهب كان متوفر لدى الزيانيين و به يسلفون مقابل ما يحتاجونه.

4. الشركات التجارية:

لعل أكبر دليل على هذه الشركات هو شركة الإخوة المقري وذكرهم جدهم الكاتب "... فعقدوا الشركة بينهم في جميع ما ملكوه، أو يملكونه على السواء بينهم... فكان أبو بكر ومحمد بتلمسان وعبد الرحمان وهو شقيقهما الأكبر بسجلماسة، وعبد الواحد وعلي وهما شقيقاهما الصغيران بإيوالاتن وكان التلمساني يبعث إلى الصحراوي بما يرسم له من السلع و السجلماسي كلسان الميزان يعرفهما بقدر الخسران والرجحان... "[2] وهنا يتضح مدى التنظيم والازدهار في المبادلات التجارية.

5. الصكوك :

ذكر ابن حوقل " رأيت بأودغشت صكاً فيه ذكر حق لبعضهم على رجل من تجار أودغشت، وهو من أهل سجلماسة باثنين وأربعين دينار..."[3]، إذا كان هذا في القرن الرابع الهجري وإذا علمنا بالتطور التجاري في القرن السابع الهجري وما بعده فلابد أن الصكوك وجدت في العهد الزياني، ونجد شركة المقري كان نشاطها على مستوى طريق السودان عبر أودغشت، وتعتبر هذه المدينة مركز تجاري وملتقى لقوافل المغرب الإسلامي مع السودان الغربي.

---

[1] سعيدان، المرجع السابق، ص66، أنظركذلك DUFOURCQ ، opcit, P 475

[2] المقري، نفح الطيب، مج5، ص205، أنظر كذلك مارسي، تلمسان، ص98.

[3] ابن حوقل، صورة الأرض، ص96.

المطلب الرابع: الموازين والمكاييل والمقاييس.

اهتم الزيانيين بتنظيم تعاملاتهم التجارية وفق موازيين ومكاييل ومقاييس محددة ومتعامل بها تحددها السلطة ويشرف المحتسب على مراقبتها.

1- الموازين:

- **المثقال:** يحتمل أن يكون المثقال أقدم وحدة للوزن عند العرب، وهو يطابق السوليدوس الروماني الذي اتخذه الخليفة عبد الملك بن مروان وحدة لوزن الذهب أثناء إصلاحه وأصبح الدينار يزن مثقالاً من 65 حبة ونصف (4,25 غرام)، لذلك أعتبر المثقال مرادفًا للدينار[1]، ووزنه من الذهب اثنان وسبعون حبة من الشعير ونجد وزن الدينار باثنين وسبعين حبة من الشعير الوسط[2].
- **الدرهم:** يقدر وزنه شرعاً "هو الذي تزن العشرة منه سبعة مثاقيل من الذهب والأوقية منه أربعين درهم وهو على هذا سبعة أعشار الدينار10/7 فالدرهم الذي هو سبعة أعشاره خمسون حبة وخمسا حبة"[3] وذكر البكري في مدينة تنس البحرية أن درهمهم باثنتي عشر صقلية[4]، وإن كان عصره متقدم في القرن(5هـ/11م) إلى أن المدينة فيما بعد تصبح تابعة للزيانيين.

وكثر استعمال الدرهم في العهد الدولة الزيانية، والأوقية من الزيت باثنتي عشر درهما، ومن السمن بمثلها[5]، ويقدر وزنه مابين 1,49و1,50 غرام[6].

---

(1) بشاري، المرجع السابق، ص ص233، 234، أنظر كذلك شقدان، تلمسان في العهد الزياني، ص218.

(2) ATALLAH DHINA , LE ROYAUME ABD ELOUADIDE AL'EPOQUE D' ABOU HAMMO MOUSSA 1ER ET D' ABOU TACHFIN1ER, ALGERIE, OFFICE DE PUBLICATION UNIVERSITAIRES, P171.

(3) ابن خلدون، المقدمة، ص249، أنظر كذلك بلعربي، الأسواق، ص34، DHINA , opcit, P 171

(4) البكري، المصدر السابق، ص65.

(5) ابن خلدون، العبر، ج7، ص126.

(6) بشاري، المرجع السابق، ص234، أنظر كذلك شقدان، المرجع السابق، ص218.

- **الأوقية:** تزن سبعة مثاقيل، أي حوالي 29,75 غرام[1].
- **القيراط:** أصله قراط، ويقدر بنصف دانق، قيمته نصف عشر الدينار أو نصف الدرهم، ويزن 0,75 غرام، ويتكون من أربع أو خمس حبات[2].
- **الحبة:** تشير أغلب المصادر أن الحبة تمثل1/60 من وحدة الوزن المستعملة أي عشر دانق، وتختلف وحدة الوزن المستعملة فهناك حبة وزن الفضة أو الذهب أو المثقال[3] أو الدرهم وباعتبار وحدة وزن الذهب هي المثقال، وهو إثنان وسبعون حبة من الشعير (4,25غ)[4]، فيكون الوزن المحتمل للحبة حوالي 70 أو 71 ملغراماً[5].

قال بن عبد الرؤوف " أن الموازين ينبغي أن يكون لها أصل يرجع إليه فيها ويعتمد عليه في صحتها وتعديل صنوجها، ويكون ممن يوثق فيه تعديلها على العامة والخاصة[6].

ويضيف في كفات الموازين "يجب أن تكون من حديد أو نحاس، فإنها أسلم من الزيادة، والنقصان أو من العود وهي أفضل من كفات الحجارة وهذا لمحاربة الغش"[7].

2- المكاييل:

- **الصاع:** يعادل أربعة أمداد نبوية، والصاع الشرعي يساوي أربعة حفنات أما الوسق فيساوي ستين صاعاً بصاع الرسول ﷺ [8]، فيذكر العقباني التلمساني أن صاعاً قديماً استعمل في تلمسان

---

[1] شقدان، المرجع السابق، ص 219.

[2] بشاري، المرجع السابق، ص 235.

[3] نفسه، ص235، أنظر كذلك شقدان، المرجع السابق، ص219.

[4] ابن خلدون، المقدمة، ص 249.

[5] بشاري، المرجع السابق، ص235.

[6] ابن عبد الرؤوف، المصدر السابق، ص ص98، 99.

[7] ابن عبد الرؤوف، المصدر السابق، ص 100.

[8] الونشريسي، المصدر السابق، ص82.

" يعرف بالتاشفيني" وعوض بصاع أكبر في زمانه عرف "بالوهراني" وكان يقدر بحوالي 45 لتراً[1].

- **المد:** هو المد النبوي الذي جلب من المدينة المنورة إلى بلاد المغرب والأندلس وكان حوالي رطل وثلث، والرطل يساوي اثنتي عشر أوقية، وعلى هذا فإن المد النبوي يساوي ستة عشر أوقية[2]، وعند بني زيان فإن المد هو ستون برشالة [3].
- **البرشالة:** وكانت تستعمل في كيل الحبوب وتزن حسب إبن خلدون اثنتي عشر رطلاً ونصف أما يحي بن خلدون فيذكر أنها ثلاثة عشر رطلاً [4].
- **الرطل:** يستعمل للوزن ويقدر بإثني عشر أوقية [5]، وقدر في القرن (5هـ/11م) حسب البكري في تنس وأرشقول ورطلهم إثنان وعشرون أوقية[6]، وفي القرن السادس عشر بـ 340 غرام [7].
- **القنطار:** وهو معيار وزن الذهب أو الفضة وكان يستعمل في تلمسان ويختلف وزنه من مكان لآخر[8].
- **المودي:** هو مقدار من الحبوب توضع في كيس من الجلد وتحمل[9].
- **الويبة:** يأتي ذكرها فيما يتعلق بكيل الحبوب والدقيق ويتسع إثنين وعشرين مداً بمد النبي صلى الله عليه وسلم ، وهناك نصف الويبة وربعها[10].

---

(1) بشاري، المصدر السابق، ص236.

(2) الونشريسي، المصدر السابق، ص81.

(3) يحي بن خلدون، المصدر السابق، ص11.

(4) ابن خلدون، العبر، ج7، ص125، أنظر كذلك يحي بن خلدون، المصدر السابق، ص114.

(5) الونشريسي، المصدر السابق، ص81، أنظر كذلك بلعربي، الأسواق، ص35.

(6) البكري، المصدر السابق، ص65، 81، أنظر كذلك لقبال، المرجع السابق، ص87.

(7) بشاري، المرجع السابق، ص237.

(8) بشاري، المرجع السابق، ص238، أنظر كذلك DHINA , opcit, P 171

(9) شقدان، المرجع السابق، ص217.

(10) بشاري، المرجع السابق، ص236.

وبيعت بعض السلع كيلاً كالحبوب وبعضها تقديراً كالصوف وتباع بالجزة ويختلف وزنها حسب حجمها[1].

3- المقاييس:

كانت المساحات في المغرب الأوسط تقاس بالوحدات التالية:

- **العرصة:** وطول ضلعها خمسة وعشرون ذراعاً.
- **المرجع:** وطول ضلعه خمسون ذراعاً.
- **الصنج:** يقدر بمئة مرجع ويعادل تقريباً أحد عشر هكتارًا[2].

واستخدم في تلمسان لقياس الأطوال ذراع ملكية للأقمشة بالدرجة الأولى، وعلق بالقيسارية، وهو عبارة عن رخامة صفراء شفافة، كانت مثبة بجدار في حانوت أمين التجار، ويساوي هذا الذراع 47 سم [3].

وكتب عليه عبارة "الحمد لله والشكر لله هذا قياس آلة الذراع بالقيسرية عمرها الملك في شهر ربيع الثاني عام ثمانية وعشرون وسبع مئة" [4]، وهو محفوظ بمتحف تلمسان اليوم .

4- الأسعار:

تأثرت الأسعار بعملية البيع والشراء وبما يحدث من أحداث سياسية وحروب أو مجاعات أو احتكار للسلع، فيذكر ابن خلدون أيام الحصار المرينييني لتلمسان سنة 698هـ/1298م"واستمر حصارهم ثمان سنين وثلاثة أشهر نالهم فيها من الجهد والجوع ما لم ينل أحد من الأمم، واضطروا إلى أكل الجيف والقطط ... حتى إنهم أكلو فيها أشلاء الموتى من الأناسي "[5].

---

[1] شقدان، المرجع السابق، ص217.

[2] بشاري، المرجع السابق، ص ص 238، 239، أنظر كذلك شقدان، المرجع السابق، ص219.

[3] بلوط، المرجع السابق، ص83، أنظر كذلك حساني، المرجع السابق، ج2، ص 52.

[4] مارسي، المرجع السابق، ص56.

[5] إبن خلدون، العبر، ج7، ص125، أنظر كذلك فيلالي، تلمسان، ج1، ص ص 256- 258.

ويضيف التنسي " وكان على أهل تلمسان بلاء عظيم من غلاء الأسعار وموت الرجال... بلغ فيها الرطل من الملح دينار، وكذلك من الزيت والسمن والعسل واللحم..."[1]، وأثر هذا كثيراً على أوضاعهم الاقتصادية والمعيشية.

وجاء في بغية الرواد " وثمن صاع قمحهم دينارين وربع، وصاع شعيرهم إلى نصف ذلك ومن جراء ذلك بلغ عدد القتلى مئة وعشرين ألف ...، وبعد رفع الحصار " نجد أن في ساعة واحدة بيع القمح ثمانية صيعان بثمن دينار، والشعير ستة عشر صاعاً بثمن الدينار"[2].

وفصل ابن خلدون في تحديد الأسعار زمن الحصار"... وثمن الشخص الواحد من البقر ستين مثقالاً، ومن الضأن سبعة مثاقيل ونصف، والخس بعشرين درهماً ... والحبة من التين والإجاص بدرهمين..."[3]، وقدم تفاصيل عن أسعار السلع ومدى الغلاء والمعاناة ونقصت الأقوات من المخازن والمطامير، فقام السلطان وسأل خازن الزرع مما بقي لهم فأجابه، ما يكفي ليوم وغذ فأوصاه بكتمان ذلك[4].

وقد تدخل بعض السلاطين في الأسعار فأبو تاشفين الثاني أثناء حصار بجاية " أوعز إلى عماله بنقل الحبوب إلى مدينة تامزيزدكت، والأُدم وسائر المرافق حتى الملح، وأخذوا الرهن على سائر القبائل واستوفوا جبايتهم ... وغلت أسعارها..."[5].

كما تأثرت الأسعار بالجفاف والمجاعات والطاعون ففي عهد السلطان أبو حمو موسى الثاني حدثت بالدولة مجاعة عظيمة وأنها نتجت عن إعصار عظيم أهلك الزرع بتلمسان فهلك الناس وتصدق عليهم السلطان بنصف جبايته لأنها أدت إلى إرتفاع الأسعار[6].

---

(1) التنسي، المصدر السابق، ص132.

(2) يحي بن خلدون، المصدر السابق، ص197، أنظر كذلك الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 18.

(3) إبن خلدون، العبر، ج7، ص126، أنظر كذلك حساني، المرجع السابق، ج2، ص ص 158، 159.

(4) إبن خلدون، العبر، ج7، ص128، أنظر كذلك بوزياني، المرجع السابق، ص 277.

(5) يحي بن خلدون، المصدر السابق، ص 205، أنظر كذلك ابن خلدون، العبر، ج7، ص ص176، 177.

(6) حساني، المرجع السابق، ج2، ص 53، أنظر كذلك فيلالي، تلمسان، ج1، ص 255.

5- النظام الجبائي:

عرفت الدولة الزيانية فرض مجموعة متنوعة من الضرائب على التجار والبضائع والأسواق، واشتهرت بمصالح ديوان البحر (الجمارك) بتسليم التاجر الأوروبي وصلين يسمى الأول "براءة"وتدون عليه السلع المستوردة والمكوس التي دفعها التاجر، ويسمح لصاحبه بالبيع في أسواق الدولة ويسمى الثاني "التنفيذ" وهو شهادة تسجل عليها كل السلع التي يملكها التاجر، ويستظهر بالوصلين عند مغادرة البلاد[1]، فنجد أنها مفروضة على التجار الأوروبيين من المسيحيين واليهود.

وتطرق الوزان إلى ذلك وكان في هنين مع أحد كتاب الملك بتلمسان جاء لاستلام ضرائب من سفينة جنوية، حملت من البضائع ما يكفي تلمسان لمدة خمس سنوات، وبلغت قيمة الرسوم عشرة ألاف مثقال ذهبا مسكوكا[2].

وتوجد إدارتين للجمارك محليتين الأولى بوهران والثانية بهنين، وترأسهما إدارة مركزية للجمارك بتلمسان، والقيمة المقررة كضريبة على البواخر الأجنبية هي عشر قيمة السلع، وثبت أن أبو حمو موسى الثاني الذي كان يأخذ 10% بواسطة جماركه من التجار الأجانب [3]، وكانت مصلحة الجمارك هي الواسطة بين الملك وبين التجار المسيحيين وهي منظمة ويعمل بها المدير الذي يهتم بالأسعار والمفتشون ورئيس المحاسبة والمترجمين ومجموعة من العمال الصغار[4]، وحسب الونشريسي وجد "مغرم السوق" كانت تجبى من التجار والباعة والصناع والحرفيين بالأسواق ويقوم أمناء الأسواق بجباية مكوس السوق ويضبطون المخازن وينظمونها[5].

ويذكر ابن مرزوق " فيتولى المسلم نصراني و يهودي وخارجي، ويحيطون به فيفتشونه من رأسه إلى قدمه باطنا وظاهرا لما عسى أن يدخل به من السلع التي يوظف عليها مغرم من المغارم، وحتى النساء

---

(1) بشاري، التجارة الخارجية، ص215.

(2) الوزان، وصف إفريقيا،ج2، ص 16، أنظر كذلك بورويبة وآخرون، المرجع السابق، ص 484.

(3) بوزياني، نظم الحكم، ص ص221، 222، أنظر كذلك حساني، تاريخ الدولة الزيانية،ج2، ص ص 115، 116.

(4) بورويبة وآخرون، المرجع السابق، ص 484، أنظر كذلك DUFOURCQ , opcit, p 486

(5) الونشريسي، المعيار المعرب، ص ص 83، 84.

يوكل بهن يهوديات يفتشنهن ويدخلن أيديهن إلى لحومهن...[1]، وهذه ظاهرة جديدة في المغرب الإسلامي خاصة عمل النساء اليهوديات في أعمال الجباية.

و كانت البضائع تتجه إلى مصلحة الضرائب في المدينة،وفي بعض الأحيان تخرج الهيئة الجمركية لملاقاتهم خارجا لكي لا يعمدون إلى تهريب والهرب من دفع الرسوم، ويتلقون قوافل بلاد السودان قبل وصولها، ووجدت مكاتبهم بالقيسارية والفنادق[2].

المبحث الثالث: المراكز والطرق التجارية.

المطلب الأول: المراكز التجارية.

عرفت الدولة الزيانية بموقعها الجغرافي المتميز كمعبر ومنطلق للقوافل التجارية، عدة مراكز تجارية للتصدير والاستيراد، أو العبور سواء كانت برية داخلية أو ساحلية بحرية.

1) المراكز الداخلية:

- **تلمسان:** هي قاعدة المغرب الأوسط وأم بلاد زناتة، أختطها بنو يفرن، واسمها في لغة زناتة مركب من كلمتين تلم سين، ومعناهما مجمع اثنين، يعنون البر والبحر[3]، وهي مدينة واحدة يفصل بينها سور ولها نهر يأتي من جبلها المسمى بالصخرتين[4]، كثيرة الحرث والنسل والتجارة وهي مدينة قائمة بنفسها مقصد التجار[5].

---

(1) محمد بن مرزوق التلمساني، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تحقيق، ماريا خيسوس بيغيرا، تقديم، محمود بوعياد، الجزائر، سحب الطباعة الشعبية للجيش،2007م، ط1، ص285، أنظر كذلك فيلالي، تلمسان، ج1، ص219.

(2) حساني، المرجع السابق،ج2، ص ص 217،218 .

(3) ابن خلدون، العبر، ج7، ص ص45، 46، أنظر كذلك مارسي، تلمسان، ص07.

(4) الإدريسي، نزهة المشتاق، مج1، ص248.

(5) ابن الصباح، أنساب الأخبار، ص95، أنظر كذلك الإدريسي، المصدر السابق، مج1، ص 248.

– **تيزيل**: تقع جنوب تلمسان، وهي أول الصحراء ومنها يسافر إلى مدينة سجلماسة وإلى وارجلن، وإلى القلعة وهي مدينة معمورة[1].

– **سجلماسة**: بنيت سنة أربعين ومئة هجري، وهي مدينة سهلية ولها بساتين كثيرة وبها جميع الفواكه، وممر الطريق إلى بلاد السودان وغانة[2].

ودخلها يغمراسن سنة 662 هـ/1263م وعقد عليها لولده يحي، وكانت هذه المدينة في مجالاتهم ومنقلب رحلتهم وتمكن منها المرنين سنة 673 هـ/1274م وأصبحت تابعة لهم[3]، ويظهر النزاع على دورها الهام في التجارة الصحراوية.

– **وركلة**: مدينة صحراوية بها نخل كثير، ولها عدة قصور ... وسكانها في اتصال دائم مع مملكة أكدز، يحمل إليها منتجات البربر، ويستبدلونها بما يأتي به تجار السودان[4].

– **تيكورارين**: منطقة مأهولة في الصحراء بها واحات النخيل، وسكانها أغنياء لتجارتهم مع السودان، وبها مكان التقاء تجار البربر مع تجار السودان[5].

2) المراكز الساحلية (الموانئ):

– **ميناء هنين**: مدينة شاطئية تقابلها ألمرية من الأندلس، ولها ميناء محصن آهلة بالتجار والصناع، تنحدر إليها سفن البندقية كل سنة عند ذهابها إلى تلمسان[6]، وخارجها زراعات كثيرة وعمارات متصلة ومنها إلى تلمسان براً أربعون ميلاً[7].

---

(1) البكري، المغرب، ص 80، أنظر كذلك علوي، المقال السابق، ص 90.

(2) البكري، المصدر السابق، ص ص151، 152، أنظر كذلك المقدسي، أحسن التقاسيم، ص 186.

(3) ابن خلدون، العبر، ج7، ص ص82، 83، أنظر كذلك يحي بن خلدون، بغية الرواد، ص 191.

(4) الوزان، وصف إفريقيا، ج2، ص ص35، 36، أنظر كذلك غرايسية، من الأدوار الحضارية للمدن الصحراوية، ص ص410، 411.

(5) الوزان، المصدر السابق، ج2، ص133.

(6) كاربخال، إفريقيا، ج2، ص296، أنظر كذلك البكري، المصدر السابق، ص 83، الجلالي صاري، أضواء على أحد موانئ دولة بني زيان "هنين"، مجلة التاريخ، المركز الوطني للدراسات التاريخية، النصف الأول، الجزائر 1986م، ص ص17، 18.

(7) الإدريسي، المصدر السابق، مج1، ص534.

- **ميناء تنس:** مدينة ساحلية بناها أهل الأندلس منهم، الكركوني وأبو عائشة وغيرهم، سنة 262 هـ، تقابله ألمرية وبجانة من الأندلس[1]، وتعتبر كمركز تصدير واستيراد هام للدولة الزيانية.

- **المرسى الكبير:** قلعة محصنة على ساحل البحر المتوسط، يتسع مرساها لعدد كبير من السفن ترسو به القادمة من البندقية وأوروبا، حاملة البضائع ومختلف السلع[2].

- **مدينة برشك:** مدينة ساحلية يشتغل كثير من أهلها التجارة، هي على ضفة البحر، تشتهر بإنتاج التين والكتان، الذي ينقله تجارها بحراً إلى الجزائر وبجاية وتونس ويستفيدون من ذلك ربحاً حسناً[3].

- **وهران:** على ساحل البحر تقابل مرسية من الأندلس، وهي منيعة المكان كثيرة الحرث والنسل، والخصب من الزرع الغالب عليها الحنطة والفواكه[4]، وهي على ميلين من المرسى الكبير، ويذكر الإدريسي أنها تقابل ألمرية من الأندلس وسعة البحر بينهما مجريان، ومنها تصدر وتستورد مختلف السلع والبضائع[5].

- **الجزائر بني مرغنان:** مدينة على ساحل البحر تقابل مالقة من الأندلس ، بها التجارة والخصب والرخاء من الزرع وألوان النعم[6]. وتجارتها مربحة وأسواقها قائمة وأهلها قبائل بربر ولها زراعات كثيرة يتجهز بها إلى سائر البلاد والأقطار المجاورة لهم والبعيدة عنهم[7].

---

(1) البكري، المصدر السابق، ص ص64، 65، أنظر كذلك المقدسي، المصدر السابق، ص185، ابن حوقل، المصدر السابق، ص78.

(2) كاربخال، المصدر السابق، ج2، ص327، أنظر كذلك الإدريسي، المصدر السابق، مج1،ص 252.

(3) الوزان، المصدر السابق، ج2، ص33، أنظر كذلك ابن حوقل، المصدر السابق، ص 78.

(4) إبن الصباح، المصدر السابق، ص95، أنظر كذلك المقدسي، المصر السابق، ص 185.

(5) الإدريسي، المصدر السابق، مج1، ص 252.

(6) إبن الصباح، المصدر السابق، ص96 أنظر كذلك البكري، المصدر السابق، ص ص 69، 85.

(7) الإدريسي، المصدر السابق، مج1، ص 258.

المطلب الثاني: الطرق التجارية.

1- الطرق البرية.

امتازت الدولة الزيانية بموقع استراتيجي هام متمركز على نقطة عبور لمجموعة من المسالك في مختلف الاتجاهات شرقاً وغرباً وجنوباً لتسهيل عملية التبادل التجاري الداخلي والخارجي.

فيذكر بن بطوطة في رحلته الطريق التي سلكها رفقة مجموعة من التجار بداية من المغرب الأقصى ... من طنجة إلى تلمسان فمدينة مليانة ثم الجزائر ثم بجاية فقسنطينة إلى بونة ثم تونس فسوسة إلى صفاقس ومنها إلى قابس ثم طرابلس إلى الإسكندرية" [1].

ونجد بن الصباح يحدد مسافة الطريق من آسفي بني ماكر إلى فاس إلى تلمسان إلى بجاية إلى تونس إلى طرابلس إلى برقة إلى إسكندرية مسيرة خمسة أشهر كلها خوف وعطش ورمال..."[2] يقدم مدة السفر للتجار والحجاج ويذكر على أن الطريق خطيرة وكأن كل عهود الدولة الزيانية ليس بها أمن في طرقها ولا رواج في تجارتها.

ونجد طريق يمتد عبر الهضاب مروراً بالجريد ثم الأوراس ليتجه إلى الشمال عبر ممر الحضنة إلى قسنطينة ثم بجاية فمليانة، ويمر بحوض الشلف إلى تلمسان ومنها إلى تازة ثم فاس ومكناس وصولاً إلى مراكش [3].

وتوجد شبكة من الطرق الداخلية تربط المدن ببعضها البعض كالذي سلكه ابن بطوطة في رحلته من مازونة إلى مستغانم فتلمسان ثم حي العباد ليخرج على طريق ندرومة وسلك طريق يعرف "بأخندقان"[4] فمنها نجد ذكر لأسماء معينة لبعض المسالك ونجد الطريق من تلمسان إلى فاس تسع مراحل ومنها تخرج القوافل إلى صفروي إلى تادلة إلى أغمات إلى بني درعة إلى سجلماسة [5]، للتوجه إلى

---

[1] ابن بطوطة، الرحلة، ص ص31- 36.

[2] إبن الصباح، المصدر السابق، ص97.

[3] بشاري، التجارة الخارجية، ص 78.

[4] إبن بطوطة، المصدر السابق، ص 666.

[5] الإدريسي، المصدر السابق، مج1، ص ص246- 249.

بلاد السودان الغربي وطريق ينطلق من تلمسان ووجدة وبينهما ثلاثة مراحل، ثم منطقة أنجاد ويصل إلى تازة عبر تاوريرت وجرسيف إلى فاس ثم جنوباً وصولاً إلى صفرو وتادلا وأغمات ووريكة، ودرعة ثم الأطلس الكبير وتسير شرقاً حتى سجلماسة [1].

وذكر الرحالة بن بطوطة الطريق الذي سلكه إلى بلاد السودان الغربي رفقة قافلة تجارية بها تجار من تلمسان "... ويبدأ من سبتة إلى أصيلا ثم سلا فمراكش إلى مكناس ليصل إلى سجلماسة ثم تغازى فتاسرهلا إلى إيوالاتن ليتوغل في مناطق السودان"[2].

وينطلق مسلك من تلمسان إلى توات نحو الجنوب إلى وادي معروش وآخر إلى صفوري ثم تاوله فأغمات ثم درعة فسجلماسة، ويخرج إلى تغازى ثم ولاتة وينتهي بتمبكتو إحدى مدن مالي[3]، ليتفرع الطريق التجاري داخل ممالك السودان الغربي من إيوالاتن إلى زاغري ثم نهر النيجر، حيث بلد كارسخو من مملكة مالي ومنها إلى باقي المدن [4].

وسلك ابن بطوطة في طريق رجوعه من أرض السودان طريقاً غير الذي ذهب معه "فمن مدينة كوكو إلى تكدا مع قافلة كبيرة للغدامسيين، ومنها إلى بردامة ثم إلى كاهر، ووصل بعدها إلى الموضع الذي يفترق به طريق غات الأخذ إلى ديار مصر وطريق توات ..." [5].

وهنا وصف للطريق الذي سلكه خاصة نقطة إفتراق الطرق المتوجهة إلى مصر أو التي تتجه إلى المغرب الإسلامي شمالاً.

---

[1] بشاري، المرجع السابق، ص ص81، 82.

[2] ابن بطوطة، المصدر السابق، ص ص683- 685.

[3] شقدان، تلمسان، ص 196، أنظر كذلك خالد بلعربي، تجارة القوافل عبر الصحراء الكبرى في العصر الوسيط، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، عدد خاص بأعمال الملتقى الدولي الأول حول الإنسان والصحراء الكبرى قراءات تاريخية واجتماعية، المنعقد يومي: 27- 28 ذو الحجة 1432هـ/ 23-24 نوفمبر2011م، جامعة غارداية، الجزائر، طبع المطبعة العربية، ذو الحجة 1432هـ/ نوفمبر2011م، العدد الخامس عشر، ص37.

[4] بشاري، المرجع السابق، ص ص86، 87.

[5] ابن بطوطة، المصدر السابق، ص ص 702- 706.

ثم واصل طريقه إلى بلاد هكار بعد عشرة أيام، ليصل إلى بودا من قرى توات ثم سار مع القافلة إلى سجلماسة ومنها إلى فاس [1]، واستعملت الجمال في تجارة القوافل، ويشير بن بطوطة "وكان لي جملٌ لركوب وناقة لحمل الزاد"[2]، وهذا لقدرتها على تحمل مشاق المسافات الطويلة.

وتعتبر رحلة بن بطوطة المعاصرة لعهد الدولة الزيانية وهو من فاس من بني مرين أهم مصدر يصف مسار الطرق التجارية خاصة أنه تنقل في قافلة تجارية بها تجار من مختلف المدن منها تلمسان، وقدم صورة عن المسالك التي سلكها والمناطق التي مر بها.

2- الطرق البحرية:

عرفت الدولة الزيانية مجموعة من الطرق البحرية ربطتها بمختلف الموانئ المغربية والأندلسية والمشرقية والأوروبية:

فيذكر الوزان "أن تجار مدينة برشك الساحلية ينقلون سلعهم من التين والكتان عبر الطريق البحري إلى الجزائر وبجاية وتونس"[3]، ونجد هلال القطلاني وزير السلطان أبو تاشفين الذي أبحر للحج من هنين في سفن اشتراها بماله وأقلع بها، ونزل بالإسكندرية ...،ورجع بعد قضاء حجه إلى تلمسان "[4]، فهذا طريق بحري مباشر مع المشرق بسفن زيانية للتجارة والحج.

ونجد خط تجاري ما بين البندقية التي تنحدر سفنها مباشرةً إلى ميناء هنين، وحتى السفن الأوروبية القادمة بالسلع والبضائع تتجه أيضاً إلى ميناء المرسى الكبير[5]، إضافة إلى طريق بين إيطاليا والمغرب الأوسط حيث تنتقل السفن بين البندقية وهنين وتصل من سردانية إلى تنس خلال عشرة أيام، ثم إلى مازونة فمستغانم إلى تلمسان عبر النهر المار بها عبر القوارب الصغيرة[6].

---

[1] ابن بطوطة، المصدر السابق، ص ص 706، 707.

[2] نفسه، ص 303، وأنظر كذلك بشاري، المرجع السابق، ص ص 88، 89.

[3] الوزان، المصدر السابق،ج2، ص33.

[4] إبن خلدون، العبر،ج7، ص198، أنظر كذلك يحي بن خلدون، المصدر السابق، ص 205.

[5] كاربخال، المصدر السابق، ج2، ص296.

[6] شقدان، المرجع السابق، ص 197.

وفصل بن بطوطة في رحلة عودته بحراً إلى فاس "ركبت البحر في قرقورة لبعض التونسيين حتى جزيرة جربة ثم إلى تونس، فاستولى العدو على مركبهم ثم أبحرنا في مركب صغير إلى قابس، فصفاقس ثم بليانة، ثم سافرنا بعدها من تونس في البحر مع القطلانيين فوصلنا جزيرة سردانية ونزلنا بمرسى كلياري، ومنها وصل بعد عشرٍ إلى مدينة تنس"[1].

وتأكد المصادر التاريخية والجغرافية إلى استعمال السفن من أحجام مختلفة سواء كانت زيانية أو أوروبية[2].

المبحث الرابع: العلاقات التجارية الخارجية.

المطلب الأول: العلاقات التجارية مع العالم الإسلامي.

عرفت الدولة الزيانية علاقات تجارية مع دول المغرب الإسلامي مع الحفصيين شرقاً ومع المرنين غرباً، رغم ما ميز العلاقة من توتر سياسي بين الدول الثلاث.

1) العلاقات التجارية مع الحفصيين:

ذكر بن بطوطة "...أنه بمدينة مليانة أرتحل مع ركب من تجار تونس منهم الحاج مسعود بن المنتصر، والحاج العدولي، ومحمد بن الحجر، ولما وصلوا إلى بجاية توفي أحد التجار وهو محمد بن الحجر، وترك ثلاثة آلاف دينار من الذهب، وأوصى بها بن حديدة من أهل الجزائر ليوصلها إلى ورثته بتونس"[3].

كما نجد توجه بعض تجار تلمسان من وهران إلى تونس بعد أن ورد إلى ساحل وهران شونية من مراكب الفرنج الجنويين سنة 871هـ/1466م، برسم التجارة فتجهز كثير من التجار للسفر إلى تونس بحرًا [4].

---

[1] ابن بطوطة، المصدر السابق، ص ص 664- 666.

[2] ابن خلدون، العبر، ج7، ص 189، أنظر كذلك الوزان، المصدر السابق، ص ص 15، 16.

[3] ابن بطوطة، المصدر السابق، ص33، أنظر كذلك حساني، تاريخ الدولة الزيانية، ج2، ص145.

[4] بشاري، المرجع السابق، ص131.

ويذكر الوزان " أنَّ مدينة برشك الساحلية، ينقل كثير من أهلها التين والكتان بحراً إلى الجزائر وبجاية وتونس، ويستفيدون من ذلك ربحا حسنا"[1].

وتمثلت الصادرات في المنسوجات الحريرية، والثياب المطرزة، وبعض مواد الصباغة والقمح والشعير، أما أهم الواردات من الحفصيين فتمثلت في الشمع والمرجان والعطور وبعض الأحجار الكريمة[2].

ويذكر بن بطوطة في طريق رجوعه من المشرق"...ثم سافرت من تونس في البحر مع القطلانيين، فوصلنا إلى جزيرة سردينية، فوصلنا بعد عشر إلى مدينة تنس، ثم مازونة إلى مستغانم إلى تلمسان ..."[3] وهنا يتضح مدى التبادل التجاري البحري مع تونس عبر تجار قطلونية.

ونجد انطلاق قافلة من تلمسان نحو تونس وهو ما يؤكد استمرار العلاقة التجارية ودخول المشذالي تاجرًا وجماعته إلى تلمسان في عهد أبو تاشفين، ورفع عنه كلفة مغرمه وأصحابه وكانت مئتي دينار ذهبية وأعطاه مثلها[4] .

2) العلاقات التجارية مع المرينيين:

ربطت الدولة الزيانية علاقات تجارية متبادلة فيذكر يحي ابن خلدون"وأناس تلمسان غالب تكسبهم الفلاحة وحوك الصوف يتفانون في عمل أثواب الرقاق، فشملت الكساء أو البرنس عندهم من ثمان أواق والإحرام من خمس.... ومن لدنهم يجلب إلى الأمصار شرقا وغربا"[5]، هنا يتضح إهتمام الزيانيين بالصناعة النسيجية ورواجها شرقاً وغرباً.

---

[1] الوزان، وصف إفريقيا،ج2، ص 33، أنظر كذلك حساني، المرجع السابق، ج2، ص 146.

[2] بلعربي، الدولة الزيانية، ص256.

[3] إبن بطوطة، المصدر السابق، ص666.

[4] التنسي، تاريخ بني زيان، ص ص141، 142، أنظر كذلك حساني، المرجع السابق، ج2، ص144.

[5] يحي بن خلدون، المصدر السابق، ص116، أنظر كذلك بشاري، المرجع السابق، ص 253.

فكان السلطان أبو الحسن المرينيين يأتى له بثياب الصوف التلمسانية الخالصة فيختار أجودها، وكانت الأحمال تخرج من تلمسان نحو الأسواق المغاربية [1]، كما شملت الحبوب كالقمح والشعير، ويستورد من فاس السكر الذي كان يفوق إنتاجه بلاد المغرب والأندلس إضافة إلى القطن[2].

ونجد أنَّ تلمسان كانت منطقة عبور للقوافل التجارية فمن ذلك عودة بن بطوطة من المشرق بعد مروره بالدولة الزيانية رفقة قافلة تجارية أوروبية بحرية ثم في أراضي الدولة من خروجه من ندرومة إلى أزغنغان إلى تازى ثم وصوله إلى فاس[3].

وتأثرت التجارة بسبب عدم توفر الأمن على الطرقات، والعلاقات السياسية المتوترة وتشابه المنتوجات بين البلدين، رغم ذلك بقيت التجارة متواصلة لكنها تأثرت كثيراً لأن أغلب المراحل هي هجومات المرينيين على تلمسان الزيانية أو التحريض على القتال ما بين الأمراء خاصة في المرحلة الأخيرة لضعف الدولة.

3) العلاقات التجارية مع الأندلس:

ارتبطت الدولة الزيانية تجاريا مع الأندلس لقرب الموقع الجغرافي فيما بينهما فنجد في سنة 768هـ/1366م، توجهت مجموعة من السفن التابعة لتلمسان بمختلف السلع إلى موانئ، غرناطة التي تعتبر أهم مركز تجاري بالأندلس[4].

وحسب الإدريسي فإن مدينة وهران يفصلها عن ألمرية الأندلسية التي تقابلها يومان ومنها تصدر وتستورد مختلف السلع والبضائع[5].

ويشير بن ابطوطة "... مدينة مالقة، جامعة ما بين البر والبحر، كثيرة الخيرات والفواكه بها العنب والرمان ...، أما التين واللوز فيجلبان منها إلى أحوازها في المشرق والمغرب، ويصنع بها الفخار المذهب،

---

[1] إبن مرزوق، المصدر السابق،ص ص129- 244، أنظر كذلك فيلالي، تلمسان، ج1، ص 214،

[2] بلعربي، المرجع السابق، ص225، أنظر كذلك بشاري، التجارة الخارجية، ص ص 241- 244.

[3] إبن بطوطة، المصدر السابق، ص666.

[4] بشاري، المرجع السابق، ص131.

[5] الإدريسي، المصدر السابق، مج1، ص252.

ويجلب إلى أقاصي البلاد "[1]، مما يدل على أنَّ منتوجات مالقة قد صدرت إلى بلاد المغرب ومنها الدولة الزيانية.

ونجد حسب بن خلدون "... أن الحاجب هلال القطلاني كان من سبي النصارى القطلونيين أهداه السلطان بن الأحمر إلى عثمان بن يغمراسن، وأصبح بعدها إلى أبي حمو، فأعطاه إلى ولده أبي تاشفين رفقة مجموعة من الأعلاج النصارى"[2]، فنجد تبادل الهدايا وشملت العبيد والجواري، وكان لهلال فيما بعد دور كبير في الحياة السياسية والاقتصادية للدولة الزيانية.

ونجد هجرة الأندلسيين إلى تلمسان كتجار وحرفيين وأصحاب رؤوس أموال، واستقروا بها، أما أصحاب الملاحة والصيد البحري فاستقروا بالمدن الساحلية كهنين وتنس[3]، ومن الأسر التي قدمت بفعل العمل من أهل قرطبة نذكر بنو الملاح الذين احترفوا سك النقود وأمور الدخل والخراج وسكنوا بتلمسان واشتغلوا بالزراعة كذلك[4]، فنجد هجرة أهل الأندلس كعمال وهو ما يؤكد على التبادل من جانب الخبرات المهنية.

وكانت السلع المتبادلة المنسوجات الحريرية والمصنوعات الفخارية والزراعية والذهب والعبيد والتمور، وبعض أنواع العطور، وكانت حلقة وصل بفعل موانئها مع أوروبا وتلمسان[5].

4) العلاقات التجارية مع المشرق الإسلامي.

تعاملت الدولة الزيانية تجارياً مع المشرق عن طريق مجموعة من المسالك البرية والبحرية وما مر بها من قوافل تجارية.

ذكر بن خلدون "...أن هلال القطلاني وزير أبي تاشفين توجه إلى الحج وركب من هنين في سفن اشتراها بماله وشحنها بالعديد والعدة، والأقوات فنزل بالإسكندرية، وصحب الحاج من مصر في جملة

---

[1] إبن بطوطة، المصدر السابق، ص679.

[2] إبن خلدون، العبر، ج7، ص197، أنظر كذلك يحي بن خلدون، المصدر السابق، ص205.

[3] فيلالي، تلمسان، ج1، ص176.

[4] ابن خلدون، العبر، ج7، ص164، أنظر كذلك يحي بن خلدون، المصدر السابق، ص ص198، 199.

[5] بلعربي، المرجع السابق، ص258، أنظر كذلك بشاري، المرجع السابق، ص ص241- 244.

الأمير عليهم "[1]، ويتضح من هذا مدى دور الطريق البحري إلى الحج وما يحمله من أهمية تكون مقترنة بالتجارة وظهر هذا من السفن التي انطلقت من هنين وما حملته من سلع وبضائع.

ونجد التجارة مع المشرق كانت على متن السفن الأوروبية "فبعث أبو تاشفين والده أبو حمو مع بعض التجار النصارى المترددين إلى تلمسان من القطلان على حمله إلى الإسكندرية منطلقاً من وهران"[2]، ويتضح دور التجار الأوربيون في ربط العلاقة مع الشرق الإسلامي سواء كانت بضائع مغربية أو أوروبية .

ونجد رحلة بن بطوطة مع بعض التجار القطلانيين بحراً في مدينة تونس بعد أن قدم من مصر ووصوله إلى سردانية، فمنها إلى مدينة تنس وبعدها إلى تلمسان، مروراً بمازونة ومستغانم[3]، ومن هذا يتضح أن البحر قد سلكه التجار الأوربيين بسفنهم لكن لم تقدم لنا هذه النصوص نوع البضائع التي تم تصديرها واستيرادها، ويقدم التنسي علاقة أبي زيان مع ملك مصر أبي سعيد الملقب ببرقوق بتبادل الهدايا فيما بينهم [4].

ويذكر بن خلدون ذلك "وحمل مبعوثه بطرفه بتحفٍ من بلده على عادة الملوك، وجلس لعرضها، وشرع في المكافئة عنها بتخير الجياد والبضائع والثياب" [5].

ومن أهم الواردات الزيانية من المشرق فتتمثل في العقاقير مثل جوز الطيب والقرنفل والزنجبيل والقرفة وكل هذا بواسطة التجار الأوروبيين بحراً أو القوافل التجارية براً [6]، وعلى ذلك نجد التبادل التجاري كان مستمراً مع تواصل وفود الحجيج على المشرق.

---

[1] ابن خلدون، العبر، ج7، ص 198، أنظر كذلك يحي بن خلدون، المصدر السابق، ص 205.

[2] ابن خلدون، العبر، ج7، ص327، أنظر كذلك التنسي، تاريخ بني زيان، ص180.

[3] إبن بطوطة، المصدر السابق، ص666.

[4] التنسي، المصدر السابق، ص 220.

[5] إبن خلدون، العبر، ج7، ص342، أنظر كذلك بشاري، المرجع السابق، ص ص 247، 248.

[6] حساني، المرجع السابق، ج2، ص148، أنظر كذلك بشاري، المرجع السابق، ص ص 261، 262.

المطلب الثاني : العلاقات التجارية مع السودان الغربي.

أقامت الدولة الزيانية علاقة تجارية مع السودان الغربي وكان التبادل مزدهراً عبر المسالك وكانت القوافل التجارية محملة بمختلف البضائع.

فاهتموا بتأمين طرق تجارتهم فقد استولى يغمراسن على سجلماسة سنة 662هـ/1263م، فكانت في مجالاتهم ومنقلب رحلتهم حسب بن خلدون وتعتبر مركز تجاري هام للوصول إلى السودان [1]، وذكر بن بطوطة "... أن رحلته إلى بلاد السودان كان معه بالقافلة تاجر تلمساني يعرف بالحاج زيان، واكترى له محمد بن فقيه الجازولي داراً يسكنها، وكان معه صهره الفقيه المقرئ عبد الواحد وابنه"[2]، وهذا دلالة على التواصل وتواجد الزيانيين بمالي وإقامتهم بها والمكانة التي أحاطهم بها ملوك السودان الغربي.

ونجد من أهم الشركات التجارية عبر الصحراء، شركة الإخوة المقري الخمسة فيصفهم المقري"..ثم أشتهرت ذريته بالتجارة ... فمهدوا الطريق وحفروا الآبار وتأمين التجارة فكانوا خمسة إخوة كونوا الشركة فيما بينهم، فكان أبو بكر ومحمد بتلمسان، وعبد الرحمان وهو شقيقهما الأكبر بمدينة سجلماسة، وعبد الواحد وعلي وهم الصغيران بإيوالاتن وانتشرت السلع تبادلا بينهما.."[3]، وهنا يظهر مدى تطور العلاقة وتنظيمها بنظام الشركة.

ونجد العلاقة التي ربطها هلال القطلاني مع ملك مالي منسى موسى في الحج، واستحكمت بينهما المودة[4]، وهو ما وطد العلاقة التجارية ونشط حركة القوافل التجارية.

وأهتم الأمراء الزيانيين بذلك فقال أبو حمو موسى الأول" لولا الشناعة لم أزل في بلادي تاجرا من غير تجار الصحراء الذين يذهبون بخبيث السلع ويأتون بالتبر الذي كل أمر الدنيا له تبع"[5]، وهنا يتضح اهتمام الأمراء بتجارة الذهب لعوائدها المالية وقيمتها الكبيرة.

---

[1] إبن خلدون، العبر، ج7، ص82، أنظر كذلك يحي بن خلدون، المصدر السابق، ص191.

[2] إبن بطوطة، المصدر السابق، ص ص685- 691، أنظر كذلك علوي، المقال السابق، ص 89.

[3] المقري، نفح الطيب، مج5، ص ص205، 206، أنظر كذلك بورويبة وآخرون، المرجع السابق، ص 486.

[4] إبن خلدون، العبر، ج7، ص 198.

[5] المقري، المصدر السابق، مج5، ص 206.

ويحملون بضائعهم إلى السودان من المنسوجات والملابس، فضلاً عن طقوم فاخرة للخيل مع ركابات جميلة، ولجم ومهاميز وأجود ما يصنع من رؤوس اللجم في إفريقيا[1].

وكان تجار بلاد البربر والتلمسانيين يحملون إلى غينيا قماش القطن والثياب الأوروبية والسلاح، ويعودون بالذهب والعبيد، وغيرها من المنتجات[2]، إضافةً إلى العنبر والمسك وسنور الزباد، ويتجرون بالتبادل محققين كثيراً من الربح حتى لتكفي رحلتان أو ثلاث ليستغني التاجر[3].

ويذكر ابن بطوطة " أن ما يحمل للسودان الملح وحلي الزجاج وبعض العطور، أكثر ما يعجبهم منها القرنفل والمصطكي وتاسرغنت وهو بخورهم، ويحمل الملح ويتصارف به كما يتصارف بالذهب والفضة ويتبايعون به، ونجده بتغازى وهو بالقناطير المقنطرة كالتبر"[4].

ويصدر كذلك التمور التي تنتج من الواحات الصحراوية كورقلة والقمح والخيول والكتب والمؤلفات المغربية إضافة إلى الجلود المدبوغة والأصباغ أما أهم الواردات إضافة إلى الذهب والعبيد نجد ريش النعام وبيضه وبعض التوابل والبهارات[5].

– مصاعب التجارة العابرة للصحراء:

واجهت التجار بعض الصعوبات في طرقهم وذكر بن بطوطة بعض منها في رحلته أن قرية تغازى مائها زعاق وبها يرفع لدخول الصحراء بعدها وهي مسيرة عشر لا ماء فيها إلا النادر ويعتمدون على ماء الغدير، أو قتل البقر وشرب الماء الذي في كرشها " ورأيت أهل مسوفة يعصرون الكرش ويشربون الماء الذي فيها"[6].

---

(1) كاربخال، المصدر السابق، ج2، ص300، أنظر كذلك علوي، المقال السابق، ص 89.

(2) الوزان، المصدر السابق، ج2، 163، أنظر كذلك بشاري، المرجع السابق، ص ص 254، 255.

(3) كاربخال، المصدر السابق، ج2، ص 300، أنظر كذلك غرايسية، من الأدوار الحضارية للمدن الصحراوية، ص 419.

(4) إبن بطوطة، المصدر السابق، ص ص 684- 689، أنظر كذلك بشاري، المرجع السابق، ص 256.

(5) المقري، المصدر السابق، مج5، ص 205، أنظر كذلك زبادية، المرجع السابق، ص ص220، 226.

(6) ابن بطوطة، المصدر السابق، ص ص 684، 685، أنظر كذلك بلعربي، تجارة القوافل عبر الصحراء، ص 38.

أو حفر الآبار التي كانت توجد على طريق القوافل من النوع الارتوازي [1]، والتيه في الصحراء أخطرها لذلك استعمل التكشيف: وهو رجل من مسوفة يكتريه أهل القافلة وقال ابن بطوطة أن الدليل كان أعور العين الواحدة مريض الثانية وهو أعرف الناس بالطريق لأن الطريق هي رمال تحملها الرياح في كل مكان، وكانت الحرارة كبيرة لذلك يرحلون بعد صلاة العصر ويمشون كلهم وينزلون عند الصباح وذكر كثرت الحيات في الصحراء وما حدث للتاجر الزياني دليل ذلك[2].

وتشير المصادر الجغرافية والرحلات كابن حوقل أن السفر يكون في فصل الشتاء، أما الإدريسي فجعله في الخريف[3]، وهذا تفادياً لحرارة الصيف.

وتطرق خلال عودته إلى قطاع الطرق من أهل الهكار وبعض سكان تاسبيت لكن لا يقومون بذلك في رمضان، وغرموا القافلة من اللباس وما سواها حتى تمر من المنطقة [4].

المطلب الثالث: العلاقات التجارية مع أوروبا المسحية.

ارتبطت الدولة الزيانية تجارياً مع مختلف المدن كقطلونية وفلورنسا وجنوة ومملكة آراغون وغيرها تصديراً واستيراداً عبر الطريق البحري مع موانئ الزيانيين فيذكر بن خلدون "أن أبو حمو اتجه إلى المشرق مع بعض التجار النصارى المترددين إلى تلمسان من القطلان وركب معهم من ميناء وهران في السفن"[5]، فيظهر أن القطلونيين متعودين على الاتجار مع الزيانيين بسلعهم ويحملون ويتاجرون بها مع المشرق بعدها.

وحسب الوزان فقد كانت مدينة وهران مهبط للتجار القطلونيين والجنويين [6]، وبها دار تسمى دار الجنويين ويكون لهم مركز تجاري للتصدير والاستيراد وكانت المعاملات تتم بين التجار بأنفسهم في

---

[1] زبادية، المرجع السابق،ص ص 214، أنظر كذلك غرايسية، المقال السابق، ص ص 422، 423.

[2] ابن بطوطة، المصدر السابق، ص ص 685- 689، أنظر كذلك غرايسية، المقال السابق، ص ص 421، 422.

[3] ابن حوقل، صورة الأرض، ص ص 100، أنظر كذلك الإدريسي، المصدر السابق، مج1، ص 107.

[4] ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 706، أنظر كذلك بلعربي، تجارة القوافل، ص 38.

[5] ابن خلدون، العبر، ج7، ص 327، أنظر كذلك التنسي، المصدر السابق، ص 180.

[6] الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 30، أنظر كذلك فيلالي، تلمسان، ج1،ص ص 136، 137.

المراسي أحياناً ويتم البيع بالدلالة، بواسطة الدلال، المتخصص والقانوني بالميناء ولحسن ذلك توفرت المرونة في المعاملات والقوانين وحرص الجميع على تدليل الصعوبات والعراقيل[1].

وكانت العلاقات التجارية تحددها معاهدات نذكر من ذلك:

- معاهدة تلمسان في سنة 1268م مع مملكة آراغون.
- معاهدة سنة 1339م والمبرمة مع ميورقة.
- معاهدة بيربيون وتلمسان ومملكة آراغون سنة 1362م لمدة خمس سنوات [2].

وورد في وثائق أرشيف مدينة "بالما" الإسبانية، ففي يوم 25 جانفي 1284م قد وصلت إلى ميناء هنين باخرة لصاحبها Perievn، وفي يوم 26 جانفي من نفس السنة وصلت باخرة أخرى لصاحبها Ribrt كما أحصى ما بين 1308- 1331م، 14 باخرة آتية من أوروبا [3].

وشاهد الوزان وكان مع أحد كتاب الملك الزياني جاء لاستلام ضرائب من سفينة جنوبية حملت من البضائع ما يمون تلمسان لمدة 5 سنوات، وبلغت الرسوم التي قبضها الملك عشرة آلاف مثقال من الذهب المسكوك"[4]، وإن كانت الحمولة مبالغ فيها على أن تكفي تلمسان، ورسالة وجهها السلطان الزياني بن يغمراسن بن عثمان بن موسى بتاريخ 323هـ/ 1323م نصها "وإن أردتم سلف ذهب نسلف لكم ما تيسر بعد أن تعطونا الضمان والرهان في الذهب " [5]، وكانت مع ملك آراغون جاقمو الثاني.

---

(1) سعيدان، المرجع السابق، ص57، أنظر كذلك DUFOURCQ opcit, P 471

(2) بورويبة وآخرون، المرجع السابق، ص 478.

(3) الجلالي صاري، المقال السابق، ص 21.

(4) الوزان، المصدر السابق، ج2،ص ص15، 16، أنظر كذلك عبدلي، المرجع السابق، ص ص 193، 194.

(5) سعيدان، المرجع السابق، ص ص65، 66، أنظر كذلك DUFOURCQ , opcit, P 475

وصدر الزيانيون المنتوجات الخاصة بالمواشي كالصوف والجلود من كل نوع والفواكه والتمور عبر الموانئ الزيانية، ومنتوجات الصناعة التقليدية كالسلال ونسج الحلفاء واستوردوا الأسلحة والحديد والخشب وحبال القنب المستخدمة كحبال للسفن والرصاص[1].

ونجد أن من بين الواردات الزيانية من أوروبا العبيد البيض وكان الخدم داخل القصر الزياني جاريات مسيحيات، وعدد كبير من الخصيان الساهرين على الحريم [2].

وكان الذهب والعبيد هما المصدران الهامان لواردات أوروبا من تلمسان وقام تجار برشلونة وجنوة وميورقة بحمله إلى مدنهم، وساهم الذهب الإفريقي بسك العملة الأوروبية ووصل إلى جنوة سنة 738هـ/1337م حوالي مئتي كيلوغرام [3]، وتعتبر الدولة الزيانية بموانئها نقطة عبور لهذه السلعة لأوروبا وتم تصدير بعض السلع الأوروبية من الأسلحة كالخوذات والرماح والدروع رغم منع الكنيسة لذلك، ونجد الحلي على شكل مجوهرات وبعض الأحجار الكريمة المتنوعة والمصنوعات الزجاجية [4].

وكان اليهود يقومون بدور الوسيط التجاري ما بين قطلونية وتلمسان، وكانوا يقرضون الملك ببرشلونة ما يحتاجه من أموال ويشجعونه على التعامل مع يهود تلمسان ومكلفين بمقايضة الذهب الوارد مع بضائع المملكة واتخذهم الملوك ممثلين وسفراء لهم لدى سلاطين بني زيان كألفونسو الثالث، وجاقمو الثاني ملك أراغون [5].

---

[1] بورويبة وآخرون، المرجع السابق، ص482، أنظر كذلك بشاري، المرجع السابق، ص ص 250، 251.

[2] الوزان، المصدر السابق، ج2، ص22.

[3] بورويبة وآخرون، المرجع السابق، ص483، أنظر كذلك سعيدان، المرجع السابق، ص ص 31، 32.

[4] بشاري، المرجع السابق، ص ص276- 278.

[5] سعيدان، المرجع السابق، ص ص33، 34.

الفصل الثالث:

دراسة مقارنة بين الرستميين والزيانيين تجارياً.

المبحث الأول:

دراسة مقارنة في دور السلطة الحاكمة والتجار في التجارة.

المبحث الثاني:

دراسة مقارنة في النظم التجارية.

المبحث الثالث:

دراسة مقارنة في المراكز والطرق التجارية.

المبحث الرابع:

دراسة مقارنة في المعاهدات التجارية.

الفصل الثالث: دراسة مقارنة بين الرستميين والزيانيين تجارياً.

المبحث الأول: دراسة مقارنة في دور السلطة الحاكمة والتجار في التجارة.

المطلب الأول: دور السلطة الحاكمة.

عرفت دول المغرب الأوسط حركة تجارية، وكان للسلطة الحاكمة والتجار دور في نشاطها إذ ساهم الأئمة الرستميين في الحركة التجارية بمختلف الطرق والوسائط فكان لهم الدور الهام في ازدهار الدولة ونمائها.

يشير ابن الصغير إلى عبد الرحمن بن رستم في عدة مواضع عن دوره ومما جاء به، "وسارت بذلك الركبان لكل البلدان،... وأتتهم الوفود والرفاق من كل الأمصار وأقاصي الأقطار،... واستعملت السبل إلى السودان، وإلى جميع البلدان من مشرق ومغرب بالتجارة وضروب الأمتعة، والتجار من كل الأقطار تاجرون"[1].

ويتضح أن عهده شهد توافد التجار من كل الأقطار بمختلف البضائع والسلع فلا بد أن له نصيب في إحدى هذه القوافل، ولعل أدّل من ذلك ما جاء من حسن سيرته وعدله وأمانة التجار على أنفسهم وأموالهم[2].

وكان لعبد الوهاب أن بعث لإخوانه من أهل المشرق ألف دينار ليشتروا له بها كتباً فلما وصلتهم، اتفقوا أن يشتروا بها رقاً(جلود يكتب عليها)، ويجعلون من أنفسهم ثمن الحبر والأقلام وعولة الكتب فنسخوا له أربعين حملاً وبعثوا بها إليه[3]، فنجد أن الإمام تاجر مع المشرق بأموال لم يظهر هل هي من ماله الخاص أم مال المسلمين، لكن قيمة البضاعة "الكتب" تدل على ممارسته واشتغاله بالتجارة.

---

[1] ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين، ص ص27- 32، أنظر كذلك يحي معمر، الإباضية في الجزائر، ص14.

[2] ابن الصغير، المصدر السابق، ص ص31، 32، أنظر كذلك الباروني، الأزهار الرياضية، القسم الثاني، ص88، بحاز، الدولة الرستمية، ص217.

[3] أبو زكريا،كتاب السيرة وأخبار الأئمة، ص ص102، 103، أنظر كذلك الدرجيني، طبقات المشائخ بالمغرب، ج1، ص ص56، 57.

ويشير الباروني أن تجارته كانت في أشهر المدن والجهات كالسودان والحجاز واليمن والبصرة وغيرها وقال عن نفسه "لو لم أكن إلا أنا وبن جربي وبن زلغين لأغنينا بين مال المسلمين بما علينا من الحقوق الشرعية" فكان ذو ذهب وفضة"[1]، فيظهر من ماله أنه كانت له قوافل تسير إلى مصادر هذه الثروات وهي بالسودان الغربي متمثلة في الذهب والعبيد مقابل ذلك أنواع السلع.

كما قام بإرسال أموالٍ إلى الإمام الربيع بالمشرق قيمتها اثني عشر ألف درهم فاشترى بها سلعة وأرسلها إليه مع أخيه، فكلف بها الإمام بعض تجار تيهرت فباعوها واشتروا له بثمنها غيرها في ثمانية أيام وأرسلوها إليه[2]، فيتضح اتجاره بأموال مع المشرق.

ويذكر ابن الصغير عن الإمام أفلح بن عبد الوهاب أنه أتته الرفاق والوفود من كل الأمصار والآفاق بأنواع التجارات[3]، فنجد أن القوافل التجارية كانت متواصلة إلى مختلف المناطق ويشير الدرجيني إلى عزم الإمام السفر إلى كوكو(مدينة بالسودان) فسأله أبوه عبد الوهاب عن مسائل في الربا، فتوقف في مسألة واحدة لم يجب عنها ولم يعرفها، فأمره بالرجوع عن السفر لئلا يدخل عليهم الربا بعد أن تجهز وأبرز رحله[4]، فيظهر أن ممارسة التجارة تتم بطريقة شرعية.

ومن المعلوم أن الإمام عبد الوهاب حكم الدولة الرستمية من سنة 171- 208هـ/787-823م، ومعنى ذلك أن تفكير أفلح للسفر إلى بلاد السودان كان قبل حكم والده، مما يدل على أن العلاقات مع السودان الغربي أسبق من هذه الفترة لأهمية واردات الرستميين من هذه الإقليم[5]، والمتمثلة في الذهب والرقيق.

---

(1) الباروني، المرجع السابق، القسم الثاني، ص137، أنظر كذلك بحاز، المرجع السابق، ص290.

(2) الباروني، المرجع السابق، القسم الثاني، ص164، أنظر كذلك الحريري، الدولة الرستمية بالمغرب، ص189، محمود إسماعيل، الخوارج، ص202.

(3) ابن الصغير، المصدر السابق، ص53، أنظر كذلك الكعاك، موجز تاريخ الجزائر، ص134، بحاز، المرجع السابق، ص241.

(4) الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص320، أنظر كذلك بحاز، المرجع السابق، ص280، محمد ناصر، دور الإباضية في نشر الإسلام، ص9.

(5) محمد ناصر، المرجع السابق، ص9، أنظر كذلك محمود إسماعيل، المرجع السابق، ص282.

وشهد عهد الإمام أبو بكر إزدهاراً في التجارة خاصة مع السودان بإرساله سفارة إليها وهو ما سنراه في المبحث الخاص بالعلاقات والمعاهدات التجارية.

وكان الإمام أبو حاتم قد أخرجه أبوه في جيش مع وجوه زناتة ليراقبوا ويؤمنوا قوافل قد أقبلت من المشرق، وفيها أموال لا تحصى قد خافوا من قبائل زناتة عليها[1].

فنستطيع أن نقول أن الإمام أبي اليقظان هو من كان له دور في حماية القوافل ويمكن أن تكون قد توجهت من المغرب نحو المشرق وهي راجعة منها بمختلف البضائع لم يذكرها، في نفس الوقت كان أبو حاتم عند وفاة أبيه إماماً يحرسها.

ويؤكد الباروني "... ونصبوا لواء الأمن والهناء...، فمهدوا لذلك بتأمين السبل وتسهيل المواصلات وفتح أبواب التجارة حتى استمالوا الألباب وذللوا الصعاب"[2]، فهنا يتضح مدى اهتمامهم بتوفير الأمن للتجار في الأسواق وللقوافل التجارية في مسالكها، وهو ما أدى إلى إقبالهم عليها.

وهذا ما يؤكد دور الأسرة الرستمية الإباضية في تاهرت التي قامت بدور محوري في التجارة مع المشرق والمغرب من ناحية، ومع السودان من ناحية أخرى وساعدها ارتباط تاهرت بمدن المغرب المختلفة بطرق تجارية متعددة وعلاقات تجارية متميزة مع محتلف المناطق[3].

أما بالنسبة للسلاطين الزيانيين فكان لهم دور في الحركة التجارية مع مختلف الأمصار وهو ما ذكره المقري عن أبي حمو الذي كان يقول "لولا الشناعة لم أزل في بلادي تاجراً من غير تجار الصحراء الذين يذهبون بخبيث السلع ويأتون بالتبر الذي كل آمر الدنيا له تبع، ومن سواهم يحمل منها الذهب ويأتي إليها بما يضمحل عن قريب، ويذهب ومنه ما يغير من العوائد ويجر السفهاء إلى المفاسد"[4]، فمن هذا يتضح مدى أهمية التجارة وقيمتها لدى السلطان والذي لولا منصبه لكان من التجار المتعاملين مع السودان الغربي لقيمة بضائعه.

---

[1] ابن الصغير، المصدر السابق، ص91، أنظر كذلك بحاز، المرجع السابق، ص238.

[2] الباروني، المرجع السابق، القسم الثاني، ص88، أنظر كذلك دبوز، تاريخ المغرب الكبير، ج3، ص281.

[3] بلعربي، تجارة القوافل عبر الصحراء ، ص36.

[4] المقري، نفح الطيب، مج5، ص206، أنظر كذلك مارسي، تلمسان، ص99، DHINA, opcit, P237

ويظهر اهتمام عبد الرحمن أبي تاشفين بالتجار كالفقيه المشدالي الذي جاء من تونس ورفع عنه كلفة مغارمه وأصحابه التي تقدر بمئتي دينار ذهبية وأضاف له مثلها[1]، فنجد مدى اهتمامه بالتجارة وتشجيعه على ذلك.

ولعل مرحلة التوتر السياسي مع الحفصيين والمرينيين على الحدود الشرقية والغربية للدولة الزيانية ساهم التجار في العمل التجاري بمختلف انتمائهم، أما الحكام فاقتصرت غالباً أعمالهم على الجانب السياسي.

ولهذا يتضح أن الأئمة الرستميين كان لهم باع كبير في التجارة بصفتهم الشخصية خاصة مع المشرق الإسلامي والسودان الغربي وتدل على ذلك المعاهدات التي عقدوها، أما الزيانيين فيظهر اهتمامهم أكثر بالاتفاقيات مع ملوك أوروبا المسيحية.

ويتعارض هذا مع ما جاء به ابن خلدون في مقدمته "في أن التجارة من السلطان مفسدة للجباية،... ومضرة عاجلة للرعايا ونقص للعمارة..." [2]، وينطبق هذا القول مع الحكام المستبدين بالسلطة والمحبين للمصلحة الشخصية الخاصة.

المطلب الثاني: دور التجار في تنشيط الحركة التجارية.

عرفت الدولتان الرستمية والزيانية تواجد عدة أجناس للتجار ساهموا في تنمية الحركة التجارية بتبادل مختلف السلع والبضائع مع مختلف البلدان.

فيشير ابن الصغير مؤرخ الدولة الرستمية إلى تواجدهم بتاهرت من مختلف الأماكن من الكوفة والبصرة العراقيتين ومن القيروان، ومن العجم كابن وردة الذي أمتلك سوق خاص يحمل اسمه، إضافة إلى أبي محمد الصيرفي وابن الواسطي الذين كانا من وجوه التجار[3]، وهذا لما وجوده من العدل والأمان وتوفر موارد التجارة وتنوعها من زراعية وصناعية وغيرها.

---

[1] التنسي، تاريخ بني زيان، ص142.

[2] ابن خلدون، المقدمة، ص ص265، 266.

[3] ابن الصغير، المصدر السابق، ص ص32، 54، 72، أنظر كذلك يحي معمر، الإباضية في الجزائر، ص14.

ويؤكد المقدسي على ذلك بقوله "...انتعش فيها الغريب واستطابها اللبيب..." [1]، مما يدل على أن تاهرت كانت مفضلة المكان والتجارة عند تجار الأقطار الأخرى.

ونجد ذلك أيضاً عند الزيانيين فتلمسان كانت ملتقى التجار القادمين من أنحاء المغرب والأندلس وأوروبا وبلاد السودان، والمشرق فتعاملوا مع بعضهم البعض تصديراً واستيراداً[2]، وهذا دلالة على ازدهار المدينة في مختلف المجالات الاقتصادية.

وأشرت إلى ما ذكرته المصادر عن التجار المقيمين والقوافل التي كانت تخرج من الدولتين والبضائع التي كانت تصدرها وتستوردها في المطلب الخاص بالتجار، إضافة إلى أصنافهم المختلفة وتعاملاتهم.

لكن أهم ما يمكن المقارنة فيه هو ما ميز الدولتين في التجار اليهود والنصارى، فيشير ابن الصغير إلى وجود درب الرهادنة وأنه كان له دكان به، وأن الإمام عبد الرحمن كان ينظر إلى ما اجتمع له من مال الجزية[3]، علماً أن الجزية لا تفرض إلا على أهل الذمة.

أما الدرجيني فيذكر أن نساء جبل نفوسة كن يصبغن غزلهن بصباغ اليهود[4]، مما يؤدي إلى فرضية تواجدهم بالمنطقة خاصة أن هذه المواد من أهم ما يتاجرون به مع مختلف المناطق.

فأجد أن الإشارة إلى تواجد اليهود بالدولة الرستمية عبارات في ثنايا النصوص ما بين المصادر وإن كانت قليلة، فلا يعني عدم تواجدهم خاصة أن لهم أماكن في أغلب المدن المغاربية والمراكز التجارية وعلى محاور الطرق لخبرتهم في التجارة والصيرفة.

أما عند الزيانيين فيذكر الوزان أن لهم بتلمسان حارة تضم خمسمائة(500) مسكن، وكانوا أغنياء يضعون على رؤوسهم عمائم صفراء تميزهم[5]، فهنا يتضح أنه كان لهم حي خاص بهم وبعائلاتهم ويمكن أن تتواجد به محالهم التجارية.

---

[1] المقدسي، أحسن التقاسيم، ص185، أنظر كذلك دبوز، المرجع السابق، ج3، ص282.

[2] بشاري، مكانة تلمسان التجارية، ص26، أنظر كذلك حساني، تاريخ الدولة الزيانية، ج2، ص ص41، 42.

[3] ابن الصغير، المصدر السابق، ص ص84، 102، 36، أنظر كذلك كواتي، اليهود، ص122.

[4] الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص303، أنظر كذلك بحاز، المرجع السابق، ص209.

[5] الوزان، وصف إفريقيا، ج2، ص20.

وتكاثر عددهم منذ 793هـ/1391م عندما اضطهدهم الإسبان من بعض المدن الأندلسية واشتغلوا بالتجارة الخارجية، واستقروا بمدن حوض البحر المتوسط[1]، فيتضح أن مصادر الدولة الزيانية أشارت لهم ولأعدادهم ولباسهم مما يدل على تواجدهم بكثرة علماً أنه كانت تجارتهم مع مختلف المناطق داخلياً أو خارجياً.

وساهموا في تصدير بعض المنتجات كالزيت والشمع والزعفران، ونبات الصباغة والقطران وعقود المرجان وغيرها، أما أهم الواردات التي قاموا بجلبها فنجد ملح الأمنيوم، والخامات التي تستعمل في تصنيع المجوهرات والنباتات الطبية والعقاقير لأن بعضهم كانوا أطباء وصيارفة[2]، وهذا كان مع أغلب الدول الإسلامية مشرقاً ومغرباً.

أما التجار المسيحيين في الدولة الرستمية فلقد تضاربت الآراء في ذكر ذلك كالجنحاني الذي يشير إليهم على أنهم بحكم مركزهم الاقتصادي في المدينة، وورد ذكرهم في قضية الأخذ بثأر محمد بن عرفة[3]، لكن ابن الصغير يذكرهم باسم السمحيين، وذكر مكان بالمدينة يعرف بالكنيسة فيشير إلى أنه دار لرجلين يقال لأحدهما أحمد والآخر محمد ويعرفان بابن دبوس[4]، ويؤكد الباروني على ذلك أيضاً.

ولفظ السمحيين هي نسبة إلى السمح بن أبي الخطاب عبد الأعلى الذي عيَّنه الإمام عبد الوهاب عاملاً على نفوسة وبعد وفاته أراد ابنه خلف أن يقتطع المنطقة عن تاهرت[5]، مما يتضح أنه لم يكن لهم وجود بالدولة الرستمية على الأقل كمستقرين، وإن كان فالعبيد الصقالبة البيض.

---

(1) بشاري، التجارة الخارجية، ص209، أنظر كذلك فيلالي، تلمسان، ج1، ص193.

(2) كواتي، المرجع السابق، ص123.

(3) الجنحاني، المغرب الإسلامي، ص127.

(4) ابن الصغير، المصدر السابق، ص ص69، 94، 100، أنظر كذلك الباروني، المرجع السابق، القسم الثاني، ص231.

(5) أبو زكريا، المصدر السابق، ص ص119، 120، أنظر كذلك الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص67.

ويذكر إحسان عباس أن موقع اللفظة (المسيحيين) غريبةً لأننا لم نألف استعمالها، وإنما تورد المصادر بدلها لفظ النصارى على التحديد، أو الروم أو الفرنجة، ومصطلح الكنيسة وفرض الجزية لا يعني عدم وجودهم في تاهرت[1].

لكن لو كانوا موجودين لذكرت المصادر ذلك خاصة الإباضية وأشارت لهم بصورة واضحة وجلية، إلا إن كان لجيرانهم الأغالبة علاقة بهم وعن طريقهم يتم التبادل تجارياً خاصة أن صقلية فتحها أسد بن فرات سنة 212هـ/827م في عهد الأمير الأغلبي زيادة الله وأصبحت تابعة للأغالبة وهي قريبة من المدن الايطالية كجنوة، أو عن طريق الأندلس لقربهم من أوروبا.

أما بالنسبة للزيانيين فدلت المصادر على نشاطهم وتعاملاتهم التجارية معهم فيشير الوزان إلى وجود فنادق لهم بتلمسان إثنان لمقام تجار جنوة والبندقية ويوجد بوهران دار خاصة بالجنويين[2]، وهنا تعاملهم مع المدن الإيطالية تصديراً واستيراداً.

وقد ذكرت مدى التعاملات التجارية مع أوروبا المسيحية في المطلب الخاص بالتجار المسيحيين والعلاقات معهم وتواجدهم بتلمسان.

---

[1] إحسان عباس، المجتمع التاهرتي، ص ص128، 129.

[2] الوزان، المصدر السابق، ج2، ص20، أنظر كذلك فيلالي، تلمسان، ج1، ص136، حساني، المرجع السابق، ج2، ص52.

المبحث الثاني: دراسة مقارنة في النظم التجارية.

المطلب الأول: الأسواق وتنظيمها.

إن أهم ما ميز الدولتين هو التنظيم الذي عرفته أسواقهما من تخصص في السلع وأماكن تواجدها وأيامها المعلومة، إن كانت يومية أو أسبوعية أو أسواق للمدن وكان هذا على حسب الإمكانيات الاقتصادية من زراعة وصناعة وحرف لكل دولة وموقعها الجغرافي سواء على المراكز والطرق التجارية.

ويشر البكري أن مدينة تاهرت لها قصبة مشرفة على السوق تسمى المعصومة[1]، ويمكن اعتبارها كسوق مركزي بالمدينة تتم داخله عمليات البيع و الشراء إضافة إلى سوق بن وردة.

أما أهم ما يميز الأسواق في العهد الزياني هو القيسارية.

قام بتأسيسها السلطان أبو حمو موسى الأول فوق مساحة كبيرة بوسط مدينة تلمسان بالقرب من المشور(القلعة)، وبجوار مسجد سيدي إبراهيم المصمودي وحي اليهود، ويحيط بها سور به عدة أبواب وتمتاز بسعتها وتنظيمها المحكم وتشتمل على أروقة مغطاة[2]. وهي بمثابة المدن التجارية أو ما يعرف اليوم"بالمجمعات التجارية".

وأهم ما ميزها هو وضع السلطان أبو تاشفين عبد الرحمن الأول 718-749هـ/1318-1348م مقياس للطول"الذراع" موحد لكل السوق لقياس القماش وطوله 47 سم[3].

تنظيم الأسواق: الحسبة:

اضطلع المحتسب بمراقبة الأسواق في المدن الرستمية والزيانية، وإن اختلفت الأسماء أو من يقوم بها إلا أن أدواره ومهامه بقيت موجودة في تنظيم الأسواق وتسييرها.

---

[1] البكري، المغرب، ص69، أنظر كذلك دبوز، المرجع السابق، ج3، ص283.

[2] فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج1، ص136، أنظر كذلك بلوط، المرجع السابق، ص80.

[3] شقدان، تلمسان، ص206، أنظر كذلك حساني، المرجع السابق، ج2، ص52، مارسي، تلمسان، ص99.

فعند الرستميين كان أبو اليقظان في إمامة أخيه أي بكر "الحسبة بين يديه" ولما تولى الإمامة أمر قوماً من نفوسة يقومون بذلك[1].

وأن لم يرد ذكر اسمه وصفته هل هو المحتسب أم المشرف على السوق أو غير ذلك إلا أن دوره كان مهم.

إلا إذا أخذنا ما ذكره محمد علي دبوز بأن المهمة تولاها جهاز الشرطة[2]. أم أن ما جاء به ابن الصغير عن سوق ابن وردة الذي كان صاحب شرطة أفلح لا يدخله[3]. هو الذي جعله يذكر أن الشرطة تسمى الحسبة.

أما الزيانيون فنجد أن الحسبة بلغت قمتها في عهد السلطان أبو حمو موسى الثاني الذي اهتم بالأسواق والمحتسبين، وترك وصية لأبنه أبي تاشفين الثاني أكد عليه أن يعتني بهذه الخطة وأصحابها، ونجدها في ثنايا كتابه "واسطة السلوك في سياسة الملوك"[4].

ونجد من يقوم بها يعرف "بصاحب الحسبة"، وكان محمد أحمد العقباني صاحب كتاب"تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر" وهو مؤَلَف تلمساني في الحسبة تولى صاحبه القضاء بمدينة تلمسان مما يؤكد على وجودها كجهاز رسمي في الدولة[5].

والأهم هو أن الحسبة كما عرفها ابن خلدون وظيفة دينية من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد وجدت ودلت المصادر عليها في الدولتين الرستمية والزيانية، أما الاختلاف في تسمية صاحبها بينهما موجود وظاهر، أما مهام ووظائف المحتسب وأعماله داخل الأسواق وخارجها ومراقبته للتجار والموازين

---

(1) ابن الصغير، المصدر السابق، ص ص63، 64، 77، أنظر كذلك الكعاك، المرجع السابق، ص126.

(2) دبوز، المرجع السابق، ج3، ص ص361، 362.

(3) ابن الصغير، المصدر السابق، ص54.

(4) بلعربي، الأسواق، ص34، أنظر كذلك فيلالي، تلمسان، ج1، ص223.

(5) بوزياني، نظم الحكم، ص246، أنظر كذلك لقبال، الحسبة المذهبية،ص ص60، 61.

والمكاييل والعملة، والشروط التي تتوفر فيه فدلت على ذلك مصادر الحسبة وهذه الضوابط لا تتغير في أي بلد سواء بالغرب الإسلامي أو المشرق [1].

– مؤسسات في خدمة التجارة الفنادق:

تعتبر كأماكن لإيواء التجار، إضافة إلى ضمها مستودعات للبضائع وإسطبلات لدواب التجار، وعرفت أيضاً عند الرستميين أماكن خاصة سميت بدار الضيافة[2]، فيتضح أنها كانت لإقامة الوافدين على الدولة من خارجها خاصة السفارات الرستمية سواء سياسية أو تجارية.

أما بالنسة للزيانيين فدلت المصادر على وجودها بشكل واضح خاصة فنادق الأروبيين من المدن الإيطالية وغيرها كجنوة وبيزا، وأخرى خاصة بالمسلمين تشبه الأولى غير أن الكثير من المحرمات ممنوعة فيها[3]، وبالتالي يتضح وجود نوعين من الفنادق مخصصة لكل طائفة كالمسلمين وأهل الذمة.

إضافة إلى أن الفنادق الزيانية كانت بمثابة مكاتب أو هيئة إدارية لتسيير شؤون التجار ومصالحهم لما احتوته من مكان إقامة القنصل الأوروبي والكنيسة والحانات، ونجد بها ممثلي الجاليات الأجنبية وتقع مسؤولية حمايتها على السلطان الزياني[4].

ونجد أن هذه المؤسسة التجارية وجدت عند الرستميين على أن يبق الكشف عنها لمعرفة معالمها العمرانية الأثرية متواصل بشكل أكبر من طرف علماء الآثار والباحثين، أما بالنسبة للزيانيين فمعالمها بقيت ظاهرة وموجودة في مجموعة من الفنادق"كالرمانة" و"أبو علي" و"المامي" ووجدت دراسة أثرية[5] خاصة بهم وهو ما سهل التعرف عليهم.

---

[1] ابن عبد الرؤوف، آداب الحسبة، ص60 وما بعدها، إبن عبدون، رسالة في القضاء والحسبة، ص ص20، 39، 43، لقبال، المرجع السابق، ص ص80، 81.

[2] الباروني، المرجع السابق، القسم الثاني، ص08، أنظر كذلك ابن الصغير، المصدر السابق، ص85.

[3] الوزان، المصدر السابق، ج2، ص20، أنظر كذلك بلعربي، الأسواق، ص33، حساني، المرجع السابق، ج2، ص53.

[4] بورويبة وآخرون، ضمن كتاب الجزائر في التاريخ، ص 484 أنظر كذلك فيلالي، تلمسان، ج1، ص138.

[5] عمر بلوط، فنادق مدينة تلمسان الزيانية، ص ص98، 102، 103.

المطلب الثالث: طرق التعامل التجاري.

شهدت الدولة الرستمية تداول العملة في المبادلات التجارية، وعرفت الدينار الذهبي و الدرهم الفضي وهو ما أكدت عليه مصادر التاريخ الاباضي كابن الصغير والدرجيني[1]، لكن لم يشيروا إلى محتواها من عبارات مكتوبة عليها ولا تاريخ ضربها.

كما وجدت فلوس نحاسية تعود إلى عبد الرحمن بن رستم، وتعامل أهل جربة بالخندوس[2].

فنجد تأكد وجود عملة رستمية ضربت بتاهرت، وهو ما أكد عليه الحبيب الجنحاني والأثريان مارسيه ولا ماراً [3]، لكنهم لم يؤكدوا مكان تواجدها على أن يبق البحث عنها من طرف الباحثين وعلماء الآثار في أثار بقايا المدن الرستمية والمتاحف العربية والأوروبية لأن العملة تعتبر من مصادر التاريخ الرستمي والزياني والإسلامي بصفة عامة.

أما بالنسبة للدولة الزيانية فوجد تداول عدة قطع نقدية من مختلف المعادن والاحجام، ووجد الدينار الذهبي والدرهم الفضي وأجزاؤهما من النصف والربع والثمن وتم اكتشاف 32 ديناراً ذهبياً مع عدة قطع أخرى[4]، ويعود أول دينار للسلطان أبو حمو موسى الأول، وتم كتابة عدة شعارات عليه كاسم السلطان وعبارات الدعاء والثناء خاصة ذكر جملة" ما اقرب فرج الله" عند رفع الحصار المرينييني على تلمسان[5].

وتم التعامل أيضا في الدولتين الرستمية والزيانية بالمقايضة سلعة بسلعة والسلف والدين والصكوك(سبق الإشارة لذلك)، وهذا لرواج تجارتهما مع مختلف المدن والأقطار وفي مختلف الاتجاهات.

---

(1) ابن الصغير، المصدر السابق، ص ص89، 98، أنظر كذلك الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص56.

(2) الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص ص 354، 355، أنظر كذلك بحاز، المرجع السابق،ص ص 225، 226،

(3) الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص ص354، 355، أنظر كذلك الجنحاني، المرجع السابق، ص ص225، 226.

(4) بوزياني، المرجع السابق، ص227.

(5) ابن خلدون، العبر، ج7، ص128، أنظر كذلك بورويبة وآخرون، المرجع السابق، ص488.

لكن أهم ما ميز الدولة الزيانية هو ما ذكره المقري عن الشركة التجارية للأخوة الخمسة أبو بكر ومحمد بتلمسان، وعبد الرحمن بسجلماسة، وعبد الواحد وعلي بإيوالاتن[1]، ومساهمتهم في رواج التجارة من تلمسان إلى السودان الغربي بامتلاكهم ثروة كبيرة.

المطلب الرابع: الموازين والمكاييل والمقاييس.

شهدت عملية البيع والشراء تداول مجموعة من الموازين والمكاييل نظمتها خطة الحسبة وراقبتها. وتطرقت المصادر إلى ذكرها فيشير كل من البكري والمقدسي إلى بعض موازيين المدن الرستمية[2].

وهي نفسها تقريباً ما وجد في عهد الدولة الزيانية حسب ابن خلدون وأخوه يحي من موازيين ومكاييل[3]، وجميعها كانت مضبوطة وفق ما حدده الشرع والمنهج الإسلامي وأهم ما ميزها أنها كانت مضبوطة في الدولتين مع مراعاة ما حددته مصادر الحسبة عن ضبطها وكيفية صنعها[4].

وشهدت تلمسان استخدام ذراع ملكية لقياس أطوال الأقمشة خصوصا، وعلق بسوق القيسارية، وشكل على رخامة صفراء، كانت مثبتة بجدار في حانوت أمين التجار وطول هذا الذراع 47 سم[5].

وكتب عليه عبارة "الحمد لله والشكر لله هذا قياس آلة الذراع بالقيسرية وعمرها الله في شهر ربيع الثاني عام ثمانية وعشرون وسبع مئة[6].

– الأسعار:

ارتبطت الأسعار في الدولتين بحالة البلاد وما بها من معالم اقتصادية من زراعة وصناعة وغيرها فتشير المصادر إلى أن مجيء أموال المشرق للرستميين ساعدت على انتعاش الضعيف والفقير وتحسن أحوالهم

---

(1) المقري، نفح الطيب، مج5، ص205، أنظر كذلك مارسي، تلمسان، ص98، DHINA, opcit, P236, 237

(2) البكري، المصدر السابق، ص ص 65، 72، 81 أنظر كذلك المقدسي، المصدر السابق، ص ص 192، 193.

(3) ابن خلدون، العبر، ج7، ص ص125، 126، أنظر كذلك يحي بن خلدون، المصدر السابق، ص 114.

(4) ابن عبد الرؤوف، المصدر السابق، ص ص 98، 99، 100، 101.

(5) بلوط، المرجع السابق، ص83.

(6) مارسي، تلمسان، ص96.

ورخاء البلد[1]، وهذا بطبيعة الحال ستكون الأسعار في متناول الفقير قبل الغني مما يؤدي إلى رخص السلع وتحسن الحالة المعيشية للرعية.

وكانت بعض المواد في حالة رخص لتوفرها في مختلف المناطق وبكمية وافرة كالحبوب والفواكه والتمور واللحوم ومختلف الأطعمة ما بين تاهرت وتلمسان والواحات الصحراوية والمدن الساحلية[2].

وتأثرت بتوفر الأمن والاستقرار السياسي فنجد غلاء الأسعار زمن الصراعات كالذي ذكره ابن الصغير عن انقطاع السبل وفراغ أيدي الناس من الحرث والنسل[3]، أو ما جاء به ابن خلدون وأخوه يحي والتنسي عن ارتفاع الأسعار زمن الحصار المرينييني على تلمسان سنة 698هـ/1298م، أو احتكار الدولة لبعض السلع للطبقة الحاكمة[4].

فيتضح أن الأسعار بصفة عامة ترتبط بحالة الازدهار والرخاء والأمن في كل الدول وهي ظاهرة وقاعدة مستمرة إلى يومنا هذا.

– النظام الجبائي:

عرف الرستميون والزيانيين معاملات مالية متنوعة ما بين الشرعية كالزكاة وغيرها وبين الضرائب والمغارم على التجار وما هو مرتبط بهم.

قدم ابن الصغير صورة واضحة عن الصدقات والعشور، وما في البلد من أموال يجب إخراج الزكاة عليها ومال الجزية وغيرها[5]، إضافة إلى الضرائب والرسوم التي تأخذ من أرباب التجارات والقوافل التجارية[6]، وإن كانت الإشارة إلى ما فرض على التجار من مغارم وضرائب قليلة وهذا لا يعني عدم

---

(1) ابن الصغير، المصدر السابق، ص ص31، 32.

(2) البكري، المصدر السابق، ص ص69، 70، أنظر كذلك ابن حوقل، المصدر السابق، ص ص92، 95، اليعقوبي، المصدر السابق، ص197.

(3) ابن الصغير، المصدر السابق، ص99.

(4) ابن خلدون، العبر، ج7، ص125، أنظر كذلك يحي بن خلدون، بغية الرواد، ص197، التنسي، المصدر السابق، ص132.

(5) ابن الصغير، المصدر السابق، ص ص35، 36.

(6) بحاز، المرجع السابق، ص ص293، 294.

وجودها، فهي موجودة وفرضت على ما كان يدخل إلى الدولة من قوافل متنوعة وعلى التجار والأسواق الداخلية وفق تنظيم محكم.

وتنوعت مصادر أموال الزيانيين التي كانت تفرض كالزكاة والجزية والضريبة الجمركية على التجار وأصحاب الصناعات التقليدية وما يفرض على الأغنياء وغيرهم[1].

وبحكم العلاقات التجارية مع أوروبا المسحية أقيمت مصالح للجمارك خاصة بالموانئ بوهران وهنين وكانت منظمة وفق قوانين وتسجل في دواوين خاصة ويشرف عليها عمال[2]، ونجدها كانت خاصة بالتعامل مع الأوروبيين واليهود، أما بالنسبة للقوافل البرية التي تأتي من السودان ومن الشرق والغرب فإن هيئة المراقبة قد وجدت لها مكاتب في القيسارية والفنادق أو تخرج لملاقاتهم على المحاور والمراكز التجارية لمنعهم من التهرب من دفع الرسوم[3].

ولكن أهم ما ميز النظام الجمركي عند الزيانيين هو مساهمة المسلم في مراقبة وتفتيش النصارى واليهود أما النساء اليهوديات فيفتشن النساء[4]، فيظهر هنا ظاهرة جديدة تنظيمياً في النظام الجمركي في دول المغرب الإسلامي.

---

(1) بوزياني، نظم الحكم، ص220، أنظر كذلك بورويبة وآخرون، المرجع السابق، ص487.

(2) الوزان، المصدر السابق، ج2، ص16، أنظر كذلك بشاري، التجارة الخارجية، ص215، بورويبة وآخرون، المرجع السابق، ص484.

(3) حساني، المرجع السابق، ج2، ص ص117، 118، أنظر كذلك بورويبة وآخرون، المرجع السابق، ص487.

(4) ابن مرزوق، المسند الصحيح، ص285، أنظر كذلك حساني، المرجع السابق، ج2، ص112.

المبحث الثالث: دراسة مقارنة في المراكز والطرق التجارية.

المطلب الأول: المراكز التجارية.

تميزت كل من تيهرت الرستمية وتلمسان الزيانية كحواضر بالمغرب الأوسط بموقع جغرافي إستراتيجي سهل لهما التواصل والتأثير تجارياً بالأقاليم المحيطة بهما عبر شبكة من المراكز والطرق التجارية.

1- المراكز الداخلية:

ويذكر ابن الصغير "... أنه (عبد الوهاب) قد بلغت سمعته إلى أن حاصر مدينة طرابلس وملأ المغرب بأسره إلى مدينة يقال لها تلمسان..." [1]، ويمكن إعتبار هذا التحديد الجغرافي أكبر إطار مكاني وصلت له حدود الدولة في عهد إمامها الثاني.

وأشارت المصادر خاصة الجغرافية إلى موقع الدولة بالمغرب الأوسط وحاضرتها تاهرت بموقعها المتميز ما بين الأغالبة شرقاً والأدارسة غرباً وبني مدرار في الجنوب الغربي وامتدادات مفتوحة على الصحراء الكبرى جنوباً نحو السودان[2].

وامتازت تلمسان أيضاً بنفس الموقعية كقاعدة للمغرب الأوسط وجمعت ما بين البر والبحر[3]، وذلك بامتدادها من موقعها الداخلي إلى الساحلي وإلى الصحراء جنوباً.

وامتازت الحاضرتان بوجود عدة مدن بمثابة مراكز تجارية تسهل التواصل والتعامل مع مختلف المناطق، فنجد جبل نفوسة بالجهة الشرقية للدولة الرستمية ويعتبر بمثابة نقطة عبور لمصر والمشرق الإسلامي ومنطلق للقوافل شرقاً وجنوباً نحو السودان الغربي بخطين تجاريين[4].

---

[1] ابن الصغير، المصدر السابق، ص39.

[2] البكري، المصدر السابق، ص ص69، 72، أنظر كذلك اليعقوبي، المصدر السابق، ص192، ابن حوقل، المصدر السابق، ص86.

[3] الإدريسي، المصدر السابق، مج1، ص 248، أنظر كذلك ابن خلدون، العبر، ج7، ص ص 45، 46.

[4] ابن حوقل، المصدر السابق، ص93، أنظر كذلك البكري، المصدر السابق، ص12.

ولعل أبرز مركز كانت وارجلان جنوباً، وهمزة الوصل للتجار الرستميين مع ممالك السودان ومكان لقائهم ومنطلق قوافلهم[1].

أما الزيانيون فكانت لهم سجلماسة وهي ممر الطريق إلى بلاد السودان وغانة رغم أنها لم تبق لفترة طويلة تحت حكمهم[2]، إضافة إلى وركلة وإن لم تكن بنفس الأهمية التي قامت بها المدينة في عهد الرستميين.

لكن أهم مركز صحراوي للزيانيين كانت تيكورارين في قلب الصحراء لأنها ملتقى للتجارة ومنطلق قوافلهم جنوباً إلى السودان وشمالاً إلى تلمسان وموانئها وغيرها.

2- المراكز الساحلية(الموانئ):

لعل ما ميز الجغرافية الطبيعية للرستميين والزيانيين هو إطلالهم على ساحل البحر المتوسط بمجموعة من الموانئ الهامة كانت منطلقاً لمراكبهم ومقصداً لمختلف التجار من مختلف المناطق.

فنجد ميناء تنس الذي يعتبر من أهم المراسي بالنسبة للدولتين فكانت تجارة الرستميين تنطلق باتجاه الأندلس أو مرسى تونس الأغلبي[3].

أما الزيانيون فمنطلق مختلف المراكب إلى السواحل المغربية والأندلسية والأهم أنه مقصد للسفن الأوروبية وتجارها[4]، إضافة إلى ميناء وهران الذي يعتبر من أهم الموانئ بفضل موقعه المتميز والمحصن والذي كان محطة تجارية للدولتين وإلى التجار من الأندلس خاصةً لقربه منها[5].

---

(1) الإدريسي، المصدر السابق، مج1، ص296، أنظر كذلك غرايسية، من الأدوار الحضارية للمدن الصحراوية، ص420.

(2) ابن خلدون، العبر، ج7، ص ص82، 83، أنظر كذلك يحي بن خلدون، المصدر السابق، ص191.

(3) البكري، المصدر السابق، ص 64، أنظر كذلك ابن حوقل، المصدر السابق، ص 78، المقدسي، المصدر السابق، ص 185.

(4) البكري، المصدر السابق، ص ص 64، 65.

(5) البكري، المصدر السابق، ص 84، أنظر كذلك ابن الصباح، أنساب الأخبار، ص 95.

ونجد كذلك مرسى فروخ[1]، الذي اختلفت المصادر الجغرافية في تسميته ولكن لم تختلف على أهميته الحيوية والتجارية في عهد الدولة الرستمية إضافة إلى جزيرة جربة البحرية التي كانت تابعة لهم وهي كذلك منطلق تجارتهم إلى الأندلس[2].

ولعل مرسى فروخ لم يعد له ذكر في عهد الزيانيين أو ربما اختلفت تسميته أما الجزيرة فكانت تابعة للحفصيين.

أما أهم ميناء ظهر في عهد الزيانيين هو هُنَين، لأنه كان محصن ومقصد لمختلف التجار خاصة سفن البندقية ببضائعها قبل أن تنقل إلى تلمسان[3]، إضافة إلى مونئ أخرى كالمرسى الكبير وبرشك وجزائر بني مزغنان[4]، ومن هذا يتضح أن الموانئ الرستمية كانت للتبادل الداخلي للدولة وما بين سواحل المغرب الإسلامي الأغلبية والإدريسية ومنطلقاً نحو الأندلس الأموية وفقاً للعلاقات التجارية بين الأطراف المتعاقدة.

أما بالنسبة للزيانيين فاعتمدوا على نفس موانئ الدول التي سبقتهم مع اعتمادهم على موانئ جديدة كهنين ومنطلق وملتقى للمراكب في مختلف الاتجاهات بالمغرب الإسلامي مع الحفصيين والمرينيين والأندلس والمشرق الإسلامي وخاصة مع أوروبا المسيحية.

---

[1] اليعقوبي، المصدر السابق، ص 192، أنظر كذلك الإدريسي، المصدر السابق، مج 1، ص 271.

[2] البكري، المصدر السابق، ص 84.

[3] كاربخال، إفريقيا، ج2، ص 296، أنظر كذلك الجلالي صاري، أضواء على أحد موانئ دولة بني زيان، ص ص17، 18.

[4] الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 33، أنظر كذلك كاربخال، المصدر السابق، ج2، ص 327.

المطلب الثاني: الطرق التجارية البرية والبحرية.

1. الطرق البرية.

شهد المغرب الأوسط مجموعة من المسالك التجارية في عهد الدولتين الرستمية والزيانية، عبر مختلف الاتجاهات لرواج التجارة داخلياً وخارجياً.

وأشارت المصادر الجغرافية إلى مجموعة من المسالك سلكها الجغرافيون بأنفسهم وقدموا مراحلها، فكان للرستميين بحكم علاقتهم بالأغالبة والأدارسة وبني مدرار تجارياً سلوك طرق معلومة وفق مراحل تضمن لهم السلامة والأمن لهم ولقوافلهم [1].

وعلى هذا نجد أن تاهرت كانت مركز عبور لثلاث اتجاهات للطرق التجارية شرقاً وغرباً والجنوب الغربي وربطت كل منطقة بالأخرى بطريقين وأكثر حسب المصلحة والتعامل، وأشارنا لذلك في المبحث الخاص بالمراكز والطرق التجارية الرستمية.

أما الزيانيين بحكم موقعهم الجغرافي المتميز الذي يتوسط المغربين الأدنى والذي يمثل جغرافية الحفصيين شرقاً، والمغرب الأقصى الذي شمل دولة المرنين غرباً فنجد مجموعة من المسالك باتجاه الطرفيين في خط طولي من الشرق إلى الغرب مروراً بحاضرة الزيانيين تلمسان[2].

فهنا يتضح مدى أهمية الموقع الجغرافي لدول المغرب الأوسط كنقطة عبور لمختلف المسالك وفي مختلف الاتجاهات فارتبطت الدولتين مع ما يجاورهما رغم الفارق الزمني بينهما فإن المسالك التجارية لم تتغير بشكل كبير.

وارتبطوا بمسلك تجاري مع مصر والمشرق الإسلامي [3]، فكانت قوافل الرستميين تنتقل بحرية عبر أراضي الدولة لأن امتدادها يصل إلى طرابلس عبر بجبل نفوسة [4].

---

[1] اليعقوبي، البلدان، ص 198، المقدسي، المصدر السابق، ص197، أنظر كذلك البكري، المصدر السابق، ص 62.

[2] ابن بطوطة، الرحلة، ص ص 31- 36، أنظر كذلك الإدريسي، المصدر السابق، مج1، ص ص 246- 249، ابن الصباح، المصدر السابق، ص 97.

[3] بحاز، الدولة الرستمية، ص ص 236، 237، أنظر كذلك محمود إسماعيل، الخوارج في بلاد المغرب، ص 276.

[4] اليعقوبي، المصدر السابق، ص ص 184، 185 ، أنظر كذلك ابن حوقل، صورة الأرض، ص 93.

في حماية كاملة وبدون ضرائب العبور، وهو ما ساعد تجارها على الاتصال المباشر بمصر ومنها إلى باقي مناطق المشرق.

أما التجار الزيانيين فكان لابد لهم من المرور عبر أراضي الحفصيين وهم في حالة صراع معهم، وبالتالي كان عليهم تقبل ما يفرض عليهم من شروط وضرائب العبور من أجل مرور قوافلهم وبضائعهم باتجاه المشرق الإسلامي.

وظهرت أهم الطرق التجارية باتجاه مصادر الذهب والعبيد في مناطق السودان الغربي فكان لكل من الرستميين والزيانيين مسالكهم الخاصة وفق موقعهم الجغرافي ونفوذ قوافلهم التجارية.

فارتبطت تاهرت بطريقين ينطلقان منها فنجد أحدهما يتجه غرباً مروراً بسجلماسة فأودغشت إلى غانة ومنها إلى مناطق السودان المنشترة حول نهر النيجر[1]، أما الثاني فهو الذي يتجه إلى وارجلان فتادمكة فكوكو، وهو طريق مباشر باتجاه الجنوب سلكه أغلب تجار الدولة وكانت لهم سفارة محمد بن عرفة مع ملك كوكو[2].

ونجد أيضاً طريقين تجاريين آخرين ينطلقان من جبل نفوسة أحدهما باتجاه كوكو[3]. والآخر يصل كواركانم [4]، ولهم ارتباط بالخط المنطلق من تاهرت مروراً بوارجلان.

أما بالنسبة للزيانيين فنجد أن لهم أيضاً طرق تنطلق من تلمسان باتجاه مناطق توات بالجنوب بتيكورارين عبر عدة مسالك من سجلماسة إلى تغازى فولاتة وينتهي بتمبكتو بمالي[5].

---

[1] اليعقوبي، المصدر السابق، ص ص198، 199، أنظر كذلك ابن حوقل، المصدر السابق، ص91.

[2] الإدريسي،المصدر السابق،مج1،ص ص256، 296، أنظر كذلك البكري، المصدر السابق،ص ص186،185.

[3] الإدريسي، المصدر السابق، مج1، ص296، أنظر كذلك البكري، المصدر السابق، ص185.

[4] البكري، المصدر السابق، ص13، أنظر كذلك اليعقوبي، المصدر السابق، ص183.

[5] شقدان، المرجع السابق، ص196، أنظر كذلك الوزان، المصدر السابق، ج2، ص133.

لكن أهم مسلك كان الذي وصفه الرحالة بن بطوطة في رحلته إلى مناطق السودان برفقة قافلة تجارية بها تجار من تلمسان، وتبدأ بتجمعهم في سبتة وفاس وصولاً إلى السودان[1]، وقدم وصفاً دقيقاً وهاماً عن مراحل الرحلة ومسالكها.

وأهم ما يمكن ملاحظته أن الرستميين بعد أن كان لهم السبق في تجارتهم نجد أن طرقهم لا تخرج من حاضرة الدولة تاهرت فقط، إضافة إلى التي تخرج من جبل نفوسة والأهم هو أربعة مسالك باتجاه السودان الغربي(سبق ذكرها)، أما عند الزيانيين فنجد أن غالب مسالكهم تخرج من تلمسان مباشرةً.

أما للزيانيين فنجد مسلكين بارزين إلى توات وسجلماسة ومنها تتفرع أكثر من خمسة طرق باتجاه ممالك السودان وهو ما يؤكد مدى أهميته التجارية مع السودان الغربي[2].

2. الطرق البحرية:

أما بالنسبة للطرق البحرية فنجد وجودها في الدولتين وربطت موانئ الرستميين علاقات مع موانئها الداخلية وجيرانها الأغالبة شرقاً والأدارسة غرباً وأهمها ما كان يتجه إلى الأندلس فنجد أربعة موانئ تتوزع ما بين تنس ووهران ومرسى فروخ وجزيرة جربة تنطلق منها مراكبهم باتجاه شواطئ الأندلس[3]، والغالب عليها المسافة أنها في يوم وليلة.

أما بالنسبة للزيانيين فنجد أن لهم شبكة طرق بحرية داخلياً وخارجياً، ما بين الموانئ الداخلية كهنين وبرشك وتنس ووهران وغيرهم[4]، وطريق بحري ما بين المغرب الأقصى فالأوسط إلى الأدنى ومنه إلى المشرق الإسلامي عبر موانئ الزيانيين[5].

وعدة طرق مع أوروبا المسيحية من المدن الإيطالية وفلورنسا وقطلونية وغيرها.

---

[1] إبن بطوطة، المصدر السابق، ص ص683، 685.

[2] بشاري، التجارة الخارجية، ص ص79- 87.

[3] اليعقوبي، المصدر السابق، ص192، أنظر كذلك البكري، المصدر السابق،ص ص73، 81، 84، 88، المقدسي، المصدر السابق، ص185.

[4] الوزان، المصدر السابق، ج2، ص33.

[5] بشاري، المرجع السابق، ص ص108، 109.

علماً أنها تكون مباشرة إلى السواحل أو مروراً بموانئ الأندلس[1].

ويتضح أن تعاملات الزيانيين كانت أوسع من الرستميين بحكم تعاملاتهم بحرياً في المغرب الإسلامي والأندلس اللذان يشتركان فيه فإن تعاملاتهم اتسعت لتشمل المشرق الإسلامي وخاصةً أوروبا وإن كان الغالب عليها استعمال مراكب أوروبية إلا أن بعض التجار الزيانيين امتلكوا سفناً خاصة كهلال القطلاني[2].

المبحث الرابع: دراسة مقارنة في المعاهدات التجارية.

أقام كل من الرستميين والزيانيين علاقات ومعاهدات تجارية مع مختلف الدول التي تعاملوا معها تجاريا .

المطلب الأول: المعاهدات التجارية مع دول المغرب الإسلامي:

ارتبطت تاهرت مع دولة بني مدرار بسجلماسة اجتماعيا بحسب ما جاء به ابن خلدون أن اليسع أصهر لعبد الرحمان بن رستم صاحب تاهرت بابنه مدرار في ابنته أروى فأنكحه إياها [3]، رغم أنها علاقة مصاهرة إلا أنها بحكم العلاقة القوية سهلت التعاملات تجاريا علما أن المدينة (سجلماسة) هي باب للذهب و مسار لخط تجاري رسمي هام جدًا نحو السودان الغربي، ووطد كذلك علاقته بالأغالبة مع روح بن حاتم بن قبيصة المهلب أمير القيروان سنة 171هـ/ 787م [4].

وساهمت في توطيد التبادل التجاري و تسهيل مرور القوافل إلى المشرق، إضافة إلى ضمان التواصل مع جزيرة جربة التابعة للرستميين، والملاحظ أن المصادر الإباضة لم تشر إلى هذين الاتفاقيتين وأشار لهما بن خلدون.

---

[1] كاربخال، المصدر السابق، ج2، ص296، أنظر كذلك شقدان، المرجع السابق، ص197.

[2] ابن خلدون، العبر، ج7، ص198.

[3] ابن خلدون، العبر،ج6، ص 172، أنظر كذلك BEkRI, LE ROYAUME ROSTEMIDE, P172

[4] ابن خلدون، العبر،ج6، ص 148، أنظر كذلك الباروني، المرجع السابق، القسم الثاني، ص 93.

كما قام عبد الوهاب بعقد معاهدة مع عبد الله ألأغلبي سنة 196 هـ/811م بعد حصار مدينة طرابلس الغرب على أن تكون المدينة و البحر الأغالبة ، و ما خارجها من البر إلى نهاية أرض سرت للإمام (الدولة الرستمية)[1].

وبالتالي نرى توطيد العلاقة بالسلام خاصة هنا الحرص على ضمان الطريق إلى المشرق و التواصل تجارياً و دينياً.

ولعل أبرز وأهم ما قام به أفلح بن عبد الوهاب وذلك حسب ابن خلدون " أن أبو العباس محمد ابن الأغلب شيد مدينة قرب تاهرت وسماها العباسية سنة227 هـ/ 841م، وقام أفلح وأحرقها، وكتب إلى صاحب الأندلس يتقرب إليه "[2].

فيتضح أنها كانت مساس بالتعايش بين البلدين، وتتعارض مع المصالح الحيوية لهما واستهدفت القضاء على مركز تاهرت التجاري الهام الذي بلغته وتأثيرها على مصادر التجارة الخارجية [3]، فهنا يمكن اعتبارها علاقة خاصة (عسكرية) من أجل مصلحة تجارية هامة، ويتضح أن الرستميين أقاموا علاقات تجارية وإن كان ظاهر بعضها اجتماعي وسياسي وعسكري إلا أنه يمكن القول أن الهدف من ورائها تجاري خاصة أنها جرت مع الجيران الذين كانوا على مواقع جغرافية مؤثرة في المسالك التجارية .

وكانت العلاقة مع بني مدرار الصفرية والأغالبة الأحناف السلطة وأما الرعية فمالكية المذهب، ومع الأدارسة الشيعة الزيدية المعتدلة ورغم الاختلاف المذهبي إلا أن التجارة بقيت متواصلة ونشطة تصديراً واستيراداً فيما بينهم.

---

[1] أبو زكريا، المصدر السابق، ص ص 116، 117، أنظر كذلك الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص67، الباروني، القسم الثاني، ص ص 145، 146.

[2] ابن خلدون، العبر، ج4، ص 256، أنظر كذلك BEkRI, opcit, P P 168, 169

[3] الحريري، الدولة الرستمية بالمغرب، ص ص 197، 198، أنظر كذلك محمود إسماعيل، المرجع السابق، ص191.

أما بالنسبة للزيانيين فنجد علاقتهم مع الحفصيين شرقا والمرنين غربا فذكر ابن خلدون وصية يغمراسن لابنه عثمان أن يهادن المرينيينين ويتوسع شرقا [1]، ولكن نجد أغلب العلاقات كانت في حالة صراع مباشر، أما حالات السلم فكانت التجارة متواصلة بين الطرفين وتنقل البضائع بشكل مستمر، ولا أدَّل على ذلك ما ذكرناه عن المبادلات التجارية ما بين الطرفين في المبحث الخاص بذلك.

ونجد الصراع ما بين يغمراسن ويعقوب بن عبد الحق المرينييني على سجلماسة التي مثلت منطقة تجارية ومعبر هام باتجاه السودان الغربي عبر الطريق التجاري المار بها [2]، فرغم مصلحة كل طرف للآخر لعبور تجارته إلا أن الصراع كان قائم بينهم مع أن المذهب السني يجمعهم، إلا أنَّ الحركة التجارية بقيت متواصلة شرقا وغربا وشمالا وجنوباً.

وعقدت اتفاقية مابين السلطان الزياني يغمراسن وأبو زكريا الحفصي على تحالف بينهما ضد بني مرين وبقي على تلمسان أميرها على أن يقطعه بلاد من افريقية جبايتها مائة ألف دينار، وكانت له ومن بعده حتى موت أبي تاشفين[3].

فإن كان ظاهر سياسي في التحالف لكن مضمونها اقتصادي وضمان مورد جبائي هام خارج حدود الدولة، وإن كان هنالك تناقض بين الاتفاق الذي أبرمه يغمراسن والوصية التي تركها لأبنه أبو سعيد عثمان، وكان قد خطب من أبي إسحاق بن زكريا صاحب تونس ابنته لأبنه أبو سعيد فأنكحه إياها وهو ما وطد العلاقة اجتماعيا وهو ما سيؤثر على الترابط السياسي والتجاري.

---

[1] ابن خلدون، العبر، ج7، ص ص 110، 111، أنظر كذلك فيلالي، تلمسان، ج1 ، ص 24.

[2] ابن خلدون، العبر، ج7، ص 82 ، أنظر كذلك يحي بن خلدون، المصدر السابق، ص191.

[3] يحي ابن خلدون، المصدر السابق،ص ص189- 192، أنظر كذلك التنسي، المصدر السابق، ص ص118- 128، فيلالي، تلمسان، ج1 ، ص 22 .

المطلب الثاني: المعاهدات التجارية مع الأندلس والمشرق الإسلامي.

1. مع الأندلس:

تميزت العلاقات الرستمية مع الدولة الأموية بحسن الجوار وتبادل السفارات بينهما وهو ما ظهر أيضا لدى الزيانيين مع دولة بني الأحمر.

لعل بادئ هذه العلاقة هو عبد الرحمن بن رستم وذلك قبل وفاته أن عين مجلس شورى لاختيار الإمام ومنهم مسعود ومروان الأندلسيين[1]، فهنا يتضح المكانة التي كانا يتمتعان بها في تاهرت فنجد لهما دورًا في عقد الاتفاقيات السياسية والتجارية بين البلدين.

ليقوم بعدها الإمام عبد الوهاب بإرسال سفارة رسمية سنة207هـ /822م من أبنائه عبد الغني ودحيون وبهرام، استقبلهم عبد الرحمن الأوسط أمير قرطبة فأكرمهم وأغدق عليهم الهدايا، وأنفق عليهم ألف دينار ثم أرجعهم لبلادهم[2]، وهذا ما وطد العلاقة التجارية بشكل كبير.

وبعد أن قام أفلح بتدمير مدينة العباسية الأغلبية سنة 227هـ/841م، كتب إلى صاحب الأندلس يتقرب إليه بذلك فبعث إليه بمئة ألف درهم[3]، فنجد هنا مصلحة متبادلة بين الطرفين رغم أن هذه الرسائل كانت من طرف الرستميين في غالبها.

ويؤكد البكري على دور الأندلسيين في بناء مينائي تنس سنة 262 هـ/875م، ووهران سنة 290هـ/ 902م[4]، وهما الذين شحنت منهما بضائع الرستميين الخاصة المتنوعة من مزروعات وصناعات وما جلب من السودان كالذهب والعبيد، وأستورد من الأندلس ما تحتاجه الدولة من مختلف الصنائع.

وتظهر علاقات الزيانيين بالأندلس أنها لم تكن بشكل رسمي ونجدها تتمثل في تبادل البضائع حسب احتياجات البلدين وقت الحاجة، ومن ذلك علاقة ابن الأحمر بعثمان بن يغمراسن فأرسل له

---

(1) أبو زكريا، المصدر السابق، ص ص 88، 89، أنظر كذلك الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص 46.

(2) فيلالي، العلاقات السياسية، ص ص 111، 112، أنظر كذلك BEkRI, opcit, P 166

(3) ابن خلدون، العبر، ج4، ص 256، أنظر كذلك BEkRI, opcit, P P 168, 169

(4) البكري، المصدر السابق، ص ص 64، 84، 69، أنظر كذلك فيلالي، العلاقات السياسية، ص ص 115، 116.

هدية تتكون من بعض الأعلاج النصارى والجواري[1]، زيادة على المنتوجات الزراعية والصناعية المتبادلة بينهما ككل دول العالم الإسلامي.

يظهر هذا لما كانت تمر به دولة بني الأحمر بقرطبة من حالة التفكك والتكالب المسيحي على الأندلس مما أدى بهم الى الهجرة لمدن المغرب الإسلامي.

وهذا ما يؤكد مدى استفادة الرستميين من قوة الأمويين لربط علاقات تجارية قوية معهم، وفق المصلحة المتبادلة في إطار التعايش السلمي بينهما.

2. مع المشرق الإسلامي:

شهدت العلاقات التجارية ما بين دول المغرب الأوسط والمشرق ترابطا وثيقا عن طريق اتفاقيات فكان للرستميين ترابط وثيق واتخذ ظاهره في الجانب الديني مع مركز الاباضية بالبصرة العراقية فيشير ابن الصغير أن أخبار عدله(عبد الرحمن بن رستم) وسيرته وصلت لإخوانه بالمشرق فنهضوا إليه بالأموال[2].

فبعثوا له بثلاثة أحمال أموال فقام بتقسيمها غلى أهله بحسب الشرع، ليتم بعدها إرسال أحمال أخرى فيما بعد لكن الإمام أرجعها لتطور الدولة وعدم احتياجهم بها[3]، فيظهر هنا مدى الترابط الوثيق الذي بدأ دينياً ومذهبيا لينتقل إلى الجانب التجاري المالي.

وتواصلت العلاقات مع الإمام عبد الوهاب الذي وطدها مع الإمام الربيع بتبادله مجموعة من البضائع ما بين الطرفين[4]، وكان التواصل مستمرًا بحكم المركز الديني لمكة المكرمة والبصرة وانتقال التجار والحجاج وطلاب العلم في قافلة واحدة تجمعهم.

وشهدت الدولة الزيانية توافد التجار على المشرق سواء برًا في قوافل أو بحرًا عبر السفن الزيانية أو الأوروبية، فنجد هلال القطلاني حاجب أبو تاشفين اتجه إلى الحج في سفن يملكها وشحنها بالأقوات

---

(1) ابن خلدون، العبر، ج7، ص 197، أنظر كذلك فيلالي، تلمسان، ج1، ص184.

(2) ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين، ص 28، أنظر كذلك الكعاك، موجز تاريخ الجزائر، ص 128.

(3) أبو زكريا، المصدر السابق، ص 88، أنظر كذلك الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص 45.

(4) الباروني، المرجع السابق، القسم الثاني، ص 164، أنظر كذلك الحريري، المرجع السابق، ص ص 189، 190.

والعدة والعدد ونزل أولاً بالإسكندرية[1]، وكان لثرائه الكبير دور في ربط العلاقة مع المشرق وان لم يظهر طابعها لكن عدد السفن يوضح ذلك.

وتشير المصادر إلى العلاقة بين الملك أبي زيان الزياني وملك مصر الظاهر برقوق تمثلت في تبادل الهدايا فيما بينهما وبضائع تجارية أخرى[2]، فنجد أن التبادل التجاري كان مباشرًا عن طريق الملوك أنفسهم.

وفي هذا يتضح مدى الترابط بين المغرب الإسلامي والمشرق في مختلف المجالات ومنها التجارية كحاجة كل طرف للآخر، ودعم ذلك الترابط الديني الوثيق ما بين المناطق الإسلامية.

المطلب الثالث: المعاهدات التجارية مع السودان الغربي.

ارتبطت كل من الدولة الرستمية والزيانية باتفاقيات تجارية مع السودان الغربي فيذكر ابن خلدون " أن التجار الذين يولعون بالدخول إلى بلاد السودان أرفه الناس وأكثرهم أموالاً...، فتجد سلع بلاد السودان قليلة لدينا (المغرب) فتختص بالغلاء وكذلك سلعنا لديهم، فتعظم بضائع التجار من تناقلها، ويسرع إليهم الغنى والثروة من أجل ذلك...."[3].

فيشير ابن الصغير أن الرستميين استعملوا السبل إلى بلد السودان منذ عهد عبد الرحمن، ويضيف" أنه كان بالبلد رجل يعرف بمحمد بن عرفة، وكان وسيماً وجميلاً جوادًا سمحاً، وكان قد وفد على ملك السودان بهدية من قبل أفلح بن عبد الوهاب فتعجب ملك السودان ما رآه من هيبته وجماله وفروسيته، إذا ركب الخيل فهز يديه وقال له كلمة بالسودانية ليست تعبر بالعربية لأن لا مخرج للإمساك ... ما بين القاف والكاف والجيم إلا أن معناها أنت حسن الوجه حسن الهيئة و الأفعال" [4]، وتعتبر بمثابة معاهدة تجارية مباشرة بين الدولتين وأهم ما يستنتج منها:

– أن الإمام أوفد أعلى شخصية دبلوماسية معروفة في حكومته لهذه السفارة.

---

[1] ابن خلدون، العبر، ج7، ص 198، أنظر كذلك فيلالي، تلمسان، ص 184.

[2] ابن خلدون، العبر، ج7، ص 342، أنظر كذلك التنسي، المصدر السابق، ص 220.

[3] ابن خلدون، المقدمة، ص369.

[4] ابن الصغير، المصدر السابق، ص ص32 ، 62، أنظر كذلك BEkRI, opcit, P173

– إن الصلات بين الرستميين وبلاد السودان كانت على قدر عظيم من الاتصال وتدل على ذلك الشخصية الموفدة وما حملته من هدايا لملك السودان.

– وكانت السفارة ناجحة مما جعل ملك السودان يعبر عنها بما أضفاه على الموفد إليه محمد بن عرفة من عبارات الإعجاب والتقدير[1].

ويذكر الباروني أنه كانت له مع أغلب الملوك مودة ولا سيما ملك (صوصو) أو كوكو[2]، وكان في هذه المرحلة في السودان الغربي مملكتان معاصرتان للرستميين فنجد غانا ومملكة كوكو أو جوجو، وفي السودان الأوسط مملكة نخلة جنوب بحيرة تشاد[3].

فنجد أن هذه المعاهدة قد فتحت الطريق للتجار وقوافلهم نحو المنطقة ومعادنها الثمينة من الذهب والرقيق وغيرهما، مما سهل من تفعيل المبادلات التجارية إضافة إلى نشر الإسلام واللغة العربية بالمنطقة.

ونجد ارتباط الزيانيين أيضاً باتفاقية تجارية فيذكر ابن خلدون أن هلال القطلاني وزير أبو تاشفين توجه إلى الحج، ولقي في طريقه سلطان السودان من مالي منسي موسى واستحكمت بينهما المودة [4]، ولعل ما يدل على هذه العلاقة ترابطهم تجارياً قبل هذا اللقاء وتوطد التبادل بعده بصورة كبيرة وواضحة.

وسافر ابن بطوطة في رحلته إلى السودان الغربي والتي رافقه فيها تجار من تلمسان، واكترى له محمد بن فقيه الجازولي دارا يسكنها، وكان معه صهره الفقيه المقرئ عبد الواحد وابنه، والشيخ اللبان التلمساني الذي كان مقربا من منسى سليمان[5]. فنجد أن التجار التلمسانيين كانوا مستقرين بمالي وأقاموا علاقات مميزة مع ملوكها بدليل إقامتهم بمدنهم وهو ما ساعد على التبادل التجاري.

---

[1] محمد ناصر، دور الإباضية في نشر الإسلام بإفريقيا، ص ص10 ،11.

[2] الباروني، المرجع السابق، القسم الثاني، ص184، أنظر كذلك الحريري، المرجع السابق، ص 211.

[3] بحاز، المرجع السابق،ص254، محمد ناصر، المرجع السابق، ص ص11، 12.

[4] ابن خلدون، العبر، ج7، ص198.

[5] ابن بطوطة، المصدر السابق، ص ص685-691، أنظر كذلك بشاري، التجارة الخارجية، ص143.

ومن أهم العلاقات المترابطة هو شركة المقري والتي تعتبر بمثابة خط تجاري مباشر ومتواصل "... وكان من الإخوة الخمسة عبد الواحد وعلي، بإيوالاتن، ... ولما افتتح التكرور كورة إيوالاتن وأعماله، اتصل بملكهم فأكرم مثواه، ومكنه بالتجارة بجميع بلاده وخاطبه بالصديق الأحب والخلاصة الأقرب ثم صار يكاتب من بتلمسان يتقصى منهم مآربه فيخاطبه بتلك المخاطبة، وعندي(الكاتب المقري)كُتبه وكُتبَ ملوك المغرب ما ينبئ عن ذلك، فلما استوثقوا من الملوك تذللت لهم الأرض للسلوك..." [1].

فنجد من نشاط هذه الشركة مخاطبة ملك مالي لهم بالصديق الأحب والخلاصة الأقرب وهذا ما وطد العلاقة بينهما.

وعلى هذا نجد اهتمام كل من الرستميين والزيانيين بتوطيد علاقاتهم باتفاقيات مباشرة مع ملوك السودان، وكأنّ ما حدث من إعجاب ملك كوكو بمحمد بن عرفة مبعوث أفلح قد ظهر مع ملك مالي بمخاطبته وإعجابه بأصحاب الشركة الإخوة المقري.

وهذا من أجل التبادل التجاري ووصول بضائع المغرب إلى السودان وجلب أهم بضائعه إلى الشمال.

المطلب الرابع: المعاهدات التجارية مع أوروبا المسيحية.

لعل ما يمثل علاقة الرستميين مع أوروبا حسب المصادر فهو تبادل بعض المنتجات والسلع كالمحاصيل الزراعية من الحبوب تصديراً واستيراد بعض البضائع كالرقيق البيض مثلاً بواسطة التجار اليهود [2]، أما معاهدات ومبادلات تجارية فلم تكن تربطها بها اتفاقية مباشرة إلا ما كان غير مباشر عبر الأغالبة أوالأندلس مثلاً.

أما الزيانيين فكانت لهم علاقات تجارية مباشرة عبر الموانئ كهنين وتنس، ونجد اتفاقية تجارية ما بين بن يغمراسن موجهة في رسالة من وزيره هلال عبد الله من تلمسان إلى جاقمو ملك أراغون بتاريخ صفر723هـ/09 فيفري 1323م وجاء في بعض محتواها "...ويقع الصلح بيننا وبينكم إنشاء الله.

---

[1] المقري، المصدر السابق، مج5، ص ص205، 206، أنظر كذلك DHINA ،opcit,P237

[2] المقدسي، المصدر السابق، ص 194، أنظر كذلك إبن حوقل، المصدر السابق، ص106.

وإذا أردتم سلف ذهب فلنسلف لكم ما تيسير لنا بعد أن تعطونا الضمان والرهان في الذهب..." [1]، فهنا يتضح مدى دور الذهب في ربط العلاقات وفق شروط الأمراء الزيانيين وما يضمن إحتياجاتهم.

وقام بطرس الثالث سنة 675 هـ /1276م بإرسال Bernard Pirter إلى تلمسان لعقد اتفاقية تجارية مع الأمير يغمراسن منح بموجبها جوازات مرور دائمة لبعض التجار التلمسانيين وعلى رأسهم محمد بن أبي عبد الله بن بريدي وزير يغمراسن لتسهيل مهامهم التجارية[2] وهنا نجد عقد الاتفاقية بطلب من ملك آراغون.

ونجد اتفاقية أدفونش الثالث سنة 703 هـ /1283م فأرسل Renonde- S-Licerio حاكم بلنسية سنة 684 هـ /1284م إلى تلمسان للقيام بهذه المهمة وفي سنة 1286م أرسل إليه عثمان بن يغمراسن وثيقة المعاهدة إلى برشلونة مع Péregarcia وتتكون من11 بندًا تختص بنودها الثلاثة الأولى بالجانب التجاري[3].

ويتضح من هذه العلاقات أنها كانت رسمية بين السلطة الحاكمة في البلدين واختصت بالجانب التجاري وتخللتها بعض الشروط السياسية، وتناولت تنقل التجار والرسوم الجمركية والضرائب بين تلمسان والدول الأوربية.

وتم إبرام معاهدة بيربينيون بين ملك آراغون بطرس لوسير يمونيو وسفيرين مفوضين يمثلانه ومبعوثي الملك أبو حمو موسى الثاني، وهما الشيخان محمد إدريس ويوسف بن عبد الله يوم 25 جوان 1362م وشملت التزامات اتخذها الملك الأراغوني على أبو حمو تتمثل في حرية التجارة والتنقل عبر البحر بكل أمان- والنظم الجمركية المغربية في المدن الكبرى والسماح للأوربيين بالدخول لها إضافة إلى

---

[1] سعيدان، علاقات إسبانيا القطلانية، ص ص66 ،67، أنظر كذلك DHINA، opcit , P220

[2] بشارى، المرجع السابق ،ص177.

[3] نفسه، ص 177.

الموانئ الكبرى [1]، ويتضح أهميتها في تفعيل التبادل التجاري البحري ما بين الموانئ، وما ترتب على ذلك من رسوم جمركية وقد اخترنا نماذج لبعض المعاهدات.

– أراء رجال الدين في الاتفاقيات التجارية مع أوربا المسيحية:

رغم هذه المعاهدات فلقد تدخل رجال الدين في عملية التصدير والاستيراد مما دفع الكنيسة إلى منع بيع بعض السلع إلى الزيانيين كالأسلحة، الحديد والخشب والقمح والشعير والذرة البيضاء وحبال القنب، والرصاص وكل ما يخص صناعة السفن[2].

واشتكى الباباوات من الأمراء المسيحيين كالتوبيخ الذي وجهه البابا بونوات الثاني عشر إلى بطرس الرابع ملك أراغونة بسبب علاقاته الحميمة والمتينة مع المسلمين سنة 738هـ/1337م[3].

وعلى نفس المنوال لجأ فقهاء الدولة الزيانية إلى المطالبة بعدم بيع بعض السلع للدول المسيحية كالمواد التي تستعملها في إيذاء المسلمين كالأسلحة والخشب والذي يصنع منه الصليب والصوف والكتان والمرجان والسروج واللجام والمهاميز لأنها تستعمل في الحرب وحتى الأرض التي تتخذ مكاناً لبناء كنيسة للنصارى أو معبد لليهود[4].

لكن رغم ذلك كانت هناك مبادلات واتفاقيات تجارية مستمرة ومتواصلة بين الطرفين بمختلف السلع والبضائع سواء من الحكام أنفسهم أومن التجار المتنقلين عبر البحر عن طريق الموانئ الزيانية والمدن الأوربية كجنوة وبيزا والبندقية وقطلونية ومرسيليا.

---

(1) بشارى، المرجع السابق ، ص 180، أنظر كذلك DHINA،opcit , P 206

(2) حساني، المرجع السابق ،ج2، ص ص76 ،77 أنظر كذلك بورويبة وآخرون، المرجع السابق، ص482، سعيدان، المرجع السابق، ص56.

(3) بورويبة وآخرون، المرجع السابق، ص482.

(4) حساني، المرجع السابق، ج2، ص77.

الخاتمة

الخاتمة:

شهد المغرب الأوسط في عهد الدولتين الرستمية والزيانية حركة تجارية متنوعة ومزدهرة ولعل أهم ما يمكن أن نستنتجه من ذلك مع دراسة مقارنة بينهما هو مجموعة من النتائج منها:

- ❖ الموقع الجغرافي المتميز للدولتين وحاضرتها تاهرت وتلمسان في انبعاث الحركة التجارية.
- ❖ دور المعالم الإقتصادية من زراعية وحيوانية وصناعية وحرف يدوية متنوعة ومن تنوع جغرافي مابين البحر والسهول الداخلية والصحراء وشبكة من المياه والعيون أدت إلى توفر مقومات العمل التجاري وازدهاره .
- ❖ لقد كان لجغرافية المغرب الأوسط موقع إستراتيجي ساعد كل من الرستميين والزيانيين على تنشيط التبادل التجاري في مختلف الاتجاهات شمالا وجنوبا وشرقا غربا .
- ❖ أهمية توفر مقومات التجارة في جلب أجناس مختلفة من التجار واستقرارهم بالدولتين ومساهمتهم في نماء وازدهار العمل التجاري مع المستقرين من تجار المنطقة.
- ❖ دور النظم التجارية في تسهيل وتنظيم العملية من خلال الأسواق التي سهلت عملية التبادل ما بين يومية وأسبوعية وأسواق للمدن وقيسارية وغيرها.
- ❖ شهدت عملية التبادل التجاري استعمال عدة أساليب لعل أهمها عن طريق العملة والتي كانت متداولة في الدولتين ما بين الدينار الذهبي والدرهم الفضي والفلس النحاسي وبعض العملات الأخرى ،إضافة إلى المقايضة والسلف والدين والصكوك وأبرزها الشركات التجارية خاصة شركة الإخوة المقري الزيانيين .
- ❖ تنظيم عملية البيع والشراء بواسطة مجموعة من الموازين والمكاييل والمقاييس تكفلت الدولة بتنظيمها والمحتسب بمراقبتها.
- ❖ وتأثرت أسعار السلع بالصراعات السياسية والحروب وقلة الأمن على المسالك التجارية وبتوفر أو نقص المواد الزراعية بأنواعها و دلت المصادر التاريخية والجغرافية على ذلك.

- ❖ عرفت الأسواق تنظيما عن طريق جهاز الحسبة، وكان للمحتسب وأعوانه دور هام في محاربة الغش والتدليس في التجارة والبيوع.
- ❖ سعي الدولتين على توفير كامل متطلبات التجار المتجولين وما يحتاجونه من وسائل الراحة وتجسد ذلك في بناء الفنادق وأماكن خاصة لهم سواء على السواحل أو في الحواضر والمراكز التجارية للطائفتين المسلمة وأهل الذمة.
- ❖ إنشاء الرستميين والزيانيين وتهيئتهم لعدة محطات تجارية تمتاز بموقع جغرافي هام سواء كانت على السواحل كمرسى فروخ وتنس ووهران وهنيين لتسهيل التبادل البحري ومنطلق للمراكب ورسوها محملة بمختلف البضائع والسلع.
- ❖ كما نجد أيضا مراكز داخلية برية بداية من حاضرتي الدولتين تاهرت وتلمسان وتقام عادة على الطرق التجارية وملتقى القوافل وانتشرت في كامل جغرافية المغرب الأوسط كوراجلان وتيكورارين وغيرهم.
- ❖ إنتشار مجموعة من الطرق التجارية الداخلية والخارجية في مختلف الإتجاهات من المغرب الأوسط إلى الأقصى أو الأدنى ،أو إلى المشرق الإسلامي والإتصال بالسودان الغربي عبر مجموعة هامة من المسالك لأهمية بضائعهم إضافة إلى مجموعة من الطرق الداخلية بين المدن ببعضهما أو بالساحل.
- ❖ كما نجد شبكة من المسالك البحرية تنطلق من موانئ الدولتين باتجاه باقي السواحل المغاربية ،خاصة مع الأندلس ومع أوربا المسيحية في عهد الزيانيين.
- ❖ شهدت الدولتان الرستمية والزيانية مبادلات تجارية متنوعة تصديرًا و إستيرادًا سواء مع المغرب الأدنى ودولة الأغالبة أو الحفصيين أو المغرب الأقصى مع الأدارسة وبني مدرار أو المرينيينيين ،ومع مصر والمشرق الإسلامي والسودان الغربي، وتبادلوا تجاريا مع الأندلس وأوربا المسيحية.

- ❖ عرفت الصادرات والواردات تنوعا ما بين محاصيل زراعية من حبوب وتمر وزيتون وثروة حيوانية ومنتجاتها المختلفة خاصة النسيجية والجلدية وبعض منتجات الحرف اليدوية وهدا لتوفرها في الدولتين مقابل جلب بضائع ذات قيمة وأهمية بالغة خاصة من السودان الغربي كالذهب والعبيد وريش النعام.
- ❖ واستورد من المشرق بعض المنتجات كالكتب والعطور ومنتجات بلاد الشرق الأقصى.

أما أوروبا فالرقيق الصقالبة البيض وبعض الأسلحة ومنتجات صناعتها وصناعة السفن.

- ❖ ولعل أهم ما يمكن استخلاصه من نتائج من خصائص الدولتين الرستمية والزيانية كدراسة مقارنة بينهما في التجارة بالمغرب الأوسط:
- ❖ إهتم كل من الأئمة الرستميين والأمراء الزيانيين بالعمل التجاري كتجار بأنفسهم أو إتجارهم بأموال يتاجر بها وكلاءلهم .
- ❖ ممارسة عدة أجناس للتجارة سواء من المسلمين أو أهل الذمة من اليهود والنصارى ودورهم في رواج وربط علاقات تجارية مع بلدانهم.
- ❖ مما يتضح من النظم التجارية ما بين الدولتين هو الإشتراك في نفس المعاملات من أسواق وتنظيمها بجهاز الحسبة، ووجود الفنادق والتعامل التجاري والموازين والمكاييل مع بعض الإختلافات .
- ❖ نجد أن كلا الدولتين بهما مراكز تجارية داخلية أو ساحلية بالمعنى أن ما وجد في عهد الرستميين أستغل في عهد الزيانيين لاحقا (كوارجلان أو تنس ووهران).
- ❖ أما يخص الطرق البرية فكان غالبها مشتركا فيها بينهما مع بعض الإختلاف في مسارها بحكم الموقع الجغرافي للدول المتبادل معها أوقيمة بضائع الدول كالسودان.
- ❖ كما ارتبطت دول المغرب الأوسط مع الدول المجاورة لها بمعاهدات وإتفاقيات تجارية سواء كانت مباشرة أو غير مباشرة وتبدأ أحياناً من العلاقات الإجتماعية كالزواج أو السياسية أو العسكرية تم بحكم المصلحة المتبادلة تتحول إلى تجارية .

- ❖ نجد أن الرستميين رغم الإختلاف المذهبي مع دول المغرب الأدنى والأقصى فالمبادلات كانت موجودة أما الزيانيين رغم الصراع المستمر مع المرينيينيين والحفصيين فاستمرت بينهم فالتواصل كان موجود لأن حركة التجارة لا تتأثر بالأوضاع السياسية والمذهبية كثيراً

الملاحق

ملحق رقم 01: خريطة توضح جغرافية[1] وحدود الدولة الرستمية.

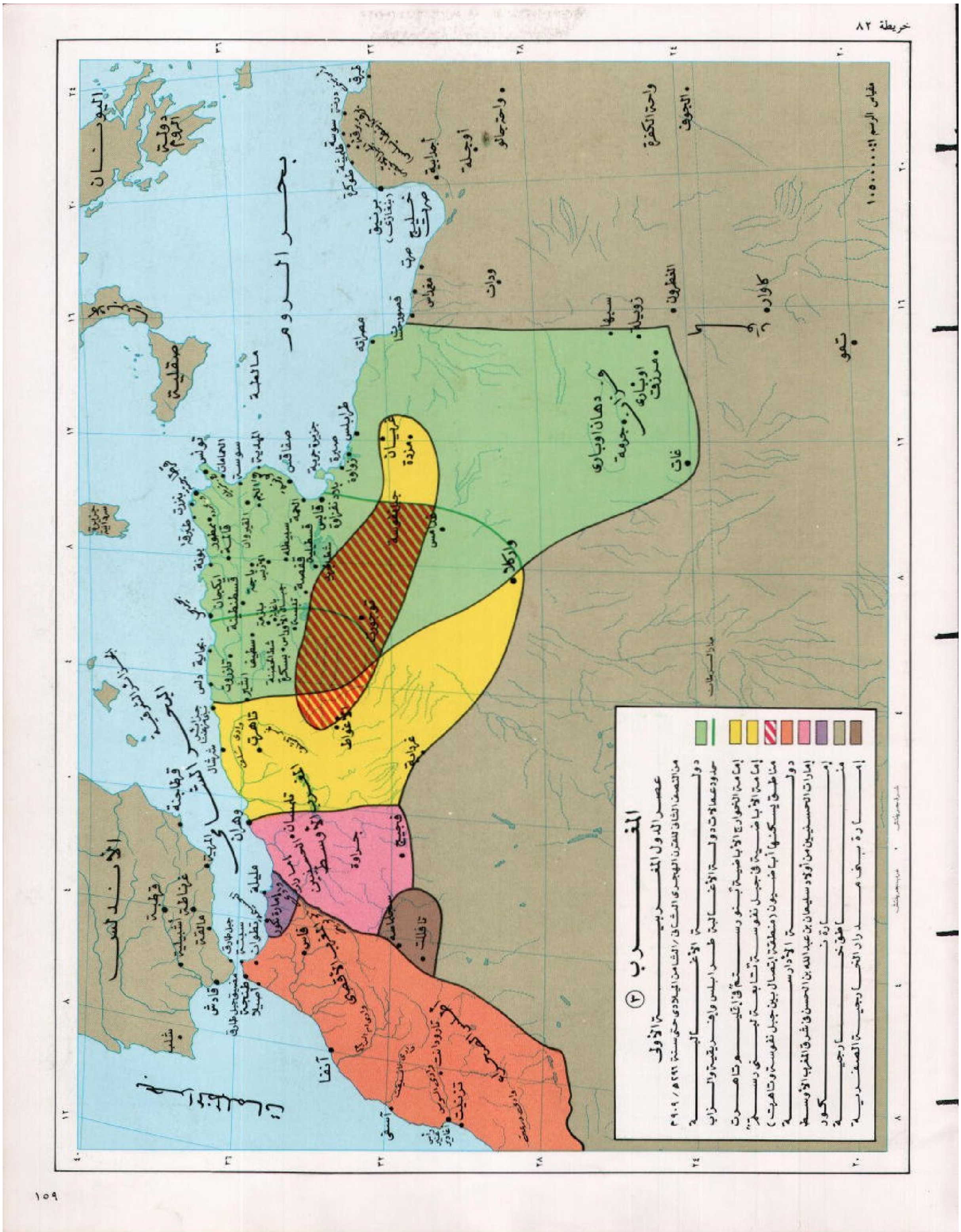

[1] حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، مصر، دار الزهراء للإعلام العربي، 1407هـ/1987م ، ط1، ص159.

ملحق رقم 02: خريطة توضح جغرافية[1] وحدود الدولة الزيانية.

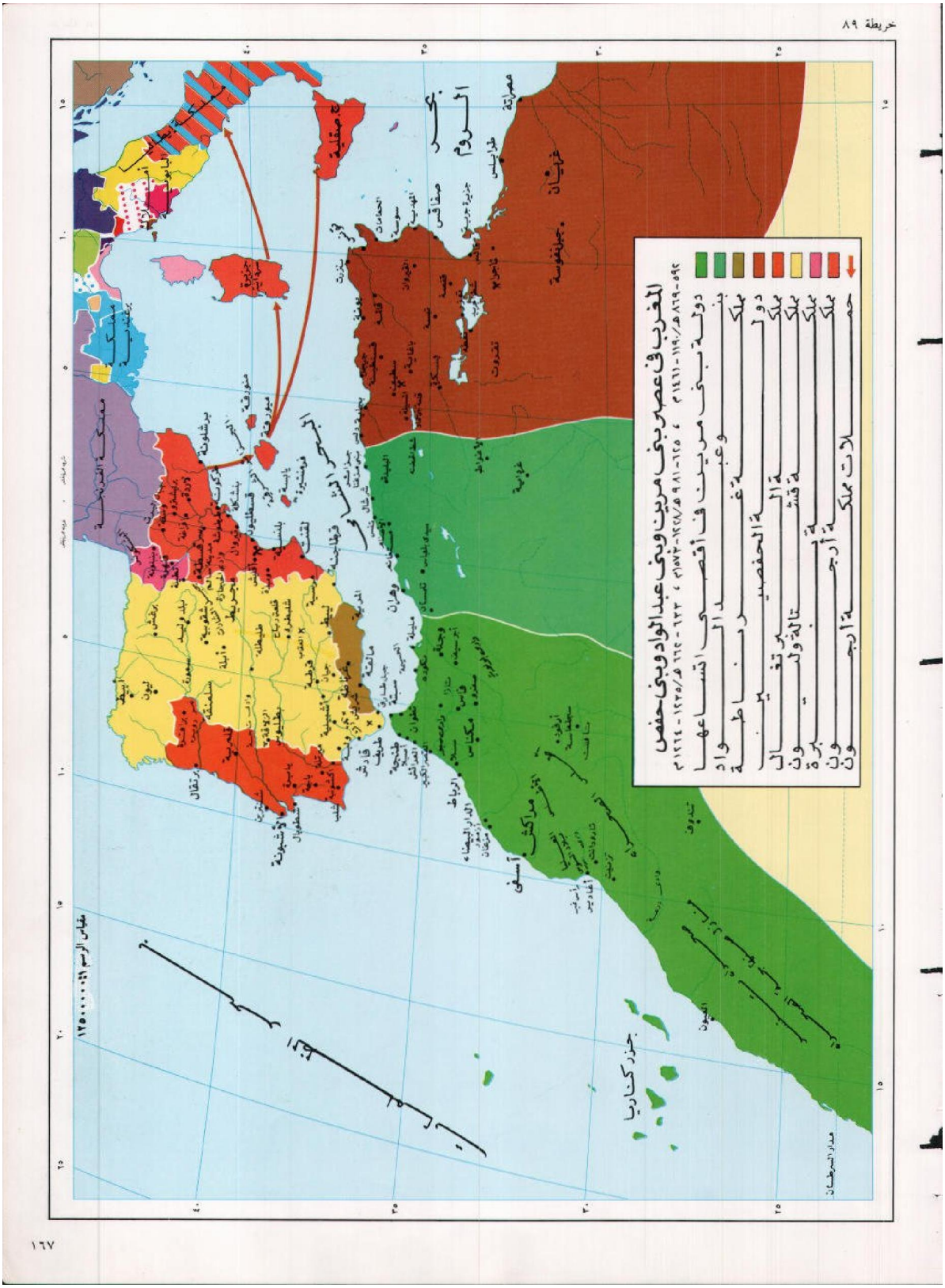

[1] مؤنس، المرجع السابق، ص 167.

ملحق رقم 03: خريطة توضح الطرق التجارية[1] البرية والبحرية.

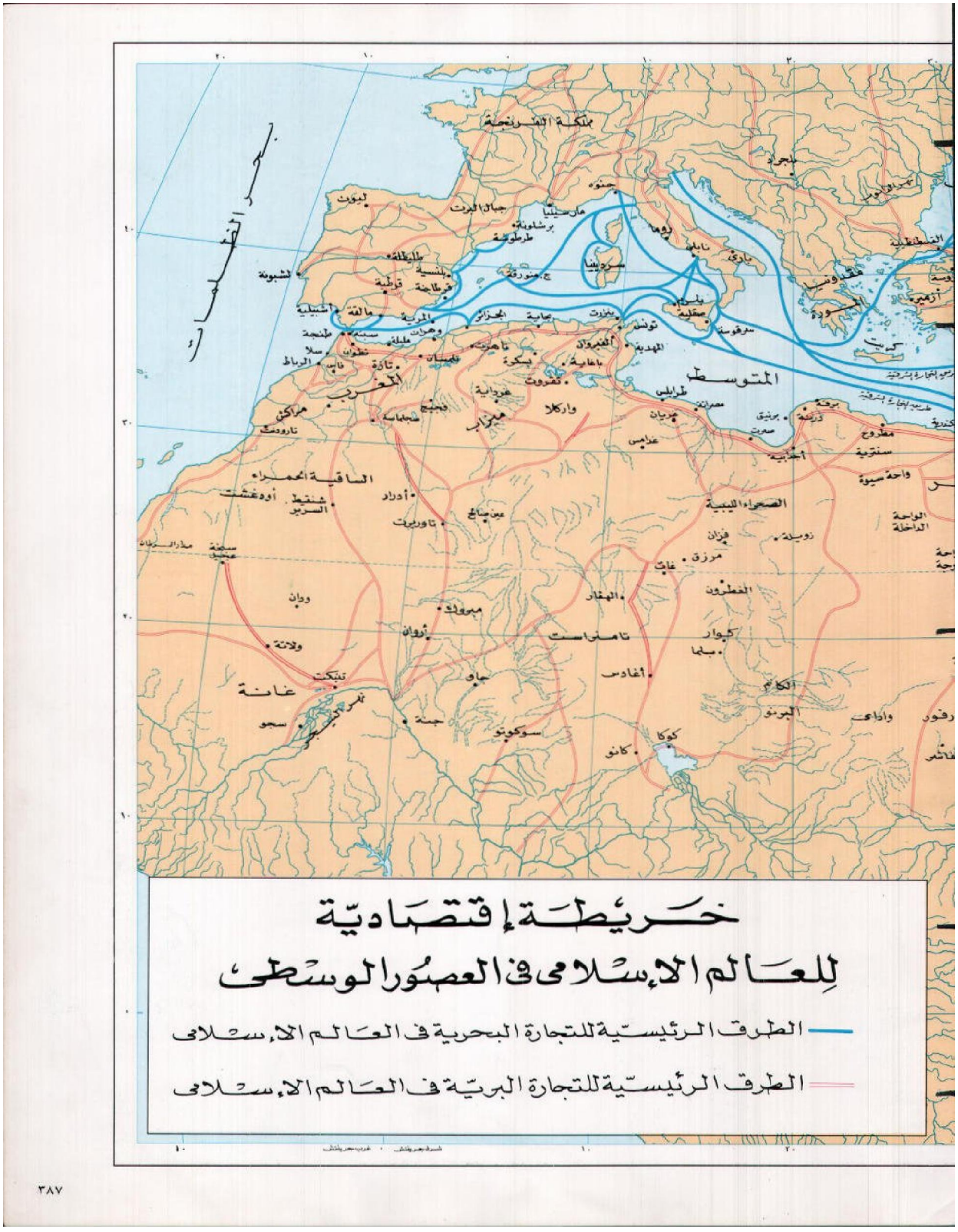

[1] مؤنس، المرجع السابق، ص 384.

ملحق رقم 04:نص تاريخي يوضح نشاط شركة الإخوة المقري وقول أبو حمو موسى الزياني[1].

ثم اشتهرت ذريته على ما ذكر من طبقاتهم بالتجارة فمهدوا طريق الصحراء بحفر الأبار و تأمين التجار وأتخذوا طبلاً للرحيل ورايةً تقدم عند المسير وكان ولد يحي الذين أحدهم أبو بكر خمسة رجال فعقدوا الشركة بينهم في جميع ما ملكوه أو يملكونه على سواء بينهم والاعتدال، فكان أبو بكر و محمد وهما أرومتا نسبي، من جميع جهات أمي وأبي بتلمسان، وعبد الرحمان وهو شقيقهما الأكبر بسجلماسة، وعبد الواحد وعلي وهما شقيقاهم الصغيران بإيوالاتن فأتخذوا بهذه الأقطار الحوائط والديار و تزوجوا النساء و أستولدوا الإماء وكان التلمساني يبعث إلى الصحراوي بما يرسم له من السلع و يبعث إليه الصحراوي بالجلد والعاج والجوز والتبر، والسجلماسي كلسان الميزان يعرفهما بقدر الخسران والرجحان، ويكاتبهما بأحوال التجار وأخبار البلدان حتى أتسعت أموالهم، وإرتفعت في الضخامة أحوالهم، ولما أفتتح التكرور كورة ايوالاتن وأعمالها اصيبت أموالهم فيما أصيب من أموالها بعد أن جمع من كان بها منهم إلى نفسه الرجال، ونصب دونها ودون مالهم القتال ثم اتصل بملكهم فأكرم متواه ومكنه بالتجارة بجميع بلاده وخاطبه بالصديق الأحب والخلاصة الأقرب ثم صار بكاتب من بتلمسان يستقضي منهم مآربه فيخاطبه بتلك المخاطبة وعندي من كتبه وكتب ملوك المغرب ما ينبئ عن ذلك فلما استوثقوا من الملوك تذللت لهم الأرض للسلوك فخرجت أموالهم عن الحدود وكادت تفوت الحصرة والعد لأن بلاد الصحراء قبل أن يدخلها أهل مصر كان يجلب إليها من المغرب ما لا بال له من السلع فتعاوض عنه بماله بال من الثمن أي مدبر دنيا ضم جنبا أبي حمو وشمل ثوباه وكان يقول " لولا الشناعة لم أزل في بلادي تاجرًا من غبر تجار الصحراء الدين يذهبون بخبيث السلع و يأتون بالتبر الذي كل أمر الدنيا له تبع ومن سواهم يحمل منها الذهب ويأتي إليها بما يضمحل عن قريب ويذهب ومنه ما يغير من العوائد ويجر السفهاء إلى المفاسد".

[1] المقري، نفح الطيب، مج5، ص ص 205، 206.

ملحق رقم 05: رسالة توضح معاهدة تجارية بين الزيانيين والأوروبيين[1].

السلطان الأجل الأعز الأكرم الأفضل الأحب الأخلص الأكمل دون جاقمه السلطان آرغون أكرمه الله بتقواه ووفقه لما يحبه ويرضاه محبة معتقده الشاكر كثيراً على الدوام له المقام العلي خلد الله ملكه هلال ابن عبد الله سلام على من اتبع الهدى ورحمة الله وبركاته وبعد حمد الله حق حمده والصلاة والتامة على سيدنا ومولانا محمد الكريم وعبده وعلى آله وصحبه الكرام الخلفاء من بعده فإنه (كتبنا) اليكم من باب مولانا أيده الله بحضرة تلمسان حرسها الله تعالى وليس إلا الخير واليسر والحمد لله وموجبه اليكم أعلامك بوصول كتابكم وعلمنا ما ذكرتم فيه تطلبون مناً أربعة وعشرين نصراني متاع جوان منول ونحن نعرفكم أنكم إذا أردتم صلح مولانا أيده الله فنحن نعطوكم الأربعة وعشرين نصراني الذين طلبتم متاع جوان منول ونعطو كم زبادةً عليهم ثلاثين نصراني من بلادكم من الذين نعطوكم نحن بالختيارنا دون أن تُعين لنا أنتم أحداً فإن أنتم وافقتم على ما ذكرناه لكم فنعملوه لكم ويقع الصلح بيننا وبينكم إن شاء الله **وإذا أردتم سلف ذهب فنسلف لكم ما يتيسر لنا بعد أن تعطونا الضمان والرهان في الذهب وإن أنتم لم تعملوا ما ذركناه لكم ولم توافق عليه فما بيننا وبينكم كلام** والله سبحانه الموفق للصواب والسلام على من اتبع الهدى ورحمة الله تعالى وبركاته وكتب في واحد صفر عام 723.

[1] سعيدان، علاقات إسبانيا،ص ص 66،67، أنظر كذلك DHINA, LE ROYAUME ABDELOUADIDE, P 220.

البيبليوغرافيا

قائمة المصادر والمراجع:

1. المصادر:

1) إبن الأحمر أبو الوليد إسماعيل(ت 810هـ/1408م)، **تاريخ الدولة الزيانية**، تحقيق، هاني سلامة، مصر، مكتبة الثقافة الدينية، 1421هـ/2001م، الطبعة الأولى.

2) الإدريسي أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني من علماء القرن السادس الهجري، **نزهة المشتاق في إختراق الآفاق**، القاهرة، مصر، مكتبة الثقافة الدينية، 1414هـ/1994م، المجلد الأول.

3) إبن بطوطة محمد بن عبد الله اللواتي(ت756هـ/1355م)، **رحلة ابن بطوطة المسماة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، تحقيق، طلال حرب، لبنان، دار الكتب العلمية، 2007م، الطبعة الرابعة.

4) البكري أبو عبيد (ت487هـ)، **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**(جزء من كتاب المسالك والممالك)، الجزائر، زيتا قرافيك، 2011م،

5) التنسي محمد بن عبد الله(ت 899هـ/1493م)، **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان**(مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان)، تحقيق، محمود بوعياد، الجزائر، سحب الطباعة الشعبية للجيش، 2007م، الطبعة الأولى.

6) إبن حوقل النصيبي، **صورة الأرض**، بيروت، لبنان، منشورات دار مكتبة الحياة، 1992م، الطبعة الأولى.

7) إبن خلدون أبو زكريا يحي(ت 780هـ/1378م)، **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، تحقيق: عبد الحميد حاجيات، الجزائر، منشورات الشهاب، 2011م، الطبعة الأولى.

8) إبن خلدون عبد الرحمن (732-808هـ/1332- 1406م)، تاريخ ابن خلدون المسمى **العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، ضبط المتن، خليل شحادة، سهيل زكار، بيروت، لبنان، دار الفكر، 1421هـ/2000م، الطبعة الثانية، الجزء السادس.

9) // // (ت808هـ/1406م)، **مقدمة ابن خلدون**، تحقيق، أحمد جاد، القاهرة، مصر، دار الغد الجديد، 1428هـ/2007م، الطبعة الأولى.

10) الدرجيني أبو العباس أحمد بن سعيد المتوفي حوالي 670 هـ، **كتاب طبقات المشائخ بالمغرب**، تحقيق، إبراهيم طلاي، قسنطينة، الجزائر، مطبعة البعث، 1394هـ/1974م، الجزء الأول، والثاني.

11) الدمشقي أبو الفضل جعفر بن علي (ق 6هـ)، **الإشارة إلى محاسن التجارة وغشوش المدلسين فيها**، تحقيق، محمود عبد القادر الأرناؤوط، لبنان، دار صادر، 2009م، الطبعة الأولى.

12) أبو زكريا يحي بن أبي بكر، **كتاب السيرة وأخبار الأئمة**، تحقيق، عبد الرحمن أيوب، تونس، الدار التونسية للنشر، 1405هـ/1985م.

13) إبن الصباح الحاج عبد الله، **أنساب الأخبار وتذكرة الأخيار**، تحقيق، محمد بن شريفية، المغرب، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، 2008م.

14) إبن الصغير(القرن الثالث الهجري)، **أخبار الأئمة الرستميين**، تحقيق، محمد ناصر، إبراهيم بحاز، الجزائر، المطبوعات الجميلة، 1405هـ/1985م.

15) إبن عبد الرؤوف أحمد بن عبد الله القرطبي (242)، **أداب الحسبة والمحتسب**، تحقيق، فاطمة الإدريسي، لبنان، دار ابن حزم، 1425هـ/2005م، الطبعة الأولى.

16) إبن عبدون، **رسالة في القضاء والحسبة ضمن ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب**، جمع وتحقيق، ليفي بروفنسال، القاهرة، مصر، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، 1955م، الطبعة الأولى.

17) إبن عذارى المراكشي، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق، ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، بيروت، لبنان، دار الثقافة، 1983م، الطبعة الثالثة، الجزء الأول.

18) كاربخال مرمرل، **إفريقيا**، ترجمة، محمد حجي، محمد زنيبر وآخرون، المغرب، مطابع المعارف الجديدة، 1408-1409هـ/988- 1989م، الطبعة الأولى، الجزء الثاني.

19) مجهول، **الإستبصار في عجائب الأمصار**، ألفريد كريمر الأستراوي في مطبعة الدولة الإمراطورية الأستراوية بالمدينة المحروسة، دب ن، 1852م.

20) ابن مرزوق محمد التلمساني(ت 781هـ/1379م)، **المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن**، تحقيق، ماريا خيسوس بيغيرا، تقديم، محمود بوعياد، الجزائر، سحب الطباعة الشعبية للجيش،2007م، الطبعة الأولى.

21) المقدسي شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر المتوفي سنة 380 هـ، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، تحقيق، محمد أمين الضناوي، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، 1424هـ/2003م، الطبعة الأولى.

22) المقري التلمساني أحمد بن محمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق، إحسان عباس، بيروت، لبنان، دار صادر، 1409هـ/1988م، الطبعة الأولى المجلد الخامس.

23) الوزان الفاسي الحسن بن محمد ، **وصف إفريقيا**، ترجمة، محمد حجي، محمد الأخضر، لبنان، دار الغرب الإسلامي، 1983م، الطبعة الثانية، الجزء الأول.

24) الونشريسي، **جوانب من الحياة الإجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الاسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي**، تحقيق، كمال السيد أبو مصطفى، مصر، مركز الإسكندرية للكتاب، 1996م، الطبعة الأولى.

25) اليعقوبي أحمد بن أبي إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح (ت284)، **البلدان**، تحقيق، محمد أمين الضناوي، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، 1422هـ/2002م، الطبعة الأولى.

2. المراجع العربية:

1) إسماعيل عبد الرزاق محمود ، **الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري**، الدار البيضاء، المغرب، دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1406هـ/ 1985م، الطبعة الأولى.

2) الباروني النفوسي سليمان بن الشيخ عبد الله ،**كتاب الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية**، تونس، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، 1986م، الطبعة الأولى ، القسم الثاني.

3) بحاز إبراهيم بكير ، **الدولة الرستمية 160– 296هـ/777–909م، دراسة في الأوضاع الإقتصادية والحياة الفكرية**، الجزائر، منشورات ألفا، 1431هـ/2010م، الطبعة الثالثة.

4) بحاز ابراهيم بن بكير وآخرون، **معجم أعلام الإباضية**، من القرن 1هـ إلى 15هـ، غرداية، الجزائر، نشر جمعية الثرات القرارة، طبع بالمطبعة العربية، 1420هـ/ 1999م، الطبعة الأولى، المجلد الثاني، والثالث والرابع.

5) بلوط عمر، **فنادق مدينة تلمسان الزيانية**، الجزائر، مؤسسة الضحى للنشر والتوزيع، 2011م، الطبعة الأولى.

6) الجنحاني الحبيب، **المغرب الإسلامي– الحياة الإقتصادية والاجتماعية (3–4هـ/9–10م)**، تونس، الدار التونسية للنشر والتوزيع، 1398هـ/1978م، الطبعة الأولى

7) جودت عبد الكريم يوسف، **الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرن الثالث والرابع الهجريين (9/10م)**، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، دون تاريخ النشر.

8) // //، **العلاقات الخارجية للدولة الرستمية**، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984م، الطبعة الأولى.

9) جورج مارسي، **تلمسان**، ترجمة، سعيد دحماني، الجزائر، دار النشر، التل، 2004م.

10) الحريري محمد عيسى، **الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي، حضارتها وعلاقاتها الخارجية بالمغرب والأندلس 160– 296هـ**، الكويت، دار القلم للنشر والتوزيع، 1408هـ/1987م، ط3

11) حساني مختار: **تاريخ الدولة الزيانية**، الجزائر، دار الحضارة، 2007م، الطبعة الأولى ، الجزء الأول والثاني.

12) دبوز محمد علي، **تاريخ المغرب الكبير**، الجزائر، طبع بدار إحياء الكتب العربية، 1383هـ/ 1963م، الطبعة الأولى ، الجزء الثالث.

13) الدراجي بوزياني، **نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية**، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1993م، الطبعة الأولى.

14) رشيد بورويبة وآخرون، **ضمن كتاب الجزائر في التاريخ**(العهد الإسلامي)، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984م.

15) زبادية عبد القادر، **مملكة سنغاي في عهد الأسقيين1493– 1591م**، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

16) سعيدان عمر، **علاقات إسبانيا القطلانية بتلمسان في الثلثين الأول والثاني من القرن الرابع عشر ميلادي**، تونس، منشورات سيعدان، 2002م، الطبعة الأولى.

17) عبدلي لخضر، **التاريخ السياسي والحضاري لدولة بني عبد الواد**، الجزائر، دار إبن النديم للنشر، 2011م، الطبعة الأولى.

18) فيلالي عبد العزيز، **العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس والمغرب**، الجزائر، دار هومه للطباعة النشر والتوزيع، 2007م، الطبعة الأولى.

19) // //، **تلمسان في العهد الزياني**، الجزائر، موفم للنشر والتوزيع، 2002م، الطبعة الأولى، الجزء الأول.

20) الكعاك عثمان، **موجز تاريخ الجزائر**(من العصر الحجري إلى الإحتلال الفرنسي)، تقديم ومراجعة، أبو القاسم سعد الله، نصر الدين سعيدوني، بيروت، لبنان، دار الغرب الإسلامي، 2003م، الطبعة الأولى.

21) كواتي مسعود، **اليهود في المغرب الإسلامي**(من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين)، الجزائر، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، 2009م، الطبعة الثانية.

22) لقبال موسى، **الحياة اليومية لمجتمع المدينة الإسلامية من خلال نشأة و تطور نظام الحسبة المذهبية في المغرب العربي**، الجزائر، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع ، 2002م.

23) مؤنس حسين، **أطلس تاريخ الإسلام**، القاهرة، مصر، الزهراء للإعلام العربي، 1407هـ/ 1987م، الطبعة الأولى.

24) ناصر محمد، **دور الإباضية في نشر الإسلام بغرب إفريقيا**، سلطنة عُمان، مكتبة الظامري للنشر والتوزيع، دون تاريخ النشر.

25) يحي معمر علي، **الإباضية في موكب التاريخ**، الحلقة الرابعة، الإباضية في الجزائر، صححه أحمد عمر أوبكه، غارداية، الجزائر، المطبعة العربية، 1985م، الجزء الأول.

3. المراجع الأجنبية:

a) ChIkh BEKRI, LE Royaume Rostemide Le Prémier Etat Algerien, Algerie, Enag Edition, 2005.

b) CHARLES EMMANUEL DUFOURCQ , L'Espagne CATALANE ET LE MAGHRAIB AUX SIéSLES, FRANCE, PRESSES , UNIVERSITAIRES DE FRANCE, 1966.

c) ATALLAH DHINA, LE ROYAUME ABD ELOUADIDE AL'EPOQUE D' ABOU HAMMO MOSSA 1ER ET D' ABOU TACHFIN1ER, ALGERIE, OFFICE DE PUBLICATION UNIVERSITAIRES.

4. الرسائل الجامعية:

1) بشاري لطيفة، **التجارة الخارجية لتلمسان في عهد الإمارة الزيانية من القرن السابع إلى القرن العاشر الهجري بين(13– 16م)**، رسالة ماجستير، إشراف، موسى لقبال، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1406– 1407هـ/1986– 1987م.

2) شقدان بسام كامل عبد الرزاق، **تلمسان في العهد الزياني 633–962هـ/1235–1555م**، رسالة ماجستير، إشراف، هشام أبو رميلة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 1422هـ/2002م.

3) منصور عبد الحفيظ، **الأوضاع الإجتماعية والإقتصادية في عهد الإمارة الرستمية 144–296هـ/761–909م**، بحث مقدم للحصول على دبلوم الدراسات المعمقة في التاريخ الإسلامي، إشراف، محمد صالح مرمول، معهد العلوم الإجتماعية، جامعة قسنطينة، الجزائر، 1404هـ/1984م.

5. المقالات في المجلات والمؤتمرات والملتقيات:

1) بشاري لطيفة، **مكانة تلمسان في العهد الزياني**، مجلة دراسات تراثية، الجزائر، 2007م، العدد الأول.

2) بلعربي خالد، **الأسواق في المغرب الأوسط خلال العهد الزياني**، دورية كان التاريخية الإلكترونية، مصر، ديسمبر، 2009م، السنة الثانية، العدد السادس

3) // //، **تجارة القوافل عبر الصحراء الكبرى في العصر الوسيط**، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، عدد خاص بأعمال الملتقى الدولي الأول حول الإنسان والصحراء الكبرى قراءات تاريخية واجتماعية، المنعقد يومي، 27– 28 ذو الحجة 1432هـ/ 23– 24 نوفمبر2011م، جامعة غارداية، الجزائر، طبع المطبعة العربية، ذو الحجة 1432هـ/ نوفمبر2011م، العدد الخامس عشر.

4) صاري الجلالي، **أضواء على أحد موانئ دولة بني زيان "هنين"**، مجلة التاريخ المركز الوطني للدراسات التاريخية، النصف الأول، الجزائر 1986م.

5) علوي مصطفى، **الأحوال الإقتصادية للمغرب الأوسط من خلال كتب الرحالة والجغرافيين المغاربة ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين،الثالث عشر والخامس عشر الملاديين**، دورية كان التاريخية الإلكترونية، ديسمبر2011م، السنة الرابعة، العدد الرابع عشر.

6) غرايسية عمار، **من الأدوار الحضارية للمدن الصحراوية وارجلان أنموذجا**، مجلة الواحات البحوث والدراسات، عدد خاص بأعمال الملتقى الدولي الأول حول الإنسان والصحراء الكبرى، قراءات تاريخية واجتماعية المنعقد يومي 27- 28 ذو الحجة 1432هـ/23-24 نوفمبر 2011م، غارداية، الجزائر طبع المطبعة العربية، 1432هـ/2011م، العدد الخامس عشر.

7) مطهري فاطمة ، **ظهور الخوارج في بلاد المغرب ودورهم في قيام الدويلات المستقلة خلال القرنيين 2-3هـ/ 8-9م (وإباضية الدولة الرستمية نموذجاً)**، دورية كان التاريخية الإلكترونية، مصر، ديسمبر، 2011م، العدد الرابع عشر.

8) إحسان عباس، **المجتمع التاهرتي في عهد الرستميين**، محاضرات ومناقشات الملتقى الحادي عشر للفكر الإسلامي، وارجلان 17- 26صفر 1397هـ/06- 15 فيبراير1977م، قسنطينة، الجزائر، منشورات وزارة الشؤون الدينية، دار البعث للطباعة والنشر والتوزيع، 1984م، المجلد الأول.

الفهارس

فهرس الأعلام

1- إبن الأحمر: ص 94، 127.
2- أدفونشو الثالث: ص 132.
3- أروى بنت عبد الرحمن: ص 7، 40، 124.
4- إسحاق إبراهيم بن يخلف التنسي: ص 110
5- إسحاق بن باروخ وأبو سعيد بن خلفون: ص 66.
6- أسد بن فرات: ص 110.
7- أفلح بن عبد الوهاب: ص 8،48، 52، 105، 125، 127، 129، 131.
8- ألفونسو الثالث: ص 102.
9- بطرس الثالث وبطرس الرابع والبابا بونوات الثاني: ص 131.
10- أبو بكر بن أفلح: ص 9، 22، 105، 111.
11- أبو بكر ومحمد وعبد الرحمن وعبد الواحد وعلي (الإخوة المقري): ص 65، 78، 97، 114، 130.
12- أبو تاشفين الثاني: ص 59، 84، 107، 112.
13- أبو ثابت وأبو سعيد الزيانيين: ص 59.
14- جابر بن يوسف: ص 55.
15- جاقمو الثاني: ص 78، 101، 102، 131.
16- أبو جعفر المنصور: ص 3.
17- أبو حاتم بن يعقوب بن لبيب الملزوزي: ص 4.
18- أبو حاتم: ص 10، 31، 46، 106.
19- الحاج زيان: ص 64، 97.
20- الحاج مسعود بن المنتصر والحاج العدولي ومحمد بن الحجر وابن حديدة(تجار تونسيين): ص 92.
21- الحبيب بن الربيع: ص 105.
22- أبو حسن المرينيين: ص 58، 93.

23- أبي حفص الموحدي: ص57.

24- أبو حمو موسى الثاني: ص 59، 84، 85، 112، 132.

25- أبو حمو موسى الزياني: ص 58، 72، 75 ،94، 96 ،97، 100، 106 ،111، 114

26- أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري: ص 2، 3، 6، 24، 109.

27- أبو الخطاب وسيم: ص 2.

28- أبو دبوس(أحمد ومحمد) 8، 109.

29- سلمة بن سعد وعكرمة مولى بن العباس(حملة المذهب الإباضي والصفري للمغرب):ص 2.

30- إبن الصغير: ص 16، 19.

31- أبو العباس محمد بن الأغلب: ص 125.

32- عبد الرحمن الأوسط: ص 48، 126.

33- عبد الرحمن بن حبيب: ص 3.

34- عبد الغني، دحيون، بهرام أبناء عبد الوهاب: ص 5.

35- عبد الله الشيعي: ص 10.

36- عبد الله بن الأغلب: ص 48، 126.

37- عبد الواحد الحفصي: ص59.

38- عبد الواحد المخلوع وعبد الله العادل وإدريس المأمون الموحدي(سلاطين الموحدين): ص 55.

39- عبد الوهاب بن عبد الرحمن: ص 2، 3، 7، 8، 24، 31، 32، 46، 47، 50، 104، 105، 109.

40- عبد الرحمن بن رستم الفارسي: ص 2، 3، 4، 5، 6، 14، 15، 24، 31، 40، 42، 46، 104، 114، 124، 126، 127، 129

41- عبيدة الأعرج: ص 41.

42- عبيدة مسلم بن أبي كريمة وإسماعيل بن درار الغدامسي وأبو داود القبلي النفزاوي وعاصم السدراتي(عالم وبعض طلبة العلم المغاربة الإباضية إلى المشرق): ص 2.

43- عثمان بن يغمراسن: ص 57، 94، 125، 126، 126، 132.

44– عثمان بن يوسف: ص 55.
45– أبي عزة زيدان: ص 56.
46– عمر بن عثمان القرشي: ص 02.
47– أبو عنان المرينييني: ص 59.
48– الكركوني وأبو عائشة الأندلسيين: ص34، 87.
49– لبيب بن زلغين: ص 13، 31، 104.
50– محمد إدريس ويوسف بن عبد الله: ص 93، 107.
51– محمد الصيرفي وابن الواسطي16، 107.
52– محمد بن أبي عون ومحمد بن عبدون الأندلسيين: ص 34.
53– محمد بن أحمد العقباني: ص 73، 112.
54– محمد بن الأشغث: ص 03، 04.
55– محمد بن الفقيه الجازولي: ص 64، 97، 130
56– محمد بن عرفة: ص 9، 109، 122، 129، 131.
57– مدرار بن اليسع: ص 7، 40، 142.
58– مسعود وعمران بن مروان الأندلسيين: ص 07، 48، 126.
59– المشدالي: ص 93، 107.
60– أبو معروف الضرير: ص 16، 19.
61– منسي موسى ومنسي سليمان (ملوك مالي): ص 130.
62– المهدي النفوسي: ص 12، 29.
63– أبو موفق سعدوس بن عطية وشاكر بن صالح الكتامي ومصعب بن سدمان(من بين ممثلي مجلس الشورى لاختيار الإمام عبد الوهاب): ص 7.
64– هلال القطلاني: ص 91، 94، 95، 123، 128، 130.
65– هلال عبد الله ومحمد بن أبي عبد الله بن بريدي (سفراء زيانيين): ص131.
66– إبن وردة: ص 16، 19، 107
67– يزيد بن حاتم: ص 4.

68– يزيد بن فندين وخلف بن السمح بن أبي الخطاب ونفاث بن نصر(قادة بعض الثوارات ضد الإباضية): ص 7، 8، 109.

69– أبو يعقوب الدمري: ص 30.

70– أبو يعقوب المرينييني: ص 57، 125.

71– أبو يعقوب بن أفلح: ص 10، 24، 31.

72– يغمراسن بن زيان: ص 56، 78، 86، 97، 101، 125، 126، 131.

73– اليقظان بن اليقظان: ص 10.

74– أبو اليقظان: ص 09، 10، 22، 24، 46، 106، 111.

75– يوسف بن يعقوب المرينييني: ص 57.

فهرس الأماكن الجغرافية

1– آراغون: ص 78، 100، 101، 131، 132.

2– أرشقول: ص 28، 29، 81.

3– آسفي: ص 89.

4– الإسكندرية: ص 36، 88، 95.

5– إشبيلية: ص 49.

6– آغمات: 89، 90.

7– إفريقيا: 63، 98.

8– إفريقية: ص02، 24، 43، 126.

9– أليرية: ص 66، 87، 88، 94،

10– الأندلس: ص 23، 33، 35، 39، 40، 43، 45، 47، 48، 49، 50، 52، 65، 66، 81، 87، 88، 93، 94، 108، 110، 119، 120، 123، 126.

11– أودغشت: ص 26، 36، 37، 51، 79.

12– أوروبا: ص 65، 87، 101، 107، 110، 116، 120، 123.

13– أوليلي: ص 51.

14– إيطاليا: ص 43، 77، 91، 110، 123.

15– إيوالاتن: ص 65، 78، 89، 90، 96، 115.

16– بجانة: ص 87.

17– بجاية: ص 57، 58، 69، 84، 88، 89، 91، 92.

18– برشك: ص 88، 91، 92، 120، 123.

19– برشلونة: 101، 132.

20– برقة: ص 36، 88.

21– بسكرة: ص 12.

22– البطحاء: ص 62.

23– بغداد: ص 36، 47.

24– بلاد الجريد: ص 12، 37.

25– البندقية: ص 67، 73، 77، 87، 91، 100، 110، 120، 133.

26– بونة: ص 88.

27– تادلة: ص 89.

28– تادمكة: ص 37، 38، 39، 122.

29– تازا: ص 89، 94.

30– تاهرت(تيهرت): ص 4، 5، 6، 9، 10، 11، 13، 14، 15، 17، 19، 20، 22، 23، 25، 26، 27، 29، 32، 33، 34، 35، 36، 37، 39، 40، 42، 44، 45، 48، 49، 52، 62، 105، 107، 108، 109، 111، 114، 117، 121، 122، 124، 125، 126.

31– تاورغا: ص 3.

32– تغازى: ص 78، 90، 98، 99، 122.

33– تفسرة: ص 63، 71.

34– تفسيرة: ص 42.

35– تلمسان: ص 32، 55، 56، 57، 58، 59، 60، 62، 65، 66، 67، 69، 70، 71، 73، 75، 76، 78، 81، 82، 83، 86، 88، 89، 90، 91، 92، 93، 94، 95، 96، 100، 101، 102، 108، 110، 111، 114، 115، 116، 117، 119، 120، 121، 122، 123، 126.

36– تنس: ص 12، 25، 27، 28، 29، 34، 39، 42، 48، 60، 87، 91، 96، 119، 123، 127، 131.

37– توات: ص 90، 122، 123.

38– تونس: ص 34، 39، 40، 42، 58، 88، 91، 96، 107، 126.

39– تيزيل: ص 86.

40– تيكورارين: ص 87، 122.

41– جبل نفوسة (شروس وجادو): ص 4، 8، 11، 12، 13، 14، 23، 30، 37، 49، 108، 109، 171، 121.

42– جزيرة جربة: ص 12، 24، 35، 40، 91، 120، 123.

43– جنوة: ص 67، 73، 77، 100، 101، 110، 113، 133.

44– الحضنة: ص 89.

45– درعة: ص 90.

46– سبتة: ص 69، 89، 122.

47– سجلماسة: ص 7، 26، 32، 36، 37، 40، 41، 42، 65، 78، 86، 89، 90، 96، 114، 119، 123، 124، 125.

48– سطيف: ص 35.

49– سفاقس: ص 43، 88، 91.

50– السودان(الغربي): ص 17، 21، 23، 25، 32، 33، 36، 38، 39، 45، 48، 50، 51، 53، 64، 65، 86، 87، 89، 90، 97، 98، 104، 105، 106، 107، 108، 115، 116، 119، 122، 123، 124، 125، 127، 128، 130، 131.

51– السوس: ص 45.

52– سوق براهيم، كرام: ص 21، 35، 70.

53– الشلف: ص 11، 21، 51، 57، 89.

54– صقلية: ص 43، 110.

55– طرابلس الغرب: ص 2، 3، 4، 8، 33، 88، 117، 121، 124.

56– طنجة: ص 88.

57– العباسية: ص 48، 125، 127.

58– غانا، غانة، غينيا: ص 21، 33، 36، 37، 38، 51، 98، 119، 129.

59– غدامس: ص 38.

60– غرناطة: ص 62، 94.

61– فاس: ص 32، 36، 44، 69، 88، 89، 90، 91، 93، 94، 122.

62– الفسطاط، الرملة، طبرية، دمشق، حلب، تل موزن، الرها، حران، الرقة، هيت، الأنبار، (مدن مشرقية): ص 36.

63– قابس: ص 3، 43.

64– قرطبة: ص 48، 75، 95، 126.

65– قسطيلية: ص 35، 37، 51.

66– قطلونية: ص 100، 102، 123.

67– القيروان: 2، 3، 7، 24، 30، 32، 33، 34، 35، 36، 37، 42، 43، 44، 45، 107.

68– كوركانم: ص 38، 52، 122.

69– كوكو: ص 37، 38، 50، 90، 105، 129، 130، 131.

70– مازونة: ص 89، 91، 92.

71– مالقة: ص 49، 88، 94.

72– مالي: ص 64، 90، 96، 122، 130، 131.

73– متيجة: ص 35.

74– مدينة الغزة: ص 20، 32.

75– المدينة الخضراء: ص 12، 21، 35، 70.

76– مراكش: ص 56، 89.

77– المرسى الكبير: ص 48، 67، 87، 88، 91، 120.

78– مرسى فروخ: ص 34، 120، 123.

79– مستغانم: ص 61، 89، 91ن 93.

80– المسيلة: ص 32، 37.

81– المشرق (الإسلامي): ص 2، 6، 8، 9، 14، 15، 17، 23، 30، 33، 36، 39، 42، 44، 45، 46، 47، 49، 52، 65، 92، 94، 95، 96، 100، 104، 105، 106، 107، 108، 109، 112، 115، 121، 123، 124، 127.

82– مصر: ص 43، 45، 46، 90، 95، 96، 121، 127.

83– معسكر: ص 70.

84– المغرب (الإسلامي): ص 2، 5، 6، 13، 17، 33، 37، 40، 42، 43، 44، 45، 47، 49، 51، 57، 61، 65، 73، 81، 85، 90، 93، 94، 106، 108، 109، 112، 116، 117، 120، 124.

85– المغرب الأقصى: ص 88، 121، 123.

86– المغرب الأوسط: ص 2، 3، 55، 82، 86، 91، 104، 117، 121، 123، 127.

87– مكناس: ص 89.

88– مليانة: ص 88، 89، 92.

89– ميورقة: ص 74، 101.

90– ندرومة: ص 61، 89، 94.

91– النيجر: ص 122.

92– الهكار: ص 90، 99.

93– هنين: ص 60، 67، 85، 87، 91، 95، 96، 116، 123، 131.

94– وارجلان (وارقلان، وركلة): ص 12، 21، 25، 33، 36، 37، 38، 86، 87، 98، 118، 122.

95– وريكة: ص 89.

96– وهران، 12، 13، 34، 40، 48، 59، 65، 67، 73، 85، 88، 92، 94، 96، 100، 110، 116، 119، 123، 127.

فهرس المحتويات **الصفحة**

الإهداء.

شكر وعرفان.

مقدمة..... أ-ب-ج-د-هـ-و-ز-ح
الفصل الأول: التجارة في الدولة الرستمية. 2
المبحث الأول: قيام الدولة الرستمية ومعالمها الاقتصادية. 2
المطلب الأول: قيام الدولة الرستمية. 2
المطلب الثاني: المعالم الإقتصادية. 10
المبحث الثاني: التجار والنظم التجارية. 14
المطلب الأول: التجار. 14
المطلب الثاني: الأسواق وتنظيمها. 17
المطلب الثالث: طرق التعامل التجاري. 21
المطلب الرابع: الموازين والمكاييل والمقاييس. 24
المبحث الثالث: المراكز والطرق التجارية. 29
المطلب الأول: المراكز التجارية. 29
المطلب الثاني: الطرق التجارية. 31
المبحث الرابع: العلاقات التجارية الخارجية. 36
المطلب الأول: العلاقات التجارية مع المغرب الإسلامي. 36
المطلب الثاني: العلاقات التجارية مع المشرق الإسلامي والأندلس. 40
المطلب الثالث: العلاقات التجارية مع السودان الغربي. 44
الفصل الثاني: التجارة في الدولة الزيانية. 50
المبحث الأول: قيام الدولة الزيانية ومعالمها الاقتصادية. 50
المطلب الأول: قيام الدولة الزيانية. 50
المطلب الثاني: المعالم الإقتصادية. 54

المبحث الثاني: التجار والنظم التجارية. 58
المطلب الأول: التجار. 58
المطلب الثاني: الأسواق وتنظيمها. 63
المطلب الثالث: طرق التعامل التجاري. 69
المطلب الرابع: الموازين والمكاييل والمقاييس. 73
المبحث الثالث: المراكز والطرق التجارية. 79
المطلب الأول: المراكز التجارية. 79
المطلب الثاني: الطرق التجارية. 82
المبحث الرابع: العلاقات التجارية الخارجية. 85
المطلب الأول: العلاقات التجارية مع العالم الإسلامي. 85
المطلب الثاني : العلاقات التجارية مع السودان الغربي. 90
المطلب الثالث: العلاقات التجارية مع أوروبا المسحية. 92
الفصل الثالث: دراسة مقارنة بين الرستميين والزيانيين تجارياً. 96
المبحث الأول: دراسة مقارنة في دور السلطة الحاكمة والتجار في التجارة. 96
المطلب الأول: دور السلطة الحاكمة. 96
المطلب الثاني: دور التجار في تنشيط الحركة التجارية. 99
المبحث الثاني: دراسة مقارنة في النظم التجارية. 103
المطلب الأول: الأسواق وتنظيمها. 103
المطلب الثالث: طرق التعامل التجاري. 106
المطلب الرابع: الموازين والمكاييل والمقاييس. 107
المبحث الثالث: دراسة مقارنة في المراكز والطرق التجارية. 110
المطلب الأول: المراكز التجارية. 110
المطلب الثاني: الطرق التجارية البرية والبحرية. 113
المبحث الرابع: دراسة مقارنة في المعاهدات التجارية. 116
المطلب الأول: المعاهدات التجارية مع دول المغرب الإسلامي: 116
المطلب الثاني: المعاهدات التجارية مع الأندلس والمشرق الإسلامي. 119

المطلب الثالث: المعاهدات التجارية مع السودان الغربي.....121
المطلب الرابع: المعاهدات التجارية مع أوروبا المسيحية.....123
الخاتمة.....127
الملاحق 132
البيبليوغرافيا.....137
الفهارس.....145
ملخص الدراسة 159

ملخص الدراسة:

العنوان: التجارة في المغرب الأوسط: الرستميون والزيانيون نموذجاً- دراسة مقارنة -

تعتبر التجارة من أهم النشطات الاقتصادية التي مارسها السكان بالمغرب الأوسط، حيث كان للدولتين الرستمية التي أسسها عبد الرحمن بن رستم سنة 160-296هـ/ 777-909م في تاهرت، والزيانية التي قام يحي بن يغمراسن ين زيان بتأسيسها سنة 633-962هـ/ 1236-1554م، نصيبهما في تنشيط الحركة التجارية.

وامتازت كلا الدولتين بموقع جغرافي متميز، وبإمكانيات متنوعة من محاصيل زراعية وحيوانية، وصناعية ومهن حرفية ساهمت في توفير منتجات تجارية يتداولها التجار من مختلف المناطق سواء مغاربة أو مشارقة أو من السودان الغربي وحتى من أوروبا المسيحية، على اختلاف دياناتهم الإسلامية أو اليهودية أو النصرانية، وكانت عملية البيع والشراء تتم داخل الأسواق المنظمة وفق ما يقره المحتسب داخلها، والذي يشرف على حسن سير نشاطها، وبناء مؤسسات كان لها الدور الهام في إيواء تجار والمثمتلة في الفنادق، إضافة إلى مكان يطرأ على السلع من تسعير للبضائع، تتدخل فيه عدة عوامل وظروف، مع نظام جبائي على القوافل والأسواق ساهم في ازدهار الرستميين والزيانيين، ورواج تجارتهم مع مختلف المناطق عن طريق البيع بالعملة أو المقايضة أو القرض أو السلف أو الصكوك وحتى الشركات التجارية، مع استعمال مختلف الموازين والمكاييل والمقاييس.

وشهدت مراكزهما التجارية سواءً الداخلية أو الساحلية (الموانئ) دور هام في عملية التبادل تصديراً وإستيراداً وكمحاور ربط مابين الطرق، وملتقى للتجار، وارتبطتا بمجموعة من المسالك مع مختلف المناطق شرقا وغربا وشمالا وجنوبا وفق قيمة بضائع كل إقليم وخصائصه الاقتصادية و التجارية.

مع تقديم دراسة مقارنة بين الرستميين والزيانيين تجاريا وإبراز خصائص ومميزات كل دولة من اهتمام السلطة الحاكمة وتنوع أجناس التجار ودورهم في تنشيطها، مع ما وجد لدى الدولتين من نظم تجارية ساهمت في تفعيل التبادل وفق بعض التباين فيما بينهما، مع المراكز والطرق التجارية لهما ومعطيات وخصائص كل دولة بربط تجارتهما بمعاهدات واتفاقيات سهلة لهما التبادل وتوفير ما يحتاجونه، وبهذا نجد أنَّ التجارة في المغرب الأوسط على عهد الرستميين والزيانيين كانت نشطة ومزدهرة في مختلف المجالات.

(devises) , ou les échanges , les emprunts, les prêts ,ou avec des reçus bancaires ou même des sociétés commerciales, suivant l'utilisation des différentes formes de pesages, de mesures et de dosages.

Leurs différents cites de commerce internes ou littorales (les ports) avaient eu un important rôle dans les opérations d'échange (import- export) . Ainsi que les axes de transites entre les différentes routes et carrefours commerciaux avec toutes les voix vers les différntes régions ,est, ouest, nord et sud , suivant l'importance des marchandises de chaque régions et ses caractéristiques commerciales et économiques .

Avec la présentation de l'étude comparative entre les Rostomites et les Zianides sur le plan commercial , que nous ressortons les caractéristiques , les particularités de chaque état suivant l'intérêt de l'autorité au pouvoir et leur rôles stimulant de cette activité. Ainsi, avec ce que détenait chaque état comme systèmes commerciaux, cela participait à l'activation des échanges suivants quelques contrastes entre elles, sur le plan de leurs centres et leurs routes commerciales et avec des données particulières à chacun des états. Celant , reliant leur commerce avec des contrats et des conventions qui leur facilitaient les échanges et épargnaient ce dont ils avaient besoin.

Et grâce à cela nous trouvons que le commerce du Maghreb central à l'époque des Rostomites et des Zianides était très actif et prospère dans différents domaines, secteurs.

Titre : Le commerce au Maghreb central , les Rostomites et les Zianides en exemple – étude comparative

Le commerce était considéré comme une des principales activités économiques, pratiqué par les habitants de Maghreb central. Où existait deux états, les Rostomites, fondé par Abderahmane Ben Rostome , en 160-296 hidjiri /777-909 après JC à Tiaret, les Zianides fondé par Yahya Ben Yaghmerassen Ben Ziani en 633- 962 hidjiri / 1236-1554 après JC qui avaient eu une grande part dans le développement de cette activité.

Les deux états c'étaient distingués par leur emplacement géographique stratégique et spécifique, par leur diversité dans les récoltes(agriculture et animale) , par l'activité artisanale, la petite industrie, qui avaient contribué à fournir des produits commerciaux que les commerçants échangeaient à travers différentes régions d'est ou d'ouest, de l'ouest du Soudan, de l'Europe chrétienne et cela même s'ils étaient différents par leurs religions
(islamique, juive, chrétienne) . Les actions d'achats et de ventes se concluaient dans des marchés organisés, selon une approbation d'un arbitrage interne qui supervisait la bonne conduite cette activité.

Aussi, la construction d'établissements qui avaient un rôle important dans l'ébergement des commerçants et de leurs représentants , qui étaient les hôtels. De plus, un emplacement où ils mettaient la pose des prix , des tarifs , des produits , des marchandises, suivant plusieures facteurs et circonstances.

Avec le régime fiscal imposé aux caravanes et aux marchés, cela a permis la croissance et l'épanouissement des Rostomites et des Zianides. La circulation de leur commerce dans les différentes régions ,avec soit la vente avec les monnaies